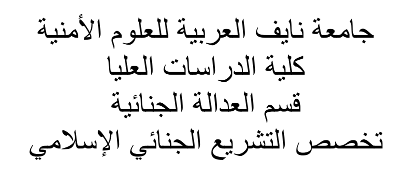



جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
كلية الدراسات العليا
قسم العدالة الجنائية
تخصص التشريع الجنائي الإسلامي

التدابير الواقية من الانحراف الفكري

(دراســــــة تأصيلية)

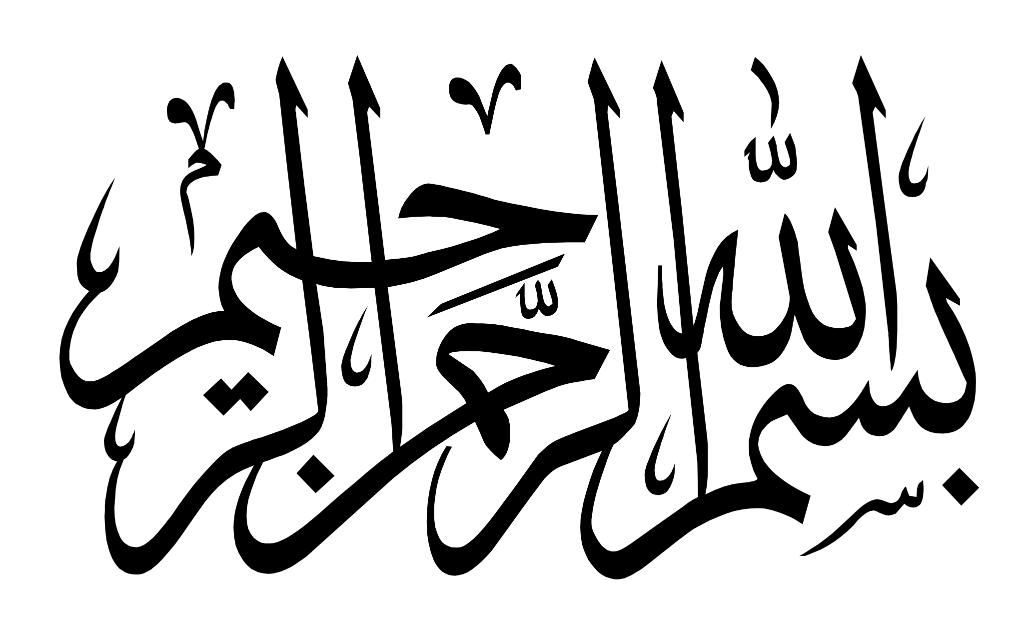
بحث مقدم لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير

إعداد
تميــم بن عبــدالله السليمــان
(٤٢٤٠٢٥٢)

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور : عبد الله بن فهد الحيـــــد

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

بســـــم الله الرحمن الرحيم

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

كلية الدراسات العليا

قســـم : العدالة الجنائية .

نموذج رقم (٢٦)

تخصص : التشريع الجنائي الإسلامي .

ملخص رسالة: [√] ماجستير [ ] دكتوراة

عنوان الرسالة: **التدابير الواقية من الانحراف الفكري**
(دراسة تأصيلية)

إعداد الطالب : تميم بن عبد الله بن إبراهيم السليمان

إشراف الأستاذ الدكتور / عبد الله بن فهد الحيد

لجنة مناقشة الرسالة:

١- أ.د عبد الله بن عيسى العيسى

٢- د. محمد بن عبد الله ولد محمدن

تاريخ المناقشة: ١٥/٥/١٤٢٧هـ الموافق ١١/٦/٢٠٠٦م.

مشكلة البحث: مما لا شك فيه أن جميع الشرائع السماوية جاءت لتحقيق مصالح الناس ودفع المفاسد عنهم وهذه المصالح تتمثل في الضروريات الخمس ، والانحراف فكرياً يتعدى على هذه الضروريات أو بعضها ، وما نراه في هذه البلاد المباركة في الآونة من جرائم مادية محسوسة من تفجير وتخريب وقتل وترويع إلا نتيجة وأثراً من آثار الأفكار المنحرفة التي يعتقد أهلها أنهم على صواب وحق وهم بعيدون عن ذلك كل البعد ، من هنا برزت مشكلة الدراسة أمام الباحث وتبلورت بالسؤال الرئيسي (ما التدابير الواقية من الإنحراف الفكري) .

أهمية البحث : تبرز أهمية الدراسة في الإسلام في تأصيل وإثراء البناء المعرفي النظري في مجال حماية ووقاية المجتمع من الإنحراف الفكري من منظور إسلامي والسعي إلى توضيح مدى فعالية وسياسية الوقاية من الانحراف الفكري خير من العلاج) . مع توضيح أهمية الوسائل والبرامج الوقائية التي تعتمد عليها الشرعية الإسلامية في مواجهة مخاطر الإنحراف الفكري ، وتوضيح دور المجتمع المسلم على المستوى الفردي والجماعي في تحقيق الوقاية من الإنحراف الفكري .

أهداف البحث :

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١- وضع مفهوم محدد للانحراف الفكري .

٢- التعريف بأهم التيارات الفكرية المنحرفة المعاصرة .

٣- معرفة أسباب ومظاهر وآثار الإنحراف الفكري .

٤- معرفة الأساس النظري في الشريعة الإسلامية المحرِّم للإنحراف الفكري .

٥- رصد العقوبات الشرعية للإنحراف الفكري .

٦- دور مؤسسات المجتمع رسمية وغير رسمية في وضع التدابير الواقية من الانحراف الفكري.

أسئلة الدراسة :

هذه الدراسة تسعى للإجابة عن الأسئلة التالية :

١- ما مفهوم الإنحراف الفكري .

٢- ما أهم التيارات الفكرية المنحرفة عبر التاريخ الإسلامي .

٣- ما أهم أسباب ومظاهر الإنحراف الفكري .

٤- ما الآثار والنتائج المترتبة على الإنحراف الفكري .

٥- ما الأساس الشرعي لتجريم الإنحراف الفكري .

٦- ما الزواجر والعقوبات الشرعية التي نواجه بها الانحراف الفكري ز

٧- ما التدابير الشرعية الواقية من الانحراف الفكري وما دور مؤسسات المجتمع (رسمية وغير رسمية) في الوقاية منه؟

منهج البحث:

ستعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يستهدف في شقه الأول تقرير خصائص ظاهرة معينة تغلب عليها صفة التحديد ، معتمداً على استقراء الحقائق وتحليلها وتصنيفها ، ومن ثم استخلاص النتائج اعتماداً على أن صحة المقدمات تسلتزم بالضرورة صحة النتائج ، كما يستهدف في شقه الثاني على مراجعة أهم ما له علاقة وارتباط بموضوع الدراسة على النحو التالي :

١- مصادر شرعية : القرآن وتفسيره ، الأحاديث النبوية ، الكتب التي اعتنت بشروحها ، وكتب العقيدة والتراث الإسلامي .

٢- مصادر اخرى : كالدراسات والبحوث والكتب ذات العلاقة بموضوع الدراسة والدوريات والنشرات والمقالات والإحصاءات الرسمية التي تعالج وتنقل واقع جوانب مشكلة الدراسة .

أهم النتائج :

١- تعتبر الشرعية الإسلامية هي أدق ميزان يقيس السلوك البشري .

٢- الخالق سبحانه هو الأعلم بما يصلح حال الناس ، ومهما حاول البشر وضع قوانين فستبدو قاصرة وعاجزة عن علاج القصور في النفس البشرية وعلاج الإنحراف .

٣- إقصار التشريع الإلهي عن الأعمال في المجتمعات الإسلامية هو الإنحراف الأكبر والجريمة الكبرى .

٤- كل أمر أو نهي في الكتاب أو السنة إذا تقيد به الفرد المسلم كان من أهم التدابير الواقية من الإنحراف الفكري .

٥- العقيدة الإسلامية والعبادات والتشريعات الحالية والإجتماعية عوامل واقية من الإنحراف الفكري .

بســــــم الله الرحمن الرحيم



جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

College of Graduate Studies

نموذج رقم (٢٧)

Department :Criminal Justice

Specialization: Criminal Islamic Legislation

THESIS ABSTRACT √ **MA** ☐ **PH.D**

Thesis Title: The Preventive Procedures of Thoughts Derivation

Prepared by: Tamim bin Abdullah Ibrahim AL Suleiman

Supervisor: Dr. Abdullah bin Fahad AL Haid

Thesis Defence Committee:

1- Professor Dr. Abdullah bin Essa Al Essa

2- Dr. Mohammed bin Abdullah Walad Mohammedan

Defence Date: 15/5/1427 H Corresponding to 11/6/2006

Research Problem:
No doubt that all heavens religious have come to achieve the interests of people and drive away from them the corruptions , such interests are represented in the fifth necessities , though derivation surpassing all these necessaries or some of them , what we saw in this blessed country lately of tangible crimes explosions , murdering , damage and fearing is a result and effect of this thoughts derivations that the person who believe in considering themselves they are right but they are too far of the right , from here the problem of the research arises to answer the main question (What are the Preventive Procedures of Thoughts Derivation).

Research Importance:
The important of the research in Islam arises in originating and enriching theoretical knowledge in the field of protecting and preventing the society from thoughts derivation from Islamic viewed, and seeking to explain the extent of efficiency and policies. Explaining the important of the means, preventive programs that Islamic Sharia Law depend on in facing the risks of thoughts derivation , explaining the role of the Islamic society on the level of the individual and group in achieving the prevention of thought derivation .

Research Objectives:

The aims of this study are :

1- Putting identified conception for thought derivation.
2- Informing with the most important derivation contemporary currents.
3- Knowing the reasons, the features and the effects of thought derivation .
4- Knowing the theoretical principle in Sharia Islamic that prohibited thought derivation.
5- Determine Sharia Islamic law punishments of thought derivation.
6- The role of the society official or non official in putting preventives of thoughts derivation.

Research Hypotheses /Questions:

1- What is the concept of thought derivation?.
2- What are the most important currents thoughts through Islamic history ?
3- What are the most reasons and the features of thought derivation ?
4- What are the effects and the results of though derivation ?
5- What are the principle of Sharia Islamic law in prohibiting though derivation ?
6- What are the restrains and punishments that through it we can face thought derivation?
7- What are the Legal Sharia Preventive procedures of thought derivation, and its role in society establishments (official or non official) in preventing it ?

Research Methodology:

This study depends on descriptive reading curricula with results and analysis, that aiming firstly in determining the characteristics of a certain phenomena indefinitely , depending on reading of facts analyzing and classifying it , then getting the results , depending on the correctness of the offerings requiring the necessity of the results correctness . Secondly it aims to revising the most things that have connecting and relation with the research study as follow:

1- Legal Islamic Sharia references: Quran and the interpretation, Prophet's Sayings, Books that concern with the explanation and Islamic heritage .
2- Other references : Studies and researches and books that relating with the research , periodicals , essays , official statistics that dealing and transmitting the reality of the research problem .

Main Results:

The main results that I get from this research are:

1- Sharia Islamic Law considers as accurate balance that measuring humans behavior.
2- Allah the Creator is the most knower with what is the correction for human beings , and whatever the human beings trying to put laws it will be unable of treating the deficit in human beings selves and treating derivation .
3- Allah Sharia Considering bad deeds in Islamic society as the biggest derivation and biggest crimes .
4- Every order or prohibition in the Holly Quran if the person obligate with consider as the most preventive procedures that preventing thought's derivation .
5- Islamic Sharia and Orders and the Current Legislations are preventive factors of thoughts derivations .

إهداء

إلى والدي ووالدتي رحمهما الله وجمعني بهما في الجنة

إلى زوجتي الغالية وأولادي حفظهم الله

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء

إلي أخي الكريم إبراهيم

إلى كل من علمني حرفاً من أساتذتي

إلى أصدقائي الذين ساندوني في إعداد هذه الرسالة

أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه ، فبعد شكر الله والثناء عليه بما هو أهل له على نعمه وتوفيقه على إنجاز هذا البحث ..

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي وشيخي الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالله بن فهد الحيد ، الأستاذ بجامعة الملك سعود – كلية التربية الذي شرفت بإشرافه علي في هذه المرحلة ، ولقد كان حفظه الله ورعاه طوال هذه الفترة مثلاً حسناً ونموذجاً رائعاً للأخلاق الفاضلة والصدق والتواضع ، فلقد أفادني بتوجيهاته المفيدة ، وآرائه السديدة ، وتعليقاته النفيسة ، ولقد أعطاني من وقته وجهده ما ذلل أمامي بعد الله عقبات السير في هذه الدراسة ، فأسأل الله سبحانه أن يجزيه أحسن الجزاء ، وأن يطيل في عمره على طاعته.

كما أشكر الشيخين الكريمين : الأستاذ الدكتور / عبدالله بن عيسى العيسى – عميد كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وفضيلة الدكتور / محمد بن عبدالله ولد محمدون على تفضلهما بقبول مناقشتي لهذه الرسالة ، وعلى تحملهما عناء قراءتها مع ما فيها من قصور وخلل ، ولكن حسبي أن هذا جهدي المقل ، فالله المسؤول أن يجعل ما قدماه لي في ميزان حسانتهم يوم نلقاه.

كما أشكر جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية على ما تبذله من عطاء متجدد وخدمةً لأمن هذه الأمة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر لكل من قدم لي يد العون والمساعدة سواء من أقاربي ، أو زملائي ، أو أساتذتي بأي صورة من صور المساعدة .

فجزى الله الجميع عني خيرا.

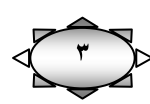
الباحث

المقدمة:

الحمد لله القائل (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد،،،

فإن شريعة الإسلام كما جاءت بأسباب تحصيل الأمن في الآخرة والمتمثلة في الاعتقاد الجازم بأصول الإيمان، والعمل بأركان الإسلام، ومراقبة الله في السر والعلانية وعبادته وحده دون مّنْ سواه، فقد جاءت أيضاً بأسباب تحقيق الأمن في هذه الحياة الدنيا، فتضمنت أكمل الشرائع، في مختلف الجوانب، وعظَّمت الحرمات، وكفلت حفظ الضرورات، واشتملت على ما يردع ـ مّنْ يريد انتهاكها والنيل منها والتعدي عليها ـ من الحدود والعقوبات، كل ذلك لتوفير الأمن، وتحقيقه في جميع المجالات.

ولعل مما آثار ذهن الباحث، ودفعه إلى اختيار هذه الدراسة هو موضوع الانحرافات التي نتجت عن مجموعة من الحركات الفكرية منها ما هو موجود من قبل البعثة، ونشط عداءً للدين الجديد ومحاربة له، ومنها ما ظهر بعد عصر النبوة وعبر تاريخنا الإسلامي، ومن هذه الحركات الفكرية ما ظل على صورته، ومنها ما تحوَّر، وتقنَّع، وارتدى أردية عصرية، إضافةً إلى العديد والعديد من الحركات الفكرية التي جاءتنا غازية، وقد اتخذت هي الأخرى أشكالاً وألواناً متباينة، فمن هذا النوع الأخير ما جاءنا في صورة غزو عسكري، ومنها ما جاءنا في صورة غزو فكري مكشوفٍ أحياناً ، وفي أحيان أخرى يتسلل إلينا من حيث لا نشعر فأصاب منا من قال عنهم رب العزة (.. من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا).



ولعل الحركات الفكرية المناوئة للإسلام والتي تمخضت عن الكثير من مظاهر الانحرافات ظلت الشغل الشاغل لعلماء هذه الأمة والمصلحين منها ،وقد أخبر عنهم ً صلى الله عليه وسلم بقوله : "لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك" (متفق عليه)،

هذا وإن من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ الضرورات الخمسة (الدين والعقل والنفس والعرض والمال)، وضمان الحقوق، وتحقيق العدالة، واستتباب الأمن، والحفاظ على مقومات الحياة على الأرض، وإقامة المجتمع الإسلامي الآمن بكل ما يحمل مصطلح الأمن من شمول، وبذلك يبرز التشريع الإسلامي كمثال رائع للحق والعدل والإنصاف، ويتضح مدى الحاجة إلى هذا التشريع في عالم اليوم.

إن اختيار الباحث موضوع: "التدابير الواقية من الانحراف الفكري " لم يأت من فراغ، وإنما كان هادفاً إلى تبيين الدور العظيم الذي تؤديه الشريعة الإسلامية لمواجهة كافة أنواع الانحرافات الفكرية، وتحقيق الخير، والأمن والاستقرار للمجتمع المسلم، وعلى المستوى النظري، فالموضوع يخدم جانباً هاماً في مجال البحث في العلوم الإنسانية خاصة أن الكثيرين ما زالوا يتعاملون مع الانحرافات الفكرية باعتبارها ترفاً بحثياً، بالإضافة إلى أن الدراسة طالما تناولت (الانحرافات الفكرية) فهي تتناول – بالتبعية- (الأمن الفكري)، والمصطلحان من الحداثة في عالمنا العربي بحيث ما زالت الدراسات الأكاديمية بشأنهما قليلة، ولا تلبى الحاجة.

والله نسأل أن يجعل جهدنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به .

الفصل التمهيدي

المدخل للدراسة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :الإطار المنهجي للدراسة

ويشتمل على :

١ ـ مشكلة الدراسة:

إن المتتبع للتاريخ الإسلامي عبر عصوره المختلفة لابد أن يلاحظ أن القوى الفكرية التي واجهها الإسلام عند ظهوره وامتداده، كانت أقوى مما هي عليه اليوم، ولكن الأمة المسلمة كانت على وعي بدينها وبأحكامه، متفهمة لقرآنها الكريم، ولسنة رسولها المصطفى –صلى الله عليه وسلم- فهزمت المخططات التي قادتها تلك القوى .

ثم ما لبثت هذه القوى بما أوتيت من خبرة في الدهاء والمران فيه، أن تسترت وراء مخططات سرية، سارت بمحاذاة الإسلام، عاجزة عن مواجهته والتصدي له، وانتظرت الثغرات في مسيرة الإسلام الطويلة الهادفة إلى إخراج العباد من الظلام إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن الجور إلى عدل الإسلام .

والمتتبع أيضاً لمسيرة المسلمين سيلحظ أنه كلما ضعفت عقيدتهم كلما استطاعت تلك القوى النفاذ إليهم،والتغيير فيهم عقيدةً وسلوكاً ومنهجاً مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "لَتَسْلُكُنَّ سُنَنَ مَنْ كان قَبَلكم، حذو القُذَّة بالقُذَّة حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه". قالوا: يا رسول اللّه! اليهود والنصارى؟ قال : "فمن"؟ (روا البخاري).

وعلى الرغم من أن الصورة التقليدية للانحراف قد أخذت صبغة تاريخية قديمة –كما أسلفنا- إلا أن الصورة الحديثة للانحراف

الفكري- كما يقول (الخطيب، ١٤٢٦) أصبحت قادرة على توظيف أجهزة وتقنيات وسلطات محلية أو إقليمية أو دولية، وتوسعت أهدافها ومنهجياتها بشكل يفوق حد الوصف، وغالباً ما يتم توجيه هذا النوع من الانحراف الفكري إلى القضاء على المجتمعات التي يحكم فيها بشرع الله.

وبناء عليه فقد أصبح التصدي لكل أشكال الانحراف الفكري داخل المجتمع المسلم، إلى جانب الغزو الفكري الخارجي من أخطر ما يواجه الشعوب الإسلامية، لما يحدثاه من تخريب لفكرها، وتوهين لعزائم أفرادها، وضياع لشخصيتها، وذوبان لخصائصها المميزة، وسلخها من مصدر قوتها ووحدتها وتماسكها حيث يتولى الإعلام الدولي بوسائله المتعددة إدارة عمليات وأساليب الغزو الفكري، والتأثير، والترويج، وتجميل الصورة، وبث السموم بشكل حثيث ودائب، بحيث لا يحصره ميدان، وكيف يتم حصره، وقد جاء من خلال دائرة الأفكار .

والانحراف الفكري الموجود في المجتمعات ناتج ولا ريب من بذور أفكار دخيلة على المجتمع أو عن تصورات خاطئة ومفاهيم مغلوطة أُخذت دون تمحيص أو دراسة.

وحيث تحاول هذه التيارات الفكرية الفاسدة والدعوات الضالة الاستمرار لغزو المجتمع المسلم ولا تنقطع ولا تهدأ ، وغايتها هي الكيد لشباب الأمة الإسلامية في عقيدتهم وفكرهم وسلوكهم ، لذا كان لابد من وقفة حاسمة تجاه هذا الانحراف والنظر في عواقبه.

وهذه االتيارات والدعوات واحدة في أهدافها لا تتغير وإن لبست في كل عصر من الأشكال ما يناسبه ومن الوسائل ما يتمشى معه.

وتعتبر الجرائم المادية المحسوسة من تفجير وتخريب وقتل وترويع نتيجة وأثراً من آثار الأفكار المنحرفة التي يعتقد أهلها أنهم على حق وصواب وهم بعيدون عن ذلك كل البعد، وما نراه ونلحظه في هذه البلاد المباركة مؤخراً من جرائم التفجير والتخريب وترويع الآمنين والمستأمنين والإفساد في الأرض

ورفع الشعارات الزائفة والدعوات المضللة على أن هذه الأعمال إصلاحاً وتغييراً إلى الأفضل لا شك أن هذا كله نتيجة أفكار منحرفة ومزاعم براقة قلبت الموازين وغيرت المفاهيم فنتج عنها مالا يقره دين ولا يرضاه عاقل.

من هنا فقد صار من الأهمية بمكان السير على هدي ما وضعته الشريعة الإسلامية من تدابير وقائية لحماية العقل، وصيانة وظيفته، لكونه من الضرورات الخمسة التي هي في الأساس مقاصد هذه الشريعة الغرَّاء.

ومما سبق تتضح خطورة هذه الانحرافات الفكرية على مجتمعنا وتتضح أهمية البحث في أهم التدابر الواقية من هذه الانحرافات الفكرية.

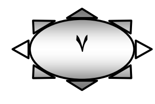
و يصبح التساؤل الرئيس لهذه الدراسة هو :

ما التدابير الواقية من الانحراف الفكري"؟.

٢- أسئلة الدراسة :

ويتفرع عن السؤال الرئيس السابق مجموعة من الأسئلة الفرعية على النحو التالي:

١- ما مفهوم الانحراف الفكري.
٢- ما أهم التيارات الفكرية المنحرفة عبر التاريخ الإسلامي؟.
٣- ما أهم صور وأسباب الانحراف الفكري؟.
٤- ما الآثار والنتائج المترتبة على الانحراف الفكري؟.
٥- ما الأساس الشرعي لتجريم الانحراف الفكري؟.
٦- ما الزواجر والعقوبات الشرعية التي نواجه بها الانحراف الفكري؟.
٧- ما التدابير الشرعية الواقية من الانحراف الفكري، وما دور مؤسسات المجتمع (رسمية- غير رسمية) في الوقاية منه؟.



٣/. أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- وضع مفهوم محدد للانحراف الفكري.

٢- التعريف بأهم التيارات الفكرية المنحرفة المعاصرة .

٣- معرفة صور وأسباب وآثار الانحراف الفكري.

٤- معرفة الأساس النظري في الشريعة الإسلامية المُجِّرم للانحراف الفكري.

٥- رصد العقوبات الشرعية للانحراف الفكري.

٦- دور مؤسسات المجتمع رسمية وغير رسمية في وضع التدابير الواقية من الانحراف الفكري.

٤. أهمية الدراسة:

أ- **أهمية نظرية:**

١- الإسهام في تأصيل، وإثراء البناء المعرفي النظري في مجال حماية ووقاية المجتمع من الانحراف الفكري من منظور إسلامي.

٢- إبراز منهج الشريعة الإسلامية في الوقاية من الانحراف الفكري، وبالتالي دوره في تحقيق الأمن الفكري للمجتمع المسلم.

٣- كما أن أهمية هذا الموضوع –محل الدراسة- تبرز في وقتنا الراهن حيث تزايدت نسبة (الانحرافات الفكرية) بشكل يمثل خطورة على سلامة وأمن المجتمع المسلم خاصة، والمجتمعات الإنسانية عامة.

ب- **أهمية تطبيقية:**

١- السعي إلى توضيح مدى فعالية ونجاح سياسة (الوقاية من الانحراف الفكري خير من العلاج)، مع توضيح أهمية الوسائل والأساليب، والبرامج الوقائية التي تعتمد عليها الشريعة الإسلامية في مواجهة مخاطر الانحراف الفكري.

٢- وضع تصور نموذجي - قدر الإمكان - لبرامج الوقاية من الانحراف الفكري في ضوء النهج الإسلامي الهادف إلى تحقيق الأمن الفكري للمجتمع المسلم.

٣- الخروج بمقترحات من الممكن أن يفيد منها المختصون في مجالات الأمن بمفاهيمه الشاملة.

٤- بيان دور الشريعة الإسلامية في تحقيق الوقاية من الانحراف الفكري من خلال المؤسسات المجتمعية.

٥- توضيح دور المجتمع المسلم على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي في تحقيق الوقاية من الانحراف الفكري، حيث إنه بدون المشاركة المجتمعية فلن تستطيع الأجهزة الأمنية - مهما توافرت لها الإمكانات البشرية والمادية، والتقنيات الحديثة - أن تحقق الفاعلية في الوقاية من الانحرافات الفكرية، وما يمكن أن يتمخض عنها من نتائج سالبة.

٥. منهج الدراسة:

ستعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يستهدف في شقه الأول تقرير خصائص ظاهرة معينة تغلب عليها صفة التحديد، معتمداً على استقراء الحقائق وتحليلها وتصنيفها، ومن ثم استخلاص النتائج اعتمادا على أن صحة المقدمات تستلزم بالضرورة صحة النتائج ، كما يستهدف في شقه الثاني مراجعة أهم ما له علاقة وارتباط بموضوع الدراسة على النحو التالي:

١- مصادر شرعية : القرآن الكريم وتفسيره ، والأحاديث النبوية الشريفة والكتب التي اعتنت بشروحها ، وكتب العقيدة والتراث الإسلامي .

٢- مصادر أخرى :

أ- الدراسات والبحوث ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

بـ - الدوريات والنشرات والمقالات التي تعالج مختلف جوانب مشكلة الدراسة.

جـ- الإحصاءات الرسمية في المملكة، وبعض الدول العربية، والعالمية.

٦ـ حدود الدراسة :

ا/ حدود موضوعية:

ستكون الدراسة من الناحية الموضوعية منصبة على الكشف عن أهم التدابير الشرعية الواقية من الانحراف الفكري دون التعرض للانحرافات الأخرى، والبحث عن أهم أسباب ومظاهر وآثار الانحراف الفكري.

ب/ حدود زمانية :

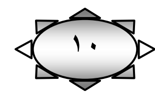
ستكون الدراسة عن البحث عن التدابير الواقية من الانحراف الفكري في العصر الحاضر دون التعرض للعصور الأولى إلا عند الحديث عن أهم التيارات الفكرية المنحرفة في المجتمع الإسلامي.

ج/ حدود مكانية:

ستقتصر الدراسة على البحث عن التدابير الواقية من الانحراف الفكري في المملكة العربية السعودية .

٧ـ مصطلحات ومفاهيم الدراسة:

١- **الشريعة الإسلامية :**



أ- في اللغة: (الشَّريعَة) : ما شرع الله تعالى لعباده، والظاهر المستقيم من المذاهب ، و (الشِرْعَة) هي مورد الشاربة، ويقال (شَرْع) وشِرْع) : مورد الماء، الدواب في الماء شَرْعاً وشُرُوعاً: دخلت، و (شَرَعَ) لهم : سَنّ، الناس في هذا (شَرْعٌ) أي سواء، (الفيومي، ١٩٨٧)، حيتان (شُرَّعٌ) أي رافعة رؤوسها، والجبل (شَارِع) أي واضح وظاهر، و (التشريع) بمعنى الإظهار والإيضاح، أو هو سَنّ القوانين والأنظمة (الرازي، ١٩٨٧)، (الشيرازي، ١٩٩٥)، .

ب- وفي الاصطلاح : "التكاليف العملية التي شرعها الله في كتابه الكريم، وبيّن الرسول –صلى الله عليه وسلم- تفصيلها في سنته، من عبادات ومعاملات وعقوبات وتكاليف أخرى" ، وهي ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

٢- **التدابير الواقية:**

أ- (التدابير) لغةً : من (دَبَّرَ) الأمر وتَدَبَّره: نظر في عاقبته، و (التدبير) في الأمر: أن ننظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، و (التَدَبُّر) : التفكر فيه، و (تَدَّبَر) الرجل أمره، و (يُدَبِّر) : أي ينظر في عواقبه (ابن منظور، د.ت). وقيل : (التَدَبُّر) : التفكُّر، أي تحصيل المعرفتين لتحقيق معرفة ثالثة، ويقال عرف الأمر تَدبُّراً أي بآخره، وفي الكتاب العزيز (أفَلَمْ يَدَّبَّروا اَلْقَوْلَ) المؤمنون ٦٨، أي ألم يفهموا ما خُوطِبوا به في القرآن، وقوله تعالى : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآنَ) النساء ٨٢، أي ألم يتفكروا فيعتبروا، فالتدُبر هو التفكُّر والتفهُّم (الزبيدي، ١٤١٤)، (الشيرازي، ١٩٩٥).

أما (الواقية) لغةً: فمن (وَقَى) : وَقَاهُ الله (وَقْياً) و (وِقَاية) أي : صَانَهُ، و في التنزيل : (ومَا لَهُمْ مِنَ الله مِنْ وَاقٍ) الرعد ٣٤، أي من دافع . و (وقاه) الله (وِقايَة) ، أي حَفِظَه وَصَانَه، و (التَّوْقِيَّةُ): الكَلاءَةُ والحفظ. والاسم (التقوى واصله (التُّقْيَا) وقُلِبَ للتفريق بين الاسم والصفة، قال تعالى : (هو أهلُ التقوى) المدثر٥٦، أي أهلٌ أن يُتّقى عَذَابُه (ابن منظور، د.ت).

وقال ابن الأثير: (وَقَى) و (وَقَيْتُ) الشيء (أَقِيهِ)، إذا جَنَّبْتُه وسترته عن الأذى، ومن حديث عَليٍّ- رضي اللّه عنه- "كنا إذا احمرَّ البأسُ اتقينا برسول الله – صلى اللّه عليه وسلم- " أي جعلناه وقايةً لنا من العدو.

وباستقراء كلمتي (تدبير) و (وقاية) على ضوء ما سبق من شرح نجد أنهما لا تخرجان عن معنى النظر والتفكر والتبصر بعواقب الأمور، وتحذر من مغبة النزوة أو الوقوع فيها.

التدابير الواقية اصطلاحاً: هي السياسات أو الإجراءات التي تتخذها الجهات المعنية في الدولة لمنع وقوع الجريمة، وحماية المجتمع، من آثارها(العروجي، ١٤٢٤).

غير أن الشريعة تعطي التدابير الواقية مفهوماً واسعاً يتجاوز مجرد الوقاية من الجريمة، إلى الوقاية عن كل ما نهى الله عنه من الأقوال والأفعال (المصدر السابق).

كما تعني : التصور الشامل للأهداف التي تكون قائمة في ذهن من يخطط لها، من أجل تحقيق الأمن للمواطن، والسلامة، والاستقرار في المجتمع،

وتعنى أيضاً :تحديد الأساليب، والوسائل المؤدية إلى تحقيق هذه التصورات، مع الحرص على إعطاء البعد الأمني لعملية التنمية بكافة صورها، أي أن تتضمن خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خططاً وتدابير وقائية من الجريمة، ولذا يجب أن تبقى هذه التدابير محكومة بالشرعية، ويتحمل مسؤوليتها جميع مؤسسات المجتمع رسمية كانت أم غير رسمية (العاني، ١٤٢٦هـ).

٣- الغزو الفكري:

أ- الغزو لغةً: يُقال : غَزَاه غَزْوًا : أراده وطلبه وقصده (الشيرازي)، وغزا العدو غَزْوًا وَغَزواناً، أي سار إلى قتلهم في ديارهم، ويقال : عَرَفْتُ ما يُغْزَا من هذا الكلام، أي: ما يُرَاد، وأغزاه: جهَّزه للغزو (أنيس، وآخرون، ١٣٩٣هـ).

ومما سبق يتضح أن معنى (الغزو) في اللغة: إرادة الشيء وقصده وطلبه.

الفكري لغة: فالفكر هو إعمال النظر، أو إعمال الخاطر في الشيء، والتَّفَكُّر هو التأمل (ابن منظور، د.ت، الشيرازي، ١٩٩٥)، والفكر: إعمال العقل في المعلوم، للوصول إلى معرفة مجهول، ويقال: في الأمر فكْر، أي نظر وروية، وجمع الفكر أفكار (المصدران السابقان).

وفكرْ في الشيء، أي : أعمل الفكر فيه ليتوصل إلى حله وإدراكه، والفكر: تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي فِكْرٌ في الأمر أي : نظر وروية (الفيومي، ١٩٨٧).

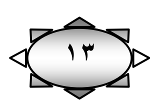
ب- اصطلاحا: يعني كما يقول (الرحيلي، ١٤٢٤) "مجموعة الجهود التي اتخذها أعداء الإسلام ضد الأمة الإسلامية بقصد التأثير عليها في جميع الميادين التعليمية، والثقافية والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية،.. باستخدام الوسائل والأساليب التي يراها مناسبة من أجل صرف المسلمين عن التمسك بعقيدتهم، وأخلاقهم، وسير سلف الأمة الصالح".

٤- **البغي:**

لغة: يطلق على طلب الشيء، ويطلق على الظلم ومجاوزة الحد، ومنه سمي البغاة بغاة بظلمهم وعدولهم عن الحق.

وشرعاً : الخروج على الإمام مغالبة بتأويل سائغ، وإن لم يكن راجحاً (الجحني، ١٤٢١).

٥- **الأمن الفكري:**



لغة: قال (الزبيدي، ١٣٩٠) "الأمن ضد الخوف، وهو عدم توقع مكروه في الزمن الآتي"، وعرفه (الراغب ، الأصفهاني، د.ت) في مفرداته بأنه "طمأنة النفس، وزوال الخوف، وقال (الشيرازي، ١٩٩٥) هو "ضد الخوف، وآمن أمناً وأماناً، والأمنة والأمانة ضد الخيانة، وآمن به إيماناً أي صدقة والإيمان: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة".

وكل مشتقات الجذر اللغوي ترجع إلى الطمأنينة، فالتصديق هو طمأنينة إلى المُصَدَّق، والأمانة هي طمأنينة للمؤمِّن.

والخوف فسروه بضده، وهو عدم الأمن، وفسروه بمرادفه وهو الفزع. وقال (ابن منظور) "أصل الأمن هو طمأنينة النفس، وزوال الخوف، والإنسان يكون آمناً إذا استقر الأمر في قلبه، وأمن البلد: اطمئنان أهله فيه، وأمن الشر: السلامة منه، وفي التنزيل: (وآمنهم من خوف)، (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً)، (وهذا البلد الأمين).

الفكري: سبق شرحها في (الغزو الفكري).

اصطلاحا: هو الحاجة إلى الأمن لأنه حاجة إنسانية هامة تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، والحاجة إلى الأمن والشعور به تأتي في المرتبة التالية مباشرة للحاجات البيولوجية الأساسية كالمآكل والمشرب، بل إن الحاجات الأساسية البيولوجية لا يمكن أن تأتي في غياب الشعور بالأمن (الشافعي، وآخر، ١٤٢٥).

٦- **العقيدة:**

لغة: عقد بمعنى عاهد وعزم، وعقد الرأي أي عزم الرأي (الرازي، ١٩٨٧).

واصطلاحاً: هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شيء إيماناً لا يرقى إليه شك، ولا تؤثر فيه شبهة، ومن طبيعتها تضافر النصوص الواضحة على تقريرها، وإجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءها، وهي أول ما دعا إليه

الرسول صلى الله عليه وسلم، وطلب من الناس الإيمان به في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة (شلتوت، ١٤٠٣)، كما أنها الأصل الذي تتبني عليه الشريعة الإسلامية، أي أن الشريعة أثر تستتبعه العقيدة لقول الفقهاء "لا وجود للشريعة في الإسلام إلا بوجود العقيدة" (المصدر السابق).

٧- **الرِدَّة:**

لغة: هي الرجوع، وتعرف الردة شرعاً بأنها : الرجوع عن الإسلام ، فالمرتد هو من خرج من الإسلام بعد أن كان فيه (الرازي، ١٩٨٧)، (الفيومي، ١٩٨٧).

٨- **الحرابة:**

لغة : من حَرَبَ حَرَبَاً ، أي أخذ جميع ماله فهو حريب، والحرب المقاتلة (الفيومي، ١٩٨٧).

واصطلاحاً : هي قطع الطريق، أو هي إعلان الحرب على أمن المسلمين.

٩- **التعزير:**

لغة: هو التأديب مطلقاً، أو هو الردع والمنع (الشيرازي، ١٩٩٥).

اصطلاحا: هو عقوبة غير مقدرة على ذنوب لم تشرع فيها الحدود، أو هو التأديب بما يراه الحاكم زاجراً لمن يفعل فعلاً حراماً عن العودة إليه (الماوردي، ١٩٦٦).

١٠- الإرهــاب:

لغةً: يستعمل في معنيين:

الأول : الخوف ، وهو الأصل حيث يقول ابن منظور: رَهِبَ، بالكسر، يَرْهَبُ رهْبَةً ورُهْبَاً بالتحريك، أي خاف، ورَهِبَ الشيء رَهْبَاً ورَهَبَاً ورَهْبَةً خافه. . .

وأَرْهَبَهُ ورَهَّبه و استرهبه أخافه وفزعه (ابن منظور، د .) ويقول (الراغب الأصفهاني، د ت): "الرَّهْبَةُ: مخافة مع تحرز واضطراب".

الثاني: الخروج عن مألوف حياة الناس وهو مفهوم معاصر يقابله مصطل الردع الذي يحول دون قيام العدو بالهجوم خشية الرد الأشد، وجميع المعاني اللغوية الواردة في معاجم اللغة لا يستفاد منها المعنى الذي للفظ الإرهاب في هذا الزمن(بوساق، ١٤٢٥هـ).

اصطلاحاً: كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع يلجأ إليه الجاني تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي يهدف الإخلال بالنظام العام، أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر، إذا كان من شأن ذلك إيذاء الأشخاص، أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو المواصلات أو بالأموال أو بالمباني أو بالأملاك العامة أو الخاصة ، أو احتلالها والاستيلاء عليها أو منع أو عرقلة ممارسة السلطات العامة، أو دور العبادة، أو معاهد العلم لأعمالها، أو تعطيل تطبيق الدستور، أو القوانين أو اللوائح (سعيد، ١٤١٦).

١١- الانحراف الفكري:

لغة : (الحرف) من كل شيء: طرفه، وشفيره، وحده، و (الحرف) من الجبل أعلاه، (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي : وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء لا الضراء، أو يعبده على شك، أو على غير طمأنينة على أمره، أي لا يدخل الدين متمكناً، والتحريف: التغيير، و (انحرف) مال وعدل (الشيرازي، ١٩٩٥) والخلاصة أن الانحراف هو الميل والعدول عن أصل الشيء، ويصير الانحراف الفكري بمعنى الفكر غير السوي.

اصطلاحاً: هو استبعاد الفكر عن الحق والصواب، والسعي إلى إشاعة أفكار ليس لها مرجعية معتمدة من الشرع بغية التشكيك في الأهداف والمصالح والعقائد من أجل مكاسب محدودة أو موسعة بطرق غير مشروعة

ويؤثر على أمن الفرد والجماعة والدولة بل والمجتمع الدولي لصورة سلبية وتؤدي إلى زعزعة الأمن الفكري والثقافي، وإثارة نوبات العنف والتطرف أو الإرهاب في بعض حالاته (الخطيب، ١٤٢٦هـ).

١٢- الغلو:

لغة: مجاوزة الحد، يقال: غلا في الدين غلواً، تشدد وتصلب حتى جاوز الحد (ابن منظور، د.ت) و (الشيرازي، ١٩٩٥) والمتتبع لهذه الكلمة ومعناها في اللغة يجدها تدور على محورين أو معنيين:

الأول: حد الشيء والثاني: الحركة في بعض الأعضاء، والذي يهمنا هو المعنى الأول، والحد هو منتهى الشيء وغايته (الدوسري، ١٤٢٦) وفي المعجم الوسيط "الطرف من كل شيء منتهاه أو الناحية أو الجانب" (أنيس، وآخرون، ١٣٩٢هـ)، وعليه فيقال: التطرف هو تجاوز حد الاعتدال بدون توسط (المصدر السابق).

اصطلاحاً: هو "تفسير النصوص تفسيراً متشدداً يتعارض مع السمة العامة للشريعة، ومقاصدها الأساسية فيشدد على نفسه وعلى الآخرين، كأن يلزم نفسه والآخرين بما لم يوجبه الله تعالى عبادةً وترهباً، وتحريم الطيبات التي أحلها الله عز وجل على وجه التعبد، والزيادة على الحد المشروع في مقادير العبادات وكيفيتهما " (اللويحق، ١٤٢٠، وابن درع، ١٤١٩).

المبحث الثاني / الدراسات السابقة :

١- دراسة (عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ١٤٢٠) بعنوان "مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر. الأسباب – الآثار- العلاج".

وهي دراسة قام بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وقد استخدم الباحث جملة من المناهج والأساليب البحثية كالمنهج التاريخي والمنهج العلمي التحليلي والمنهج النقدي حسب ظروف وموضوعات الدراسة.

وقد هدف (اللويحق) إلى:

- تحديد الفترة التي تستغرقها الدراسة وهي الواقعة بعد عام (١٣٨٥هـ) إلى وقت إعداد دراسته " حيث تمثل نشوء تيار الغلو المعاصر من جهة، وظهور اتهام المتمسكين بالدين به من جهة أخرى.

- دراسة أصول الانحراف، ومنابع الزيغ المتمثلة في الجهل، والمنهج العلمي المعوج، والظروف والبيئات الفاسدة.
- ليس مجرد كشف المرض ، وإنما كشف أسبابه، وطرق علاجه.
- تقويم مناهج المعاصرين في علاجهم لمشكلة الغلو، مع الاسترشاد بمنهج السلف الصالح في معالجتهم للغلو، وبمعرفة الغلو المعاصر والظروف المصاحبة له.

وقد اشتملت الدراسة على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : أسباب مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر .

الباب الثاني : آثار مشكلة الغلو في الدين .

الباب الثالث : علاج مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر .

ولا شك أن دراسة (اللويحق) من أفضل الدراسات الأكاديمية التي ظهرت في الآونة الأخيرة، ولا يملك الباحث إلا أن يسعى بكل جهده إلى **الاستفادة من كل ما ورد فيها** وخاصة ما يتعلق بأسباب وآثار الغلو لأن الغلو يعد من مظاهر الانحراف الفكري بل ومن آثاره أيضاً مع الإشارة إلى أن دراسة (اللويحق) تركز على الغلو فقط كأحد أهم أسباب الانحراف الفكري وكذا من أهم نتائجه، **أما الدراسة الحالية** فتركيزها على التدابير الواقية من الانحراف الفكري إجمالاً.

وكانت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث كالتالي :

١/ أن الواجب دراسة مشكلة الغلو دراسة علمية دقيقة .

٢/ أن هذه المشكلة عائدة إلى أسباب سائقة إليها فهي الممهدة للعلاج وبقطعها تقطع المشكلة من أصلها .

٣/ أن هذه الأسباب تختلف من جهة تأثيرها باعتبارات متعددة فقد يكون سببا ما مؤثرا في بيئة وغير مؤثر في بيئة أخرى .

٤/ أن هذه الأسباب تختلف فمنها ما يعود إلى جوانب علمية كالجهل بالكتاب وبمقاصد الشريعة ومنها ما يعود إلى جوانب متعلقة بالمنهج العلمي كالتأويل والتحريف وعدم الجمع بين الأدلة ومنها ما يعود إلى جوانب متعلقة بالمنهج العملي كالاستعجال وعدم تقدير ظروف الناس وأعذارهم .

٥/ أن مشكلة الغلو في الدين لها آثار غير حميدة على الفرد والمجتمع ودراسة هذه الآثار نافعة لتنفير الناس من الغلو .

٦/ أن علاج مشكلة الغلو يجب أن يبنى على الضوابط العلمية الشرعية وبدراسة النصوص وكلام أهل العلم .

٢- دراسة (على سلطان محمد الكواري، ١٤٠٩هـ) بعنوان: "الوقاية من **الجريمة** في الشريعة الإسلامية، وهي رسالة ماجستير غير منشورة ومقدمة إلى (المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب) ، وقد استخدم فيها الباحث المنهج "الوصفي الوثائقي التحليلي" في مجال الوقاية من الجريمة.

وقد هدفت الدراسة إلى:

أ- توضيح دور الشريعة الإسلامية في تحقيق الوقاية من الجريمة من خلال مؤسسات المجتمع.

ب- توضيح مدى أهمية مشاركة الأفراد أجهزة الأمن في التصدي لكل مظاهر الجريمة والانحراف.

جـ- بيان الجهود العربية في مجال الوقاية من الجريمة.

وقد توصّل الباحث إلى مجموعة من النتائج كان أهمها:

أ- الأثر الكبير للتكافل الاجتماعي في مجال الوقاية من الجريمة.

ب- للتحصين العقدي والسلوكي للفرد المسلم أثر كبير في تحقيق الوقاية من الجريمة.

جـ- العقوبات المُقدَّرة وغير المقدرة في حال تطبيقها تؤثر تأثيراً فعالاً في الوقاية من الجريمة.

هذا وقد تناولت الدراسة المشار إليها موضوع الجريمة بشكل عام مستخدمة المنهج الوصفي الوثائقي التحليلي، بينما الدراسة الحالية تتناول جانباً محدداً وهو الانحراف الفكري الذي يؤدي بدوره فيما بعد إلى الجريمة، مستخدمةً المنهج الاستقرائي التحليلي، ومع أن الدراستين تتفقان في كونهما تدرسان الوقاية من الجريمة، وكذا فكلتاهما تتناولان إبراز دور الشريعة الإسلامية في الجانب الوقائي من الجريمة أو مسبباتها.

أهم محتويات الدراسة:

اشتملت الدراسة على خمسة فصول:

الفصل الأول: التحصين العقدي والسلوكي في الإسلام.

الفصل الثاني : السياسة الشرعية ومنهجها في تحقيق الوقاية من الجريمة.

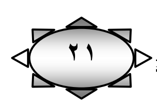
الفصل الثالث: الضبط الاجتماعي في الإسلام.

الفصل الرابع : العقوبة في الفقه الإسلامي وأثرها في الوقاية من الجريمة.

الفصل الخامس : الجهود الدولية والعربية في مجال الوقاية من الجريمة.

وقد استفادت الدراسة الحالية من دراسة (الكواري)، ما يلي:

أ- إبرازها لمنهج الشريعة الإسلامية في الوقاية من الجريمة.



ب- إبرازها لمنهج الشريعة الإسلامية في تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع المسلم.

جـ- اعتمادها على مجموعة كبيرة من المصادر التي ستستعين بها هذه الدراسة إن شاء الله.

٣- دراسة (عبدالله بن هلال الحربي، ١٤٠٩) بعنوان: "الجانب الوقائي في الشريعة الإسلامية وأثره في الحد من الجريمة" وهي رسالة ماجستير غير منشورة، ومقدمة إلى (المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب).

وقد استخدم فيها الباحث "المنهج الوصفي المكتبي " معتمداً على "أمهات الكتب والمراجع في أصول العقيدة، وأصول الفقه، وكتب التراث الإسلامي، والندوات العلمية".

وهدفت دراسته إلى:

أ- محاولة إبراز دور الشريعة في الحد من الجريمة:

ب- محاولة تجميع الجانب الوقائي في الشريعة الإسلامية في مؤلف واحد – على حد قوله-

وكانت أهم النتائج التي تمخضت عنها الدراسة:

أ- ضرورة تفعيل دور الوازع الديني لأثره القوي في الوقاية من الجريمة.

ب- أن للتربية الإسلامية الصحية دور قوي في الوقاية من الجريمة.

أهم محتويات الدراسة:

١- دور الوازع الديني في الوقاية من الجريمة.

٢- التربية الإسلامية وأثرها في الوقاية من الجريمة.

٣- أبرز الأساليب للوقاية من الجريمة.

ونظراً لتشابه دراسة (الحربي) مع دراسة (الكواري) التي سبق الإشارة إليها، **فقد اتفقت الدراسة** المذكورة مع الدراسة الحالية في كونهما تهدفان إلى الوقاية من الجريمة، وان كانت كلتا الدراستين تهدفان أيضاً إلى الكشف عن التدابير الواقية من الجريمة.

بينما تسجل الدراسة الحالية اختلافها عن دراسة (الحربي) في التركيز على التدابير الواقية من الانحراف الفكري على وجه التحديد، إلى جانب استخدامها للمنهج الاستقرائي التحليلي وهو الأقرب لطبيعة الدراسة التأصيلية.

هذا وقد استفادت الدراسة الحالية من تناول (الحربي) لمفهوم الوازع الديني وأثره في الحد من الجريمة، إلى جانب مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودوره في الحد من الجريمة أيضاً، إضافة إلى الدراسات السابقة التي اطلع عليها.

<u>٤/دراسة (هشام بن عبدالمحسن بن سعيد، ١٤٠٩) بعنوان : "أساليب حماية النشء من الانحراف في المنهج الإسلامي</u>"، وهي رسالة ماجستير غير منشورة، ومقدمة إلى (المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب)، وقد استخدم الباحث فيها المنهج "الاستقرائي الاستنتاجي".

وقد هدفت الدراسة إلى:

ا ـ الإسهام في تأصيل المفهوم الإسلامي لحماية النشء.

ب- وضع تصور لكيفية الوقاية من الانحراف في ضوء المنهج الإسلامي.

جـ- عرض نموذج تطبيقي للوقاية من خلال دار الملاحظة الاجتماعية(مكان الدراسة).

وكانت أهم نتائج الدراسة:

أ- القدوة والموعظة لهما دور كبير في حماية النشء.

ب- الأسرة مطالبة بدور فاعل في حماية النشء.

جـ- القوانين والأنظمة داخل الدولة لها دور أيضاً في حماية النشء.

وقد اشتملت الدراسة بوجه عام على تمهيد وثلاثة فصول:-

الفصل الأول: منهج الشريعة الإسلامية في تنظيم الحياة الاجتماعية.

الفصل الثاني : مقومات الشريعة الإسلامية في تربية النشء.

الفصل الثالث: مقومات حماية النشء من الانحراف.

ودراسة تطبيقية على واقع الخدمات الاجتماعية للأحداث المنحرفين في دار الملاحظة الاجتماعية بالرياض ونموذج مقترح لتنظيم العمل في دار الملاحظة الاجتماعية.

وقد اتفقت رسالة (سعيد) مع الدراسة الحالية في أنها تناولت موضوع حماية النشء من الانحراف، ومنهج الإسلام في هذه الحماية، وإن كان مفهوم الانحراف في الدراسة المشار إليها عام، وفي الدراسة الحالية محدد بكونه انحرافاً فكرياً.

وقد استفاد الباحث من الدراسة المشار إليها في جانب حماية النشء وهو ما ستسعى الدراسة للتأكيد عليه بحثياً حيث إن النشء هم شباب ورجال المستقبل ووقايتهم من الانحراف خير من علاجهم منه.

٥- دراسة **(عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، ١٤١٧) وهي بعنوان : "الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة"** وهي رسالة ماجستير منشورة، كانت مقدمة لقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج العلمي التحليلي ومنهج تحليل المضمون، كلا حسب ما تقتضيه ظروف الدراسة.

وقد هدفت دراسته إلى :

أ_ البحث في حقيقة الغلو: معناه وحجمه وطبيعته.

ب - البحث في مظاهر الغلو الموجودة، ونقدها في ضوء النصوص والقواعد الشرعية.

وكان أهم ما حققه الباحث من نتائج لمواجهة الغلو كالتالي:

١ / أن الإسلام دين يسر وتيسير على الناس ورفق بهم ولين في دعوتهم .

٢/ أن الغلو في الشرع مجاوزة الحد مدحاً أو ذماً على ما يستحق .

٣ / للغلو جذوراً تاريخية وقد استفاد الغلاة المعاصرون من الغلو القديم بتقوية أدلتهم .

٤/ أن للغلو جذور فكرية تتمثل في قضية الحاكمية وقضية المنهج الذي استخدمه الغلاة للوصول لأرائهم .

٥ / أن نفوس من وقعوا في الغلو قابلة له لضعف العلم الشرعي، ولقوة تأثير الفعل المنافي للشرع .

وقد ركزت دراسة (اللويحق) على الجوانب الفكرية في قضية الانحراف من خلال مناقشة قضية الغلو، معتمدة على الشريعة الإسلامية، وهو ما تنحو إليه الدراسة الحالية إن شاء الله بالإضافة إلى شمولية نظرة الدراسة الحالية إلى عوامل وأشكال وأسباب ومظاهر الانحراف الفكري من خلال الشريعة أيضاً.

واشتملت دراسة اللويحق على أربعة فصول وهي كالتالي :

الفصل الأول : تمهيد .

الفصل الثاني : جذور الغلو في الدين وطبيعته في حياة المسلمين المعاصرة

الفصل الثالث : مجالات الغلو العقدية والتشريعية .

الفصل الرابع : مجالات الغلو العملية والسلوكية .

هذا **وقد استفادت** الدراسة الحالية من دراسة (اللويحق) في قدرتها على التركيز على جانب الغلو وهو من أهم مظاهر الانحراف الفكري المعاصر، إلى جانب الاستفادة من سعة الاطلاع، وامتلاك القدرة على توصيل الفكرة اعتماداً على قدر كبير من المراجع المصادر، وهو ما ستسعى الدراسة الحالية للاستفادة منه بحول الله.

المبحث الثالث

تنظيم فصول الدراسة

ويشتمل هذا المبحث على مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، وخاتمة وفهارس:

المقدمة:

الفصل التمهيدي

المدخل إلى الدراسة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإطار المنهجي.

المبحث الثاني: الدراسات السابقة.

المبحث الثالث: تنظيم فصول الدراسة.

الفصل الأول

الانحــراف الفكري

وفيه تمهيد وأربعة مباحث

المبحث الأول: مفهوم الانحراف الفكري.

المبحث الثاني: أسباب الانحراف الفكري

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف الفكري

المبحث الرابع: آثار الانحراف الفكري.

الفصل الثاني

أهم التيارات الفكرية المنحرفة في المجتمع الإسلامي

وفيه تمهيد ومبحثان

المبحث الأول: أهم التيارات الفكرية المنحرفة الداخلية.

المبحث الثاني : أهم التيارات الفكرية المنحرفة الخارجية.

الفصل الثالث

التجريم والعقاب على الانحراف الفكري في الشريعة الإسلامية

المبحث الأول: تجريم الانحراف الفكري في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: عقوبة الانحراف الفكري في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث: أثر التجريم والعقاب في الوقاية من الانحراف الفكري .

الفصل الرابع

مواجهة الانحراف الفكري

المبحث الأول: التدابير الواقية من الانحراف الفكري في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: دور مؤسسات المجتمع في الوقاية من الانحراف الفكري.

الخاتمة وتشتمل على :

النتائج والتوصيات

المراجع.

فهرس المحتويات

الفصل الأول

الانحراف الفكري

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيـد:

إن التـزام الكتـاب والـسنة بفهـم سـلف الأمـة هـو الأسـاس العاصـم مـن الانحراف الفكري في الأمة على المستوى الفردي والجماعي ، وذلك بدلالة الكتاب والسنة ،وإجماع السلف الصالح من أصحاب النبيﷺ والتابعين لهم بإحسان على ذلك ،قال تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)[1] **وقال سبحانه (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)**[2].

أما دلالة السنة على هذه الحقيقة فواضحة من خلال الأحاديث الكثيرة الحاضة على التزام الوحيين والاستمساك بهما قال النبي ﷺ (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)[3]

وأما أقوال الصحابة الكرام رضي الله عنهم في تأكيد هذه الحقيقة فأكثر من أن تحصر ، وأكتفي منها بقول اشترك فيه صحابيان جليلان هما عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما – أنهما كانا يقولان إنما هما اثنتان الكلام والهدي ، فأحسن الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ [4]

ولو قدر اتفاق المنتسبين للعلم الشرعي والدعوة والإرشاد في كافة البلاد الإسلامية على التزام هذا الأساس ، التزاما صادقا نابعا من اقتناع جازم لقل الانحراف الفكري خصوصا شيئا فشيئا إلى أن يذهب بالكلية ، غير أن هذا غير متصور واقعا في الأمة كلها ، لأنه مخالف لما أخبر به النبي ﷺ من سلوك أمته مسلك الأمم السابقة في الافتراق عن المنهج الصحيح بقوله : (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة)[5] ولكن من الممكن حصوله

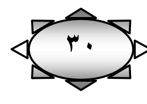
(١) سورة البقرة ، آية: ١-٢.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٩ .

(٣) رواه الترمذي ، كتاب السنة ، (٢٩٩١).

(٤) الشاطبي، الاعتصام ٦٩/١

(٥) رواه الترمذي، كتاب الإيمان ، (٢٥٦٤) .



في بلد دون آخر وفي طائفة من الأمة لا في جميعها لقول النبي ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي على الحق)[1]

ولذلك فإنه لا سلامة من الانحراف عن الطريق المستقيم إلا باتباع هذا المسلك العظيم ،ولا يمكن أن تكون طائفة على الحق مالم تلزم هذا الأصل علماً وعملاً فهماً وسلوكاً .

وثانياً :العناية بالعلم الشرعي بشكل عام من أهم أسباب الوقاية من الانحراف الفكري ، وضعف العلم وذهاب العلماء من أعظم أسباب الانحراف ،كما دلت على ذلك السنة المطهرة بقوله ﷺ (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[2].

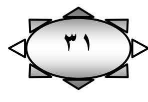
فهذا الحديث يؤكد أهمية وجود العلماء كضمانة للاستقامة على الحق ، وأن فقدهم سبب عظيم من أسباب انحراف الناس وضلالهم ، ولا ريب أن هذا يؤكد ضرورة العناية بالعلم الشرعي واستمرار وجود العلماء في الأمة ، واستمرار وجود من يأخذ عنهم ويتتلمذ عليهم ، ليكون خليفة لهم ، وقد كان هذا بحمد الله مستمرا في الأمة الإسلامية طوال قرون ، وإن ضعف الإلتزام به في بعض الأزمنة والأمكنة وفي بعض الأحوال ،

وقد نبه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى أهمية العلم وكونه مضاداً لمظاهر الانحراف وعاملا من عوامل الثبات على الحق فقال : (عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ماعنده ،وستجدون

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، (٦٧٦٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم ، (٩٨).



أقواما يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم ، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق)[1]

ومما يؤكد أهمية العلم كضمانة حقيقية ضد الانحراف ما نلحظه في الواقع من أنه كلما قل العلم بالكتاب الكريم والسنة المطهرة في مجتمع ما كلما بدت ظواهر الانحراف الفكري جلية واضحة،وأبرزها الانحراف الفكري فنجد أن البئيات التي يقل فيها العلم يسهل على الدعوات المضللة والأفكار المنحرفة أن تجد فيها قبولا وتأثرا بها ، وعلى العكس من ذلك البيئات التي ينتشر فيها العلم الشرعي

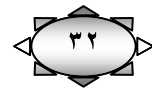
وهذا ملاحظ في واقع الأمة فإن البيئات التي لم ينتشر فيها العلم الشرعي تكثر فيها البدع والانحرافات [2].

المبحث الأول

مفهوم الانحراف الفكري

(١) الشاطبي ، الاعتصام ٧٩/١.

(٢) الزايدي ، عبدالله عبدالعزيز ، الوقاية من الانحراف الفكري ، ص٥٦-٥٨.



ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الانحراف الفكري من وجهة نظر علماء الشريعة.

المطلب الثاني: مفهوم الانحراف الفكري من وجهة نظر علماء النفس.

المطلب الثالث: مفهوم الانحراف الفكري من وجهة نظر علماء الاجتماع.

المطلب الرابع: مفهوم الانحراف الفكري من وجهة نظر علماء السياسة.

المطلب الأول

مفهوم الانحراف الفكري من وجهة نظر علماء الشريعة الإسلامية

إن رسالة الإسلام جاءت بالحق لإنارة آفاق الكمال أمام أعين الناس ، حتى يسعوا إلى دين الله الحنيف على بصيرة ، حيث إن الإيمان: تصديق بالقلب ،وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، ولولا التصديق القلبي فلن يستقيم أمر الإقرار باللسان ولن يستقيم عمل الجوارح[1] .

---

(١) العبد اللطيف ، نواقض الإيمان القولية والعملية ، ج١ ، ص١٥.

كما يتضمن الإيمان : عمل القلب ، مثل: الإخلاص ،الحب ، الخوف، الرجاء ، التعظيم ، الانقياد ، والتوكل ... وغيرها من أعمال القلوب [(١)] .

" وفي الجملة ، فلابد في الإيمان الذي في القلب من تصديق بالله ورسوله ، وحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإلا فمجرد التصديق مع البغض لله ورسوله ، ومعاداة الله ورسوله ليس إيماناً باتفاق المسلمين " [(٢)] .

كما يجلي ابن القيم أهمية أعمال القلوب فيقول: " أعمال القلوب هي الأصل المراد المقصود ، وأعمال الجوارح تبع ومكملة ومتممة ، وأن النية بمنزلة الروح ، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء ، الذي إذا فارق الروح فموات ، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركة عابث ، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح ، إذ هي أصلها ، وأحكام الجوارح متفرعة عليها "[(٣)] .

وقال أيضاً: " ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها ، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب ، وأنها لا تنفع بدونها ، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح ، فعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح ، وأكثر وأدوم ، فهي واجبة في كل وقت [(٤)].

وتمضي الشريعة في غرس الفضائل معتمدة على صدق الإيمان وكماله، على أن بعض المنتسبين إلى الدين قد يتهاونون في أداء العبادات ، ومنهم من يستسهل أداءها ، ويُظهر هؤلاء وأولئك أمام المجتمع أنهم حريصون على إقامتها ، وهم في الوقت نفسه يرتكبون أعمالاً يأباها الخالق الكريم وآداب وقواعد الدين القويم.

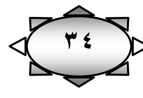
---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ١٨٦/٧.

(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ٥/١٠.

(٣) ابن القيم ، بدائع الفوائد ، ٢٢٤/٣.

(٤) المرجع السابق ، ٢٣٠/٣.



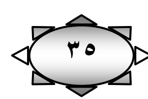
إن القلب إذا استقر فيه الإيمان انعكس ذلك على اللسان قولاً وعلى الجوارح سلوكاً ، وأما إذا تلاعبت الأفكار ، وزاغت القلوب ، كان الميل عن الطريق القويم ، وعن المحجة البيضاء ، وحدث الانحراف ، فأول ما يلفت الإسلام نظر الإنسان أن الجري مع الهوى والانصياع مع وساوس الشيطان التي لا تنقضي ، لن يشبع النفس ، ولن يرضي الله ، فالنفس إذا ألفت موطناً للشهوة أحبت الانتقال منه إلى موطن آخر ، ومثل هذا الانحراف للنفس في وقعها الدائم ، لا تبالي بارتكاب الآثام ، واقتراف المظالم لذلك حذَّر القرآن الكريم من اتباع الأهواء المحرمة : ﴿ **وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الْحِسَابِ** ﴾ [1] .

ولذا فإن الانحراف الفكري ناتج عن الضلالات الاعتقادية التي تنتج عن اعتماد البعض على العقل في تقرير الكثير من الأمور الاعتقادية – كما أشار لذلك ابن تيمية ، وابن القيم رحمهما الله –.

كما أن تقديم العقل على النقل يؤدي إلى الانحراف الفكري ، لأن العقل لا يستطيع حسم الكثير من الأمور والقضايا الغيبية التي يجب على الفرد المسلم أن يؤمن بها إيماناً راسخاً ، فبالنقل نعتقد ونؤمن ، وباستخدام العقل نفهم وندرس ونستنتج ، وبالتالي فكل اعتقاد ، أو كل قول يقال باللسان ، أو كل سلوك أو فعل مبني على مبررات واهية لا أساس لها في مصادر التشريع فهي في حكم الضلالة والانحراف الفكري ، ومن اتبعها على سبيل التقليد أو الاقتناع فهو منحرف أيضاً ، ولذا قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ**

---

(١) سورة ص ، آية: ٢٦.



آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [١] ، وقال سبحانه أيضاً: ﴿**بَلْ قَالُواْ إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾ [٢] .

وإذا ثبت ـ بعد تتبع أحوال الفرد المسلم ـ أن فطرته قد انحرفت ، وأنه أصبح مصدر عدوان على المجتمع المسلم،وعلى العقيدة الإسلامية،فإنه لا لوم على هذا المجتمع ، وعلى الشريعة الإسلامية إذا حدًّا من عدوان أحد الأفراد، فاقتضت منه وفق ما شرع الله من حدود لحماية ووقاية الجماعة ولمصلحة العدالة من شخص يقابل عدالتها بالظلم ، ويقابل إصلاحها بالفساد (٣).

والانحراف الفكري مركب من كلمتين وبتعريفهما يتضح المراد بإذن الله :

الانحراف : في اللغة هو: الميل قال الزبيدي : انحرف وتحرف مال وعدل عن الشيء ، والتحريف التغيير [٤] وكلمة انحرف انحرافا لا تدل بذاتها في أصلها اللغوي على مدح أو ذم فقد ينحرف الإنسان لقومه أو لعدوه أو ينحرف عن العدو كما قال تعالى ﴿ إلاَّ متحرفاً لقتال ﴾ [٥]

غير أنه جرى استعمالها في الذم غالباً فوصف المرء بالانحراف يكون بالذم غالباً .

---

(١) سورة البقرة ، آية:١٧٠.

(٢) سورة الزخرف ، آية: ٢٢.

(٣) عبدالمجيد منصور ، مصدر سابق ، ص٢٠٧.

(٤) القاموس المحيط ، مادة حرف

(٥) سورة الأنفال آية:١٦ .

وكلمة الفكري نسبة للفكر : والفكر في اللغة عمل العقل ، وفي الاصطلاح عرف بتعريفات عدة منها : أنه يعني أسمى صور العمل الذهني بمافيه من تحليل وتركيب وتنسيق وإرادة ووجدان وعاطفة [1] .

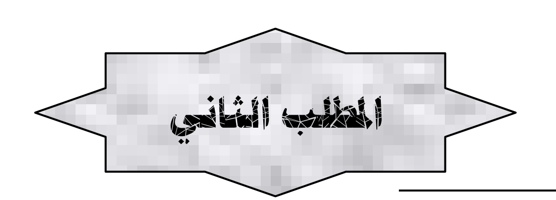
وعلى هذا يمكن تعريف الانحراف الفكري : بأنه العدول عن الحق في أصول الدين وقضاياه الكبرى وثوابته ومبادئه الأساسية ، فكل تفكير خاطئ فيه ميل عن الحق هو انحراف فكري.

أما ضوابط الانحراف الفكري فيمكن إيجازها في الآتي :

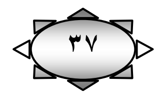
١- كل فكر ورأي مخالف أو مناقض لنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

٢ - كل تأويل للنصوص المتصلة بأصول الدين وقضاياه الكبرى ومبادئه الأساسية لم يقره الأئمة من أهل السنة والجماعة في القرون الثلاثة المفضلة .

وبهذه الضوابط يتحدد ما يمكن وصفه بالانحراف الفكري .



١ - المعجم الفلسفي ، ١٣٧



مفهوم الانحراف الفكري من وجهة نظر علماء النفس

مما تجدر الإشارة إليه أن نظرة علماء النفس نحو الانحراف الفكري لا تختلف في الواقع عن النظرة العامة لأنصار الرعاية الاجتماعية ، حيث إن اتساع مفهوم الانحرافات الفكرية يجعل من الضروري التركيز على فهم الشخصية برمتها ، ويبدو أن غالبية علماء النفس لا ينكرون أهمية بعض القوى الاجتماعية في تكوين الانحراف ، ولكنهم يركّزون اهتمامهم العلمي على شخصية المنحرف ، ومراحل تطور هذه الشخصية [(١)].

وقد عرّف بعض علماء النفس الجريمة بأنها : " إشباع لغريزة الإنسان بطريق شاذ ، لا يسلكه الإنسان العادي حين يشبع الغريزة نفسها ، وذلك لأن أحوالاً نفسية شاذة انتابت مرتكب الجريمة في لحظة ارتكابها [(٢)].

وتقع الجريمة إما نتيجة لإخفاق الشخص في كبت نزعاته الغريزية كلية، وإما بعجزه عن تصعيدها ، وتحويل نشاطها الغريزي إلى صورة مقبولة من السلوك ، وفي الحالين يعبر المجرم عن نزعاته تعبيراً مباشراً ، وقد يفلح في كبت نزعاته واسقاطها في اللاشعور ، ولكنه يعود إلى التعبير عنها رمزياً بسلوك يعتبر جريمة في القانون [(٣)].

وتميل مدرسة التحليل النفسي إلى اعتبار الانحراف الفكري الموصل إلى السلوك الإجرامي على أنه يرجع إلى أحد أمرين:

---

(١) المصدر السابق ، ص٤.

(٢) بهنام ، المجرم تكوينياً وتقويمياً ،ص٣.

(٣) ثروت ، الظاهرة الإجرامية ، ص٩٨.

إما عجز " الأنا " [1] عن الصمود أمام ضغط " الذات " [2] من جهة ، وصرامة " الأنا العليا " من جهة أخرى ، وفشلها في التوفيق بين نزعات الأولى، وقيم ومُثل الثانية ، وإما إلى تخلف " الأنا العليا " [3]ذاتها أو ضعفها بحيث لا تجد " الأنا " رادعاً أو زاجراً ، وفي الحالتين تجد الذات نفسها بغير رقيب فتصنع كل ما يحلو لها ويطيب [4] .

وهناك اتجاه بين علماء النفس يرى أن أي اضطراب جسماني ، أو أي اضطراب عاطفي قد يعيق عملية تطور شخصية الطفل ، وهذا يؤدي إلى ظهور انحرافات نفسية حادة ، قد تقود أحياناً إلى سلوك غير اجتماعي ، أو سلوك إجرامي [5] .

ومن هنا نستطيع القول إن أنصار هذا الاتجاه يفترضون أن الصراعات النفسية الداخلية التي تبدأ في مرحلة مبكرة من حياة الطفل هي التي تسهم في تشكيل نوع من " الشخصية الجانحة " ، أو المنحرفة ، فالاضطرابات العاطفية التي يعاني منها الطفل في مرحلة مبكرة من مراحل تطور طفولته قد تؤدي إلى ظهور بعض الأنماط السلوكية المنحرفة البسيطة ، كحالة عدم الطاعة ، أو حالة التمرد ، أو قد تؤدي إلى ظهور أنماط شديدة من السلوك المنحرف في حالات أخرى [6] .

---

(١) الأنا أو الذات الدنيا ، وهي النفس الشهوانية المعروفة بأنها مستودع الغرائز والشهوات والدوافع الفطرية ، وتسعى دوماً خلف المتعة واللذة دون اعتبار للقيم والمثل.

(٢) الذات ، وتعرف بالعقل ، ومهمتها كبح جماح الذات الدنيا.

(٣) الذات العليا ، وتعرف بالضمير ، وتتألف من المثل والقيم المتكونة نتيجة للتعاليم والثقافة.

(٤) مهدية شحاته ، منهج الإعلام في مكافحة الجريمة ، ص١٠.

(٥) سامية جابر ، الانحراف الاجتماعي بين النظرية والواقع الاجتماعي ، ص١٧٨.

(٦) المصدر السابق ، ص١٧٥.

ولما كانت ظاهرة الانحراف الفكري ، وما تمخض عنها من سلوكيات منحرفة قد شاعت ، وتعددت الدراسات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية من أجل تفسيرها ، والبحث عن أسباب علاجها ، فإن الملاحظ أن هذه الدراسات في معظمها قد ركّزت على السطح الخارجي ، وبالتالي فهي تتعامل مع الانحراف الفكري، وما تمخض عنه من إرهاب كظاهرة مادية ملموسة تقع في العالم الخارجي ، وإن كانت الدراسات النفسية تدخل في أعماق نفس المنحرف فكرياً ، إلا أنها لا تتطرق إلى عقله إلا باعتباره مريضاً عقلياً ، فيعتبرونه سادياً [(١)] أو عصابياً [(٢)] أو نرجسياً [(٣)] وهكذا ، ومثل هذه الدراسات مفيدة في تحليل الظاهرة، إلا أننا نحاول أن لا ننظر للمنحرف مثل هذه النظرة باعتباره مريضاً عقلياً أو مختلاً، وإن كان هذا يصدق في أحيانٍ كثيرة ، إلا أن المفترض أن يتم تناول المنحرف في صورته العاقلة السوية ، حيث إن المنحرف في هذا المستوى يتمتع بقدرات عقلية عالية ، إلا أنه على الرغم من ذلك لا يتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم [(٤)].

ولا شك أن تجاوز الظاهرة بشكلها الواقعي ومحاولة الوصول إلى الفكر النظري الذي يقف وراءها ، والذي يعمل على تشكيلها على النحو الذي يظهر به أمامنا يحتاج إلى الجواب على تساؤلين هما:

- هل بنية عقل المنحرف تختلف عن بنية العقل السليم ؟ ومن ثم يكون للمنحرف منطق خارق للمنطق المألوف.

---

(١) السادي ، هو الذي يتلذذ بتعذيب نفسه أو يستمتع بحالات الاكتئاب والإحباط التي تنتابه.

(٢) العصابي: هو الذي تنتابه حالات تشنج وصرع ، ويثور لأتفه الأسباب.

(٣) النرجسي: تقول أسطورة يونانية قديمة أن شاباً يسمى " نارسيس " أو " نارجس " نظر في عين الماء فرأى صورته جميلة فعشق نفسه ، وصار المصطلح يدل على من يتحدث عن نفسه كثيراً أو أنه محور الكون.

(٤) ماهر عبدالمحسن ، الأساس النظري للتفكير الإرهابي ، ص٢٢٧.

- إذا كان المنطق أداة محايدة في التفكير يستخدمها المنحرف فكرياً ، والسويّ على حدٍ سواء ، فماذا يكون ذلك الحاجز الخفي الذي يملأ المسافة الفاصلة بين المنطق السليم ، والسلوك غير السليم لدى الإرهابي المنحرف فكرياً [(١)].

وهناك أيضاً اتجاهان يجيبان عن هذين التساؤلين البحثيين:

❖ الأول: قام بالربط بين الإرهاب والتطرف ، معتبراً أن التطرف يمثل انحرافاً في التفكير ، والعنف يمثل انحرافاً في السلوك.

❖ الثاني: قام بالتفريق بين العقل واللاعقل ، معتبراً أن السلوك الإجرامي أو الإرهابي هو سلوك لا يمتُّ للعقل بصلة.

ويرى أصحاب الاتجاه الأول كما يقول أحد الباحثين أن من طبيعة الإنسان السوي أن يكون معتدلاً في كل شؤون تفكيره وسلوكه وحياته ، أما التطرف فهو ظاهرة مرضية تصيب الإنسان الناشئ في ظروف غير طبيعية ، بحيث تترك في حياته عقدة نفسية مزمنة كطلاق الأبوين ، أو الفقر .

والتطرف هنا ليس بالضرورة تطرفاً دينياً ، فقد يكون التطرف نحو الإجرام ، أو السرقة ، أو المخدرات ، والفارق أن الأول يتخذ الدين ستاراً لكل تصرفاته وتطرفه [(٢)].

والتطرف عند أصحاب هذا الاتجاه لا يظهر إلا نادراً بين المتعلمين ، وأصحاب الثقافات العالية ، ويشيع بين أنصاف المتعلمين ، حيث إن مشكلة نصف المتعلم أنه لا يمكن أن يعترف بأنه نصف جاهل [(٣)] . وبسبب هذا الجهل فإن المتطرف أو المنحرف فكرياً لا يلجأ إلى الحوار الفكري لشرح

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٢٨.

(٢) أحمد شوقي الفنجري ، التطرف والإرهاب ، ص١٥.

(٣) ماهر عبدالمحسن ، مصدر سابق ، ص٢٢٨.

حجته ومنطقه ، بل سرعان ما يتهم من يخالفه الرأي بالكفر ، وأنه عدو للإسلام.

ومهما حاولت مجادلة المنحرف فكرياً ، وواجهته بالنص القرآني ، وصحيح الحديث فإنه لا يقتنع ، ولا يغير أفكاره التي نشأت معه وعاش عليها ، ومع مرور الزمن وضع قادة الانحرافات الفكرية لأنفسهم فكراً خاصاً بهم ، يُمْلونه على أتباعهم [(١)].

ومن هنا نستطيع أن نقول أن التطرف والإرهاب وجهان لعملة واحدة ، فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، ومن الطبيعي أن أي إنسان يعيش على مثل هذه الأفكار المنحرفة أن يصطدم بكل من حوله . حيث يبدأ الصدام مع أسرته ثم بأهل الحي ، ثم بالمجتمع ككل ، ثم بالصدام مع الحكومة والدولة . حيث صار معزولاً عن الناس الذين كفّرهم وكفَّر معهم المجتمع ككل [(٢)].

وإذا كان هذا الفريق مازال يتعامل مع الإرهاب كظاهرة لا كنظرية خالصة ؛ حيث يربط بين الإرهاب والتطرف الفكري باعتبار أن الأخير هو الوجه النظري للظاهرة ؛ إلا أنه يعود مرة أخرى ليرد التطرف إلى ظواهر نفسية واجتماعية واقتصادية ، فنجد فريقاً من نفس الاتجاه يقدم تصوراً أقرب إلى النظرية منه إلى الظاهرة ، حيث يرى هذا الفريق أن معنى التطرف أو الانحراف هو الميل عن القصد ، والقصد هو الطريق الواسع الميسر للسلوك فيه ، والمنحرف أو المتطرف هو الذي يميل إلى أحد الطرفين، أو إلى أحد جانبي هذا الطريق الميسر.

ولا شك أن السير بهذا الأسلوب شاق وغير مرغوب فيه ، ومن هنا فقد أطلقوا لقب " الوسط " على الاعتدال ، أو على الشيء المعتدل بين طرفين

---

(١) أحمد شوقي الفنجري ، مصدر سابق ، ص١٦.

(٢) ماهر عبدالمحسن ، مصدر سابق ، ص٢٢٩.

غير مستقيمين حساً أو معنى . واختاروا الاعتدال طريقاً أمثل للسلوك ، والذي يحدد القصد أو الجادة ويعد الميل عنها انحرافاً قد يكون هو الدين أو القانون أو العُرْف العام أو الخاص ، وقد يكون شيئاً آخر يوزن به الفكر والسلوك [١].

وقد يطلق " الانحراف " عرفاً على التفريط والإهمال ، أي في امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، ويطلق على الإفراط والمغالاة في الالتزام ، والانحراف قد يكون في الفكر وحده إذا لم يكن معه سلوك متأثر به، وقد يكون في السلوك وحده مع استقامة الفكر ، وقد يكون فيهما معاً، والتطرف أنواع ، منها التطرف في الرأي ، والتعصب لحكم اجتهادي ليس له دليل قاطع في ثبوته أو دلالته ، وهناك التطرف في العقيدة أو في السلوك، ولكن أخطر أنواع التطرف هو انحراف الفكر ، والبعد به عن القصد ، ذلك أن السلوك نابع منه ومتأثر به [٢].

وقد عبر علماء الأخلاق والتربية عن هذا الأمر بأن كل عمل لابد أن تسبقه خطوات تتمثل في العلم بهذا العمل، ثم الاقتناع به ، ثم توجيه الإرادة التنفيذية ، وبالتالي فالسلوك بغير دافع من رأي أو عقيدة تخبط ، وهو من عمل المجانين والسفهاء الذين لا يعون ما يقولون ، وما يفعلون ، ومن أجل هذا كانت العناية بتقويم الفكر ، وتصحيح الاعتقاد ، هي أولى خطوات برنامج كل إصلاح جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو نادى به زعيم من الزعماء ، وهي في حاجة إلى مدة طويلة ، ومتابعة مستمرة بالوسائل المتعددة لتحويل الفكر إلى مساره الصحيح [٣].

---

(١) الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، المثقفون والإرهاب ، ص١٥.

(٢) الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، المصدر السابق ، ص١٦.

(٣) الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، المصدر السابق ، ص١٦.

وإذا كان أصحاب الاتجاه السابق يعتبرون التطرف انحرافاً في الفكر، فإن أصحاب الاتجاه الثاني الذي تستعرضه الدراسة الآن يصل إلى نفس النتيجة ، ولكن بشيء من المغالاة ، بل والتعسف في بعض الأحيان، حيث يرى أنصار هذا الاتجاه أن تركيبة الذهن – أي التكوين – الذهني للإنسان- تنقسم أساساً إلى نوعين: تكوين ذهني عاقل ، وهذا هو الطبيعي والناضج ، وتكوين ذهني لا عاقل ، وهذا هو التكوين الذهني غير الطبيعي ، أي الناقص أو المريض بدرجة أو بأخرى ، والتكوين الذهني العاقل ، أي الطبع الإنساني السليم ، قد يكون من نوع فكري ، أي متخصص في التفكير ، وقد يكون غير فكري ، أي تكويناً ذهنياً سليم التلقائية ، أي ضمير تلقائي رغم نقص قدراته الفكرية ، وفي مقابل ذلك يوجد التكوين الذهني اللاعاقل ، وهذا يكون من نوع غير مرضي سواء مؤقتاً أو دائماً ، ولكن لا يصل إلى درجة المرض العقلي ، ومن أمثلة ذلك ، النوع الأول من اللاعقل ، نقص العقل عند الأطفال ، وكذلك نقص العقل عند الأشخاص غير الناضجين في الإدراك عموماً ، وعديمي الخبرة ، أو ضيقي الأفق ، أو الجاهلين المتصفين بالغشومية خصوصاً [(١)].

أما النوع الثاني ، والأخطر في التكوين الذهني اللاعاقل فهو التكوين الذهني المريض المحطم ، والذي تنشط فيه بشكل خاطئ فئة المحطَّمين أو المحطِّمين ، أو المشوَّهين والمشوِّهين (بالفتح والكسر في الحالتين) باعتبارهم من أخطر فئات اللاعقلاء المعادين للحق والخير ، وأخطر ضحايا اللا إحساس من الأشرار والمجرمين ، وهذا النوع يتكون من فئات متعددة ومتنوعة ، ومن هذه الفئات فئة محدودي المرض العقلي ، أي ذوي الأمراض العقلية المحدودة الذين يصل نقص التفكير والإدراك العقلي عندهم إلى درجة الشذوذ والمرض ، ولكن في جوانب أو محاولات إدراكية معينة لا

(١) إسماعيل المهدوي ، العقلانية الشاملة ، ص١٩٦.

تكفي القدرات العقلية الأخرى ، وأوضح هذه الجوانب أو المجالات التي يمكن أن تصاب دون غيرها بالشذوذ أو المرض ؛ هي تلك المتعلقة بالضمير ، أي بالتفكير والشعور الأخلاقي ، وهي التي نسميها باسم مرضى الضمير ، أو مرضى الادراك الأخلاقي ، والذين قد يتمتعون بإمكانات إدراكية تصل إلى حد " الذكاء " لكن فقط فيما يخدم ممارسة وتغطية الشر والإجرام ، وأفعال الإيذاء والإيلام بالآخرين ، وهؤلاء هم الذين يشكلون أخطر اللاعقلاء في المجتمع [1].

وباستقراء هذا الاتجاه نجده يبني تصوره على اعتبار تقسيم الناس إلى فئات تختلف فيما بينها على درجة التعقل ، وبالتالي فهو تصور يعتمد على تحليل العقل لا على النشاط العقلي ، بمعنى آخر هذا التصور قائم على تقويم العقل لا الفكر الذي هو نتاج هذا العقل.

(١) المصدر السابق، ص١٩٧.



مفهوم الانحراف الفكري من وجهة نظر علماء الاجتماع

ولعل أكثر التعريفات شيوعاً عند علماء الاجتماع فيما يخص الانحراف الفكري هو مصطلح " الجنوح " ، حيث لا يكون الاهتمام بالدرجة الأولى بالشخص الذي يرتكب فعلاً منحرفاً بقدر الاهتمام بالشخص الذي يمثل نموذجاً مستمراً في الانحراف لفترة زمنية طويلة ، وهو ذلك الشخص الذي يتخذ من الانحراف أسلوباً لحياته ، ويرسم لشخصيته نموذجاً من الانحراف [1] .

ومعنى الانحراف الفكري في ضوء ما يذهب إليه علماء الاجتماع أنه دائماً نتيجة للشروع في فعل، لأنه قبل أن يُنْظر إلى فعل باعتباره انحرافياً، وقبل أن نصف أي فئة من الناس بأنها منحرفة ينبغي أن يقوم شخص ما بوضع القاعدة التي تحدد الفعل على هذا النحو ، فالأفعال لا تكون ضارة أو مؤذية في حد ذاتها ، وحتى ولو كان الفعل ضاراً بالمعنى الموضوعي أو الشرعي ، فإن هذا القدر يحتاج إلى أن يُكْتشف ، وأن يشار إلى العوامل المؤثرة في توجيهه [2] .

---

(١) بن سعيد ، أساليب حماية النشء من الانحراف ، ص١.

(٢) سامية جابر مصدر سابق ص١٧٩.

وقيل إن الفكر المنحرف هو ذلك الفكر الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية، ولا بالتقاليد ولا الأعراف الكريمة،ولا النظم الاجتماعية التي تجعل أفراد المجتمع ملتزمين بها تجاه دينهم ومجتمعاتهم،ويستند هذا التعريف على قول الله عز وجل:{ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون }[٣] ، وقيل الفكر المنحرف هو المسلك الذي تغيب فيه الرقابة الذاتية للفرد ، والذي ينم عن سلوك عدواني خطير على الفرد وعلى المجتمع ، وهو فكر لا يعترف بدين أو نظام ، ويتستر بالدين والنظام مستغلاً طمأنينة المجتمع وأفراده تجاهه [١].

ويتمثل هذا الفكر في طريقتين:

أولاهما: الطريقة اللفظية، حيث يتم إيذاء الأفراد بالتشويه والوقيعة، وإطلاق الشائعات،

والطريقة الثانية: هي الطريقة العملية المتمثلة في بث المواد التخريبية الهادفة للاختراق عن طريق إنتاج أفلام وصور ومجلات وكتب وصحف وبرامج حاسوبية هدفها تخريب العقول ، وجرح المشاعر ، وإثارة الغرائز ، والتي يتم توجيهها إلى الرجال والنساء والأطفال ، والتي تعتمد على العنف بأشكاله المتعددة ، حيث ينتج عنها آثار سلبية تجعل الفرد مهتزاً خائفاً مستسلماً لتلك المناظر والمشاهد ، ومحدثة خللاً نفسياً وعاطفياً في دورة حياته اليومية [٢].

ويقسم أحد الباحثين منحرف الفكر إلى نوعين:

النوع الأول: هو أحد أفراد المجتمع الذي تم التغرير به لتحقيق الانحراف الفكري عن طريق تحقيق رغبات وطموحات من غرروا به، سواء

---

(٣) سورة آل عمران آية ( ) .

(١) فواز الدخيل ، مجلة الأمن والحياة ، عدد ١٧٨ ، ١٩٩٧ .

(٢) الدخيل ، مصدر سابق ص١٧٨.

أكانوا فرداً، أو أفراداً منظمين، أو غير منظمين، وليس شرطاً أن يقوم بأعمال إرهابية، وجرائم فعلية، وإنما قد يختزنها في فكره، وفي أخلاقياته ومسلكه، ويسمى هذا النوع بالمسلك المنحرف الخامل [1].

وأما النوع الثاني: فهو النشط الذي توكل إليه الأعمال الميدانية، وكلا النوعين يمثلان درجة خطيرة على المجتمع وأفراده [2].

ولذا يمكن القول إن الفكر المنحرف هو ذلك النوع من الفكر الذي يخالف القيم الدينية والأخلاقية والحضارية للمجتمع، ويخالف الضمير المجتمعي، وأهم من هذا كله هو ذلك النوع من الفكر الذي يخالف المنطق والتفكير السليم ، ويؤدي إلى ضرب وتفكك وحدة وكيان المجتمع [3].

وعلى هذا الأساس فالانحراف الفكري يهدف إلى زعزعة الاستقرار الاجتماعي ، والاطمئنان النفسي لدى أفراد المجتمع ، وهذا الفكر المنحرف يعتمد أساساً على التلقين والاستظهار ، والطاعة العمياء ، وينتمي أصلاً إلى التفكير السطحي غير العقلاني الذي لا يحتاج إلى جهد عقلي ، أو منطقي ، أو ذهني ، ولا يقوم على منهجية علمية حقلية ، أو مجردة لإثبات أو نفي ، أو قبول أو رفض ظواهر اجتماعية أو فكرية سائدة [4].

إن هدف الفكر المنحرف ليس الوصول إلى نتائج دقيقة وسليمة ، أو براهين علمية يمكن الاستفادة منها في الحكم على المواضيع والقضايا، أو الظواهر الاجتماعية أو الفكرية ، بقدر ما يهدف إلى زرع البلبلة والشك،

---

(١) الدخيل ، مصدر سابق ص١٧٨.

(٢) الدخيل مصدر السابق ص١٧٨.

(٣) أحسن طالب ، الأمن الفكري ، ص١١٥.

(٤) المصدر السابق ، ص١٠٤.

والتشكيك ، وإسقاط ما هو قائم من فكر وأخلاق ، ومعتقدات ، ونسق اجتماعي وسياسي ، واستبدالها بتوجهات أخرى معروفة أو غير معروفة [(١)] .

وهذا باحث آخر يشير إلى أن هناك أسباباً اجتماعية تقود إلى هذا النوع من الانحراف ، حيث نقل عن (لومبروزو) رؤيته لسلوك الانحراف فكرياً وفقاً لما يلي:

١- المنحرف فكرياً المجبول بالفطرة على هذا الانحراف.
٢- المنحرف فكرياً نتيجة إصابته بمرض عضوي.
٣- المنحرف فكرياً نتيجة حالة جنون أو ما يقع تحت إطارها.
٤- المنحرف فكرياً بفعل مشكلات سيكوباتية لديه.
٥- المنحرف فكرياً بفعل العواطف والانفعالات العابرة.
٦- المنحرف فكرياً بفعل عملية التعود على الانحراف الفكري استناداً على قاعدة (خالف تعرف). [(٢)]

ومن الطبيعي أن هذا التصنيف ليس عادلاً إذا ما أخذ بهذه الصورة ، ولكنه قد يسلط الضوء على عدد من الجوانب المهمة التي لابد من مراعاتها عند اتخاذ الإجراءات التربوية والاجتماعية والتوعوية المتعلقة بوضع برامج أو تصميم خطط للوقاية من الانحراف الفكري ،والذي يهدف إلى التبرير السطحي لبعض المواقف ، أو الآراء ، أو الأفكار ، أو السلوكيات ، باحثاً عن محاولة اكتساب أو انتزاع الموافقة على آراء وأفكار معينة ، وتقمصها في حياة وسلوك أفراد المجتمع ، والإيمان بها إيماناً مطلقاً متجاهلاً أسس الفكر السليم ، وكيفية التعامل مع الظواهر الاجتماعية والفكرية ، ومستهدفاً أيضاً قيم وأخلاق المجتمع وروحه في الصميم ، وإن لم يلق هذا

---

(١) المصدر السابق ، ص١٠٤.

(٢) محمد شحات الخطيب ، الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الدولي والوطني ، ص٥٦.

النوع من التفكير ردة فعل قوية من عموم أفراد المجتمع ، فإن آثاره السلبية ستكون ذات تأثير مدمر خصوصاً في أوساط الشباب والنشء والأطفال.[(١)]



مفهوم الانحراف الفكري من وجهة نظر علماء السياسة

هناك نظريات متعددة تفسر الصراعات الدولية ، ونشوء الحروب بين الدول ، مثل النظرية التجريبية ، ونظرية الطبيعة العدوانية ، ونظرية التأثير والاستجابة ، ونظرية المباراة ، ونظرية الردع[(٢)] ، إلا أن الدراسة تكتفي بمعالجة المسألة على مستوى التحليل الفردي للزعماء ، لأن العقل الجماعي عقل عملي تصنعه الإرادة والسلوك ، بعكس العقل الفردي فهو عقل نظري يقوم على المنطق ، لأن قرار الحرب في معظم الحالات كان وما زال يخضع لقرارات فردية من الزعماء ومستشاريهم ، وإذا أردنا أن نعرف لماذا تنشب

---

(١) أحسن طالب ، مصدر سابق ، ص١١٧.

(٢) عبدالمحسن ، مصدر سابق ، ص٢٤٣.

الحرب ؛ كان علينا أن نتعرف على الأفراد الذين كانوا مسؤولين عن إصدار مثل هذه القرارات [1].

ويستعرض أحد الكتاب في كتابه " لماذا تشب الحرب) صفات الشخصيات التي لها ارتباط بموضوع الحرب ، ومنها الشخصية (الدوجما طبقية) التي تتصف بضيق العقل ، حيث يرفض أصحاب مثل هذه الشخصية قبول أية آراء جديدة تتعارض مع معتقداتهم ، ومن ثم يرتابون في مصادر معلوماتهم الجديدة ، كما أنهم يضيقون بالمعلومات المتضاربة ، ولا يرضون بها ، وهم متصفون بشكل عام بالتشكك ، ويعانون من القلق ، ومن المحتمل أن يتوجسوا من احتمال وجود مُؤامرة وراء هذه المعلومات ، ولديهم استعداد للتغاضي عن الاتجاه للقوة ، وإذا اتصف هؤلاء بهذه الصفات غير المستساغة ، فإننا لن نعجب إذا عرفنا أن واحداً من أرباب الشخصية (الدوجما طبقية) قد شغل منصب القيادة أو شارك في إدارة دفة الأحداث عند حدوث أزمة دولية [2].

وهناك الشخصية السلطوية ، وهي ذات صفات تتضمن الميل إلى الهيمنة على المرؤوسين والميل إلى استخدام القوة ، والضيق بالفوضى ، وإيثار الاختيارات المحدودة المعالم بالاعتماد على النماذج المتطابقة ، بالإضافة إلى الأثر الواضح الذي قد تتركه مثل هذه النوعية من الشخصية في قدرة الأفراد على اتخاذ أية قرارات عقلانية.

إلا أن ما يبدو له أهمية خاصة هو ميل السلطوي إلى اتباع صفات شديدة التعصب للقومية والعنصرية وكلتيهما مرتبطة بمناصرة الحرب والعدوان [3].

---

(١) إريك موريس ، الإرهاب ، ترجمة أحمد حمدي ، ص٦٩.

(٢) جورج كاشمان ، لماذا تتشب الحرب ، ج١ ، ترجمة أحمد حمدي ، ص٦٦.

(٣) المصدر السابق ، ص٧٠.

ومن الشخصيات الأخرى المثيرة للاهتمام في موضوعنا ، الشخصية النرجسية [(١)] ، وقد مال بعض العلماء إلى اعتبار صدام حسين الرئيس العراقي السابق مثلاً من أرباب الشخصيات النرجسية ، إذ يرى بعض هؤلاء العلماء أن صدام حسين يرى في نفسه شخصية تاريخية عظيمة ، ويتصور نفسه زعيماً عالمياً ، حيث يميل إلى تبرير العدوان ، ويراه أمراً له ما يبرره ، وهذه نزعة لا يقبلها ضمير ، ويبدو أن هذه الأحلام بالمجد ومشاعر التميز إضافة على أفعاله العدوانية تخفي في كوامنها الشك في الذات ، وعدم الشعور بالأمان [(٢)].

المبحث الثاني

أسباب الانحراف الفكري

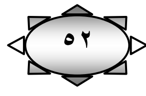
ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول : الجهل بالعقيدة والتشريع الإلهي.
المطلب الثاني : أسباب نفسيه.
المطلب الثالث : أسباب تربوية.
المطلب الرابع : أسباب اجتماعية.

---

(١) سبق تعريف النرجسية في المطلب السابق ، ص٦.

(٢) المصدر السابق ، ص٧١.



المطلب الخامس : أسباب اقتصادية.
المطلب السادس : أسباب سياسية.



الجهل بالعقيدة والتشريع الإلهي

إن نظرة متأنية لأسباب الانحراف الفكري في حياة المسلمين المعاصرة تؤكد أن هذا الانحراف كان نتيجة تراكم عدة عوامل بدأت بعد انتهاء عصر النبوة ، وبدءاً بارتداد بعض المسلمين في عهد الصديق رضي الله عنه ، ثم مع حركة الفتوحات في عهد الفاروق رضي الله عنه ، ثم مع أحداث الفتنة الكبرى في عهد عثمان وعلي – رضي الله عنهما –ومروراً بالدولتين الأموية والعباسية ... إلى يومنا هذا .

فاتساع الفتوحات الإسلامية ، واحتكاك المسلمين بأهل البلاد المفتوحة ، أو بمن جاورها ، ومن ثم تأثرهم بثقافاتهم وأفكارهم كان من أهم الأسباب ، بالإضافة إلى دخول كثير من أصحاب الديانات الأخرى في الإسلام ، مع عدم تخلّصهم من أفكارهم ومعتقداتهم السابقة ، فأثاروا

الشبهات بين المسلمين مع ما صاحب ذلك من ترجمة لكتب الفلسفة والمنطق، وتشجيع دراستها والتعمق فيها [(١)].

وكان دخول بعض المغرضين من اليهود والمجوس وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى في الإسلام المقصود منه الكيد له ، والنيل منه ، ورغبة في تحريفه وهدمه وتبديله ، وذلك بإبعاد المسلمين عن دينهم الصحيح والتشكيك وإثارة الشبهات ، وابتداع العقائد المخالفة لما كان عليه السلف [(٢)]

وسوف تستعرض الدراسة في الفصل القادم صوراً عديدة لهذا ، كعبدالله بن سبأ اليهودي ، الذي تظاهر بالإسلام في خلافة عثمان ﵁ وراح يدس أفكاره بادعاء الوصاية له بعد النبي ﷺ ثم بادعائه الألوهية ، فنشأ عن ذلك مذهب الرافضة [(٣)].

ومثل الدور الذي قام به بشر المريسي اليهودي الذي كان له دور كبير في فتنة القول بخلق القرآن ، وتعطيل صفات رب العالمين ، وما حصل من جرّاء ذلك للأمة والعلماء وبخاصة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله [(٤)].

إن المتأمل في انحراف المنحرفين عن الحق ، يجد أن من أسباب انحرافهم اقتصارهم على الكتاب ، وتأويلهم له على غير ما نزل به ، وفوق هذا جهلهم بالسنة ، وطرحهم لأدلتها ، فأدى بهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة [(٥)].

---

(١) محمد باكريم ، وسطية أهل السنة بين الفرق ، ص٣٣١.

(٢) ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، ج٢ ، ص١١٥.

(٣) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٣٥.

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٢٨١.

(٥) اللويحق ، مشكلة الغلو في الدين ، ج١ ، ص٩٩.

ومن أمثلة ذلك الخوارج الذين ينكرون حجية السنة والإجماع وقد زعمت هذه الفرقة أنه لا حجة في شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن ، ولذلك أنكروا الرجم ، والمسح على الخفين ، لأنهما ليسا في القرآن ، ولم يقبلوا الرواية في نصاب القطع ولا الرواية في اعتبار الحرز فيه[(١)] .

ولا شك أن الابتداع في الدين كان ولا يزال من أعظم أسباب الانحراف ، وكان أحد العوامل التي قضت على وحدة الأمة الإسلامية ، وشتت شملها ، وحادت بسببه فرق كثيرة عن الجماعة الأصل ، والتي أُمِرَ كل مسلم بلزومها [(٢)] .

وكما وقع السابقون من أهل البدع في الانحراف والبدعة بسبب جهلهم بمذهب أهل السنة والجماعة ، وإعراضهم عنه ، وقع اللاحقون من أهل البدع ، فاتبعوا المتشابه من النصوص ، ومن ذلك تطبيقهم الأمور الغيبية التي ورد الإخبار بها في النصوص على أشخاص وجماعات ، ومن ذلك إدعاء أن شخصاً معيناً هو المهدي ، أو أن جماعة معينة هي الجماعة التي ستكون مع عيسى عليه السلام عند نزوله آخر الزمان [(٣)] .

يقول تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ [(٤)] ، ويقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ [(٥)] .

---

(١) اللويحق ، مصدر السابق ، ص١٠٠.

(٢) الحقيل ، الإسلام ينهى عن الغلو ، ص٣٠.

(٣) اللويحق ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١١٤.

(٤) سورة الأنعام ، آية: ١٥٣.

(٥) سورة الأنعام ، آية: ١٥٩.

وقال رسول الله ﷺ - كذا عن عائشة- رضي الله عنها : { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد }[1].

ولعل من أوضح صور الانحراف هو الجهل بمقاصد الشريعة ، ولذا فإن المسلم المكلف محتاج للعلم بهذه المقاصد حتى يتوافق قصد عمل الفرد المسلم مع قصد الشارع في التشريع ، لأن الشريعة وضعت لمصالح العباد ، والمطلوب من المكلف أن يجري على ذلك في أفعاله ، ولا يخالف مقاصد الشارع الذي خلق العباد لعبادته [2].

وإذا كان هدف قيام الشريعة هو جلب المصالح ، ودرء المفاسد؛ فإن معظم مقاصد القرآن الكريم : الأمر باكتساب المصالح وأسبابها ، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها ، وبالتالي قد يحدث أن تختلط المصالح والمفاسد في الفعل الواحد ، أو القول الواحد فيكون فيه مصلحة من وجه ، ومفسدة من وجه آخر [3].

ومن هنا – كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ظهرت أسباب الفتنة بين الأمة، فإنه إذا اختلطت الحسنات والسيئات وقع الاشتباه والتلازم ، فأقوام قد ينظرون إلى الحسنات فيرجحون هذا الجانب ، وإن تضمن سيئات عظيمة، وأقوام قد ينظرون إلى السيئات فيرجّحون الجانب الآخر وإن ترك حسنات عظيمة ، والمتوسطون الذين ينظرون إلى الأمرين [4].

وقد عالج الشرع هذه المسألة فأمر بـ :

١- ارتكاب أدنى المفسدتين للسلامة من أعلاهما.

٢- إهدار إحدى المصلحتين لتحصيل أعلاهما.

(١) رواه البخاري ،كتاب الصلح (٩٥٩/٢) ، ومسلم ،كتاب الأقضية(١٣٤٣/٣) ٠

(٢) اللويحق، المصدر السابق ، ج١ ، ص١١٧.

(٣) اللويحق ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٢٣.

(٤) شيخ الإسلام : الفتاوى ، ج٢٠ ، ص٥٧.

٣- تقديم درء المفاسد على جلب المنافع.

ولعل جهل أهل الفكر المنحرف بانقسام الناس إلى مؤمنين ومنافقين وكفار؛ أفضى بهم إلى ألوان من التشدد والغلو خاصة في التكفير.

ولذا فقد قال ابن تيمة: " الناس ينقسمون في الحقيقة إلى مؤمن ، ومنافق ، وكافر في الباطن مع كونه مسلماً في الظاهر ، وإلى كافر باطناً وظاهراً "[١].

وعليه فإنه يتم الحكم على الرجل بالإسلام الظاهر ، مع أنه قد يكون في الباطن منافقاً زنديقاً ، يُظهر خلاف ما يبطن ، فليس للمسلم إلا الحكم بالظواهر[٢] ، قال ﷺ :{ من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله }[٣].

في جانب آخر يجمل أحد المفكرين وجهين رئيسين للانحراف:

- فأما الوجه الأول: فهو الاستمداد من فكر غير إسلامي ، وحياة غير إسلامية ، ومنهج غير إسلامي ، وتركيب الرقعة المستعارة في الثوب الإسلامي بحجة أنها " لا تتنافى " معه.
- وأما الوجه الثاني: وهو لا يقل خطورة ، أن الانحراف الفكري أحدث وهماً في نفوس الناس – بوعي منهم أو بغير وعي – مؤداه أن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق فيما بقي على حاله من أمور الحياة التي لم تتغير منذ نزول الشريعة الإسلامية ، وأما ما جد من الأمور – وخاصة في القرنين الأخيرين – فإن الشريعة لا تصلح لمواجهته وتوجيهه ، إنما الحل

---

(١)شيخ الإسلام : الفتاوى ، ج٧، ص٤٧١.

(٢) اللويحق ، مصدر سابق ، ص١٦٨.

(٣) رواه البخاري ،كتاب الصلاة (١٥٣/١) .

فيه هو استيراد " القوانين " الصالحة له من الأمم " المتقدمة " التي عانت المشكلة أصلاً واستنبطت لها الحل! [١].

ويؤكد أن التفلُّت البشري من التكاليف كلما امتد الزمان علاجه يكمن في التذكير ، وبالتالي فأحد أسباب الانحراف هو غياب التذكير ، أو بتعبير أدق لم يعد التذكير بالقدر الكافي الذي يمنع الأمة من الانحراف عن الجادة [٢] ، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار دخول أقوام جدد إلى الإسلام باستمرار ، وتزايد الرقعة الجغرافية.

وإذا كان التذكير ليس بالقدر الكافي ولا بالكم الكافي ، فقد جاء تياران مضادان لعملية التذكير ، أحدهما هو (الفكر الإرجائي) الذي يُطْمِعِ العبد في رضا ربه بغير عمل حقيقي بمقتضى الإيمان ، اتكالاً على ما في القلب من مشاعر ، وأما التيار الآخر فهو الصوفية التي تُطمِعِ العبد في رضا مولاه عن طريق آخر غير طريق أداء التكاليف الشرعية وذلك من خلال الأوراد والأذكار والتبرك بالأولياء ، ومجئ المريد إلى شيخه مستسلماً كأنه يتلقى وحياً من السماء [٣].

كان تأثير العوامل الثلاثة السابقة وهي التفلت من أداء التكاليف، والتصوف، وغياب التذكير، منصبّاً كله على العمل بمقتضى الإيمان، أي إبرازه في الصورة السلوكية الواقعية الصحيحة، وبصفة خاصة على " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو الخلاصة الحية لحركة هذا الدين.

وختاماً : فإن الأجيال المتأخرة قد انحرفت مفاهيمها الإسلامية بدءاً بمفهوم العقيدة (لا إله إلا الله) التي أصبحت كلمة تقال باللسان ، والقلب عنها غافل ، والسلوك عنها بعيد ، ومروراً بمفهوم (العبادة) الذي انحصر

---

(١) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ص١٦٠.

(٢) قطب ،مصدر السابق ، ص١٦٢.

(٣) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص١٦٢.

في الشعائر التعبدية – تؤدى أو لا تؤدى - ، إلى مفهوم (القضاء والقدر) الذي تحول إلى قوة مثبطة مخذلة ، إلى مفهوم (التشريع) الذي لا تعمل به معظم المجتمعات الإسلامية ربما باستثناء المملكة العربية السعودية . ، وختاماً إلى مفهوم (الدنيا والآخرة) اللتين انفصلتا وتحولتا إلى معسكرين متقابلين متعاديين [1].



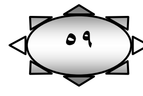
أسباب نفسية

عندما قال رسول الله ﷺ : { لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام } [2] ، كان يهدف إلى النهي عن كل عامل يؤثر على عملية التكيف

---

(١) قطب ، مصدر السابق ، ص١٦٣.

(٢) رواه البخاري ،كتاب الأدب (٥/٢٢٥٣) ، ومسلم ،كتاب البر والصلة والآداب (٤/١٩٨٣) .



الاجتماعي للفرد مع مجتمعه فأمر باجتناب الحسد ، والتباغض ، وسوء الظن ، والخصومة [(١)].

فالتوافق الاجتماعي يشعر الفرد من خلاله بحب الآخرين والثقة فيهم، والقدرة على إقامة علاقات اجتماعية سليمة ، والانتماء للمجتمع ، والاضطلاع بالأدوار الاجتماعية المناسبة ، والتفاعل في الحياة الاجتماعية [(٢)].

وعندما نتأمل في حياتنا المعاصرة نجد أن كثيراً ممن ينطبق عليهم وصف الانحراف الفكري يفتقدون لهذا التكيف أو التوافق مع المجتمع الذي يعيشون فيه ، وتبقى مشكلتهم في أنهم عندما افتقدوا هذا التكيف أو التوافق لم يلجأوا إلى الأساليب الشرعية في التغيير ، أو في التعبير عن رفضهم الناس ، بل لجأوا إلى العنف ، وضرورة هجرة مجتمع الكفر من وجهة نظرهم [(٣)].

وقد قسَّم المختصون في علم النفس دوافع الإنسان الضرورية إلى قسمين :

١- الدوافع الفطرية.

٢- الدوافع المكتسبة[(٤)].

فالنوع الأول يتمثل في الحاجة إلى الطعام والشراب والنوم وحتى الإخراج ، وأما النوع الثاني فيتمثل في الحاجات الاجتماعية كالتكيف مع البيئة التي يعيش فيها سواء أكانت هذه الحاجات سوية أم غير سوية ، كحب السيطرة على الآخرين ، والرغبة في الانقياد ، والحاجة إلى تحقيق الدافعية والانجاز ، وحب الظهور ، والتأثير على الآخرين ، وإثارة

---

(١) كمال إبراهيم مرسي : المدخل إلى الصحة النفسية ، ص٩٢.

(٢) اللويحق ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٣٢٥.

(٣) اللويحق ، مصدر السابق ، ص٣٢٧.

(٤) محمد عودة ، وآخر ، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام ، ص٧١ وما بعدها.

اهتمامهم، ويضاف إلى ذلك الرغبة في الانتماء والتعاون مع الآخرين ومشاركتهم .

ويبقى السؤال ماذا إذا لم يستطع الفرد إشباع حاجاته الأساسية سواء أكانت فطرية أم مكتسبة ؟

بديهي أنه سيفقد توازنه الداخلي ، وترتفع عنده درجة التوتر وسيبحث عن طريقة غير شرعية ليشبع بها رغبته عن طريق وسيلة من ثلاث:

١- سيسلك سلوكاً مقبولاً لإشباع حاجاته.
٢- سيسلك سلوكاً غير مقبول يتمثل في استجابات غير مشروعة لإشباع حاجاته.
٣- سيسلك سلوكاً دفاعياً يتمثل في استجابات يلجأ إليها الإنسان عند فشله في إشباع حاجاته كي يخفف من توتره الناتج عن فشله في التنفيذ [(١)].

هذا أمر ، والأمر الآخر أن الانحراف قد يحدث والفرد يعيش في كنف والديه ولكنه لا يحصل على الرعاية الكافية ، ومحروم من التوجيه السليم ، ولعل انحراف أحد الوالدين ، أو الابن الأكبر ، أو الأخت الكبرى أمام الصغير وعلى مرأى ومسمع منه ، فإن ذلك يكون سبباً كافياً للانحراف ، ويكفي أن يشب في مثل هذه البيئة حتى يمتص عوامل وأسباب الانحراف منذ صغره ، خصوصاً إذا وُضع في الاعتبار أن الكبار في الأسرة هم دائماً النموذج والقدوة للصغير .

ويجب الوضع في الاعتبار أن الجريمة هي المظهر الوحيد للانحراف ، فهناك الكثير من الجرائم التي لا يعاقب عليها القانون أو النظام في بعض البلدان ، وتكون سبباً رئيساً في الانحراف ، كشرب الخمر ، أو لعب الميسر ، أو الانحراف الجنسي .

---

(١) عودة ، وآخر ، مصدر سابق ، ص٧٣.

ليس هذا فقط ، بل قد يعاني التلميذ في المدرسة من سخرية زملائه ونقدهم اللاذع له بسبب انخفاض مستواه الاجتماعي والاقتصادي ، أو لوجود عيب جسماني كالعاهة أو تشويه جسمي أو حسي ، وفي هذه الحالة يردُّ التلميذ بسلوك عدواني ، أو بنوع من السلوك التعويضي كأن يسرق حتى يشتري ملابس لمجاراة التلاميذ ، أو بالكذب والإدعاء بأصله الاجتماعي الذي لا يوجد له ، أو بالهروب من المدرسة ، وهذا بداية الانحراف [١].

ومن المعلوم أن إحساس الشخص بالدونية يجعله مكتئباً قلقاً وفاشلاً ، وبانضمام ذلك إلى نقمة الشخص على المجتمع نتيجة ما يراه من ظلم وإهدار للحقوق مع اليأس والإحباط فتتراكم الأحقاد في نفسه ، ولا يجد طريقاً لإثبات وجوده ، وتحقيق ذاته ، وإثبات أهميته ، بل وإظهار تفوقه على جميع الآخرين وفق الأعراف الاجتماعية إلا عن طريق العنف والإرهاب الذي يراه أقرب الطرق ليسبق جميع الناجحين [٢].

إضافة إلى أن محدود الذكاء من الأطفال أو المصاب بضعف عقلي إذا لم تتلاءم موضوعات دراسته مع مستوى ذكائه كان هذا سبباً في تعرض هذا التلميذ لسخرية زملائه ، وتعرضه لعقاب معلميه ، مما يدفعه إلى كره المدرسة ، وينحرف عن الطريق القويم ، كما أن التلميذ مرتفع الذكاء قد ينصرف عن الدرس لأنه يعتبره درساً تافهاً فيلجأ للحديث والمشاغبة والإهمال ، وقد يكره المدرسة التي لا تجاري مستوى ذكائه ، ويسير في طريق الانحراف ويوظف ذكاءه الحاد في عالم الانحراف [٣].

---

(١)بن سعيد ، وسائل حماية النشء من الانحراف ، ص١٣..

(٢) محمد المدني بوساق ، الإرهاب وأخطاره ، ص١٢.

(٣) بن سعيد ، مصدر سابق ، ص١١.

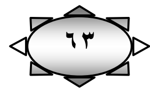
كذلك هناك حاجة ضرورية للطفل في اللعب والتسلية والتنزُّه ،وإن لم يجد الأسرة والمدرسة توفر له هذه الضروريات لجأ إلى الشارع لممارسة نشاطه التلقائي ، ومن المعلوم أن الشارع لا يخلو من المغريات الدافعة للانحراف ، ودوافع السلوك المضاد للمجتمع كاللافتات والإعلانات المثيرة، وخاصة ما يتعلق بالسينما وأنواع السلع المختلفة التي يًحرم منها بعض الصبية لظروفهم الاقتصادية غالباً ، كما أنه يجد في الشارع متسعاً من المكان للعب مع أقرانه من نفس سنه أو أكبر من سنه ، وهنا يتعرض للاختلاط بالصغار الجانحين ، أو الكبار المجرمين حيث يتم استغلاله في تنفيذ أفعالهم الإجرامية ، كما وأن هناك العديد من ميادين الانحراف المؤثرة سلوكياً ونفسياً على الأطفال – وهم في مرحلة التكوين – كالسينما والمسرح والتلفاز وغيرها من الوسائل التي لا تلتزم بقواعد الأخلاق العامة ، وقواعد التربية الإسلامية الصحيحة ، فيتعرض لوسائل انحراف عديدة [(١)].



أسباب تربوية

---

(١) بن سعيد، المصدر السابق ، ص١٦- ١٧.



موقف الدين الإسلامي من العلم موقف راقٍ وأساس ، فمن أهم المبادئ التي دعا إليها الإسلام طلب العلم ، فأوائل الآيات التي نزلت في القرآن الكريم كانت دعوة إلى العلم بالقراءة : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾[1] ، وإلى العلم بالكتابة ، فقال عز من قائل : ﴿ **الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [2] ، ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾ [3] .

والمشكلة أن الأعداء صدّروا إلينا حتى – قضية العلم والتعليم – فقالوا ما موقف الدين من العلم ، ولم يقولوا الدين الإسلامي ، ولم يقولوا موقف الكنيسة من العلم ، وطالما أن الإسلام دين فهو يتناقض مع العلم ، ومن هنا نشأت المعادلة الظالمة التي تقول: إما الدين وإما العلم ، ومن هنا بدأ فصل التعليم عن الدين ، فاتجه الوجهة العلمانية [4] .

ومن هنا اجتهد المستعمرون في استخدام التعليم لتحقيق مآربهم الاستعمارية ، وكانوا عالمين بمدى تأثير التعليم في الوصول إلى تغريب المجتمع ، ومن هنا بدأ ضيقهم من وجود المعاهد الإسلامية ، وبالتالي اجتهدوا في إنشاء المدارس الأجنبية التي تتبع الإرساليات النصرانية من جهة، وإضعاف دور مؤسسات التعليم الديني في العالم الإسلامي من جهة أخرى ، وكان هذا واضحاً عندما حاول محمد علي إدخال العلوم الحديثة ضمن مناهج الأزهر ، إلا أنه خشي من معارضة رجال الأزهر فاتجه إلى بناء التعليم الحديث معتمداً على استقدام الخبرات الأجنبية ، ثم إرسال البعثات

---

(١) سورة العلق ، آية: ١.

(٢) سورة العلق ، آية: ٤.

(٣) سورة القلم ، آية: ١.

(٤) صابر طعيمة ، أخطار الغزو الفكري ، ص٢١٦.

لاكتساب الخبرة من جهة ثانية ، ومنذ ذلك الحين انقسم التعليم في مصر إلى نظام ديني ونظام مدني حديث [1].

لقد كان من حق العلوم الشرعية أن يكون لها نصيب وافر في الجدول الدراسي للطلاب ، ولكن الواقع أنها حصة أسبوعياً أو حصتان في معظم البلدان الإسلامية ، كما جعلت مادة التربية الدينية غير ذات أثر في نجاح التلميذ أو رسوبه في المعدلات النهائية ، وفي كثير من البلدان الإسلامية لا تدرس فيها أي مادة متعلقة بالعلوم الشرعية إلا في الكليات المتخصصة ، وهذا له أثره في انحراف الشباب فكرياً.

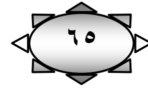
ومن هنا فالخطورة تكمن في إصرار العلمانية الغربية على إبعاد الدين الإسلامي كما أبعدت هي الدين المسيحي وفصلته عن الحياة وعن حركة التعليم والتربية باعتبار أن هذا هو السبب المباشر في التقدم والحضارة والنهضة والتنمية والتطور ، ومؤكدة أيضاً الزعم بأن الغرب لم يتطور ويصل إلى ما وصل إليه إلا عندما تخلى عن الدين ، وبالتالي يريدون أن يؤكدوا لنا أن المسلمين لم يتأخروا ويصلوا إلى ما وصلوا إليه من التخلف إلا بإصرارهم على التمسك بالإسلام [2].

ويرد أحد الكتاب مؤكداً أن هذا شكل من أشكال التغريب الفكري الذي قد يكون أخطر بكثير من التغريب الظاهري في المأكل والملبس، فلكل حضارة منتجاتها التي تتولد عنها ، ولكن لا يمكن صنع حضارة بمجرد تبنّي منتجات حضارة أخرى ، فشراء ما تنتجه الحضارة الغربية من قبل كافة دول العالم لم يجعلها تكسب حضارة أو قيماً ،

---

(١) انظر: اللويحق ، مصدر سابق ، ص٤١٢ وما بعدها.

(٢) طعيمة ، مصدر سابق ، ص٢١٦.



فالحضارة ليست تكديس منتجات ، بل هي فكر ومثل وقيم لابد من كسبها وإنتاجها.[(١)]

إن فكرة التغريب المقصود منها أن تحل القيم الخاصة بالثقافة الغربية محل قيمنا الإسلامية في التعليم والثقافة والتربية وحتى على مستوى السلوك ، وبالتالي فمفهوم التعارف والتعامل المقنن الذي دعت إليه الآية القرآنية الآتية يصطدم – وهذا هو الحادث – في كونهم يهدفون إلى طمس الهوية الإسلامية بكل قيمها التربوية والثقافية والحضارية ليحلوا محلها مفهوماً مغايراً هو أحد مظاهر وأسباب الانحراف الذي نواجهه[(٢)] : ﴿ **يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقبائل لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[(٣)].

وهناك بعد آخر لا يقل أهمية عن قضية التغريب ؛ ألا وهو قضية التنشئة التربوية على غير تقوى من الله ، وإيمان صحيح ، فتنمو نفوس النشء مشوهة على غير أصلها ، ضعيفة لا تصمد أمام تقلبات الحياة العادية، وهذا يؤكد أن مأساة عالمنا العربي والإسلامي نتيجة تخليه عن قيمه الدينية أنه يدفع ثمناً باهظاً بسبب فصل التعليم عن الدين، وفصل العلم عن الأخلاق ، والمادة عن الروح ، ووصل الأمر في بعض البلدان الإسلامية إلى مهاوي الانحلال والإباحية فوقع فريسة شهواته وملذاته ومنها الضياع في عالم المخدرات ، ذلك أن الحضارة الحقيقية هي العودة إلى المبادئ السماوية الإسلامية[(٤)].

---

(١) مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ص٤٢.

(٢) رضوان السيد ، مسألة الحضارة والعلاقة بين الحضارات ، ص٩.

(٣) سورة الحجرات ، آية: ١٣.

(٤) إبراهيم العواجي ، بحث ألقاه في مؤتمر عالمي لمكافحة المخدرات في فيينا ، نقلاً عن خالد الشنتوت كيف نحمي أولادنا من رفاق السوء والمخدرات، ص٦٣.

وقد يتعجب الكثير من الآباء من وجود ضعف الوازع الديني عند أبنائهم ويتساءلون عن كيفية تسلل ذلك إلى أفكارهم وقلوبهم ؟ وجواب ذلك أن المدرسة المعاصرة ، وما بها من مناهج لا تخلو من أفكار علمانية في بعض البلاد الإسلامية ، ووسائل الإعلام ، وما تبثه للمشاهدين من أفلام هابطة ، ومناظر مثيرة ، لا تراعي حرمة الدين ، ولا قيم المجتمع وتراثه ، بجانب الغزو الفكري والثقافي عبر القنوات الفضائية ، ذلك الغزو الجديد الذي يفعل مالا تفعله القنابل والمتفجرات ، لأنه يهدد العقائد الصحيحة ، والأخلاق الكريمة ، والعادات الحسنة ، والشيم الحميدة ، إنه غزو الشهوات والكأس والمخدرات ، هذه الأسباب وغيرها من أهم أبواب تسرب ضعف الوازع الديني إلى أولادنا [١] .

ولا شك أن الأسرة هي المربي الأول للطفل ، وهي المسؤولة عن تكوين أخلاقيات الفرد بوجه عام ، فهي التي تكفل المأوى لصالح الفرد ، وتغذي طفولته بالأمن والطمأنينة ، وتبعد عنه عوامل القلق والاضطراب ، وتمكّنه من الحصول على احتياجاته التي تضمن له النشأة الصالحة بعيداً عن آفات الانحراف أو الإدمان ، أما الأسرة التي يغيب فيها دور البيت وضياع السلطة الوالدية بفقدان الوالدين أو أحدهما بسبب الموت أو السجن أو الطلاق ، كثيراً ما يؤدي إلى نتائج سيئة تهيء للانحراف [٢] .

ولعل من أهم الأسباب المؤدية للانحراف – تربوياً – هو الانحراف الأخلاقي في الأسرة ، فانحراف الوالدين أو أحدهما ، أو انحراف أكبر الأبناء ، أو أكبر البنات ، يعد مشكلة تربوية غاية في الخطورة ، حيث إن الانهيار الخلقي بما يحتويه من انعدام القيم الروحية والخلقية ، وفقدان المثل العليا ، واختلال الضمير والمعايير الاجتماعية داخل جدران المنزل ، يجعل

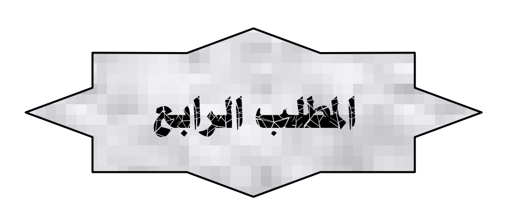
---

(١) الشنتوت ، كيف نحمي أولادنا ، ص٦٣.

(٢) غباري ، الإدمان وأسبابه ، ص٥٢.

الحياة داخل الأسرة مجردة من معاني الشرف والفضيلة ، ويصبح الانحراف وسوء الأخلاق أمراً عادياً ، ربما لا يرى فيه أفراد الأسرة أي غضاضة ، ولا يحسون فيه معنى الخطيئة أو الإساءة إلى هذا النشء النابت [١] .

(١) غباري ، مصدر سابق ، ص٥٣.



أسباب اجتماعية

وتنقسم العوامل الاجتماعية المؤدية إلى الانحراف إلى قسمين هما:

١- العوامل البيئية الخارجية.

٢- العوامل الأسرية.

وهذه العوامل لها صلة وثيقة بالحياة اليومية للفرد ، والتي يمكن أن تتأثر بها شخصيته ، وذلك سواء أكانت تحيط به من داخل المنزل أو خارجه، فقد وجد أن الشارع ، ومنطقة السكن ، والرفاق ، وظروف العمل ، والبطالة لها أثر بارز في نشوء حالة الانحراف [(١)].

أولاً: العوامل البيئية الخارجية:

١) **الفقر** : الذي تعاني منه شرائح كثيرة في بعض المجتمعات ، قد تدفع الشاب – الذي لا يجد في البيت ما يكفيه من غذاء ونفقة وكساء – إلى ترك البيت ، بحثاً عن الأسباب ، حيث تتخطفه أيدي العابثين ، وأهل السوء فيتجه إلى الانحراف [(٢)].

٢) **جماعة السوء** : وهي من أهم دوافع وأسباب الانحراف التي تؤدي إلى انحراف الشباب خصوصاً إذا كان الشاب ضعيف العقيدة ، متميعاً في أخلاقه ، فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار ، ومرافقة الفجار ، ويكتسب منهم أحط العادات ، وأقبح الأخلاق وأخطر الأفكار

---

(١) عبدالمنعم نور ، المدخل إلى الخدمة الاجتماعية ، ص١٦٣.

(٢) عبدالله علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، ج١ ، ص١٢٢.

والاعتقادات ، ويسير معهم في طريق الشقاوة بخطى سريعة [(١)] ، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً * لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾[(٢)].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: { مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير : فحامل المسك إما أن يُحذيك (يعطيك مجاناً) ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة}[(٣)]. والجليس صيغة مبالغة من كثرة المجالسة والملازمة، ولاشك أن للجليس أثراً تراكمياً مندرجاً على شخصية المرء وأخلاقه عموماً .

إن الأصدقاء الذين يرتبطون ببعضهم وجدانياً لهم تأثير قوي وخطير على بعضهم البعض، خاصة إذا كانوا من المنحرفين، ولقد أثبتت دراسات كثيرة أن مدمني المخدرات كان وراء إدمانهم رفقاء السوء، فالرغبة في التقليد والمجاملة والمجاراة والمباهاة، والتفاخر بالرجولة،و التظاهر بالشجاعة هو الدافع الأساسي للانحراف [(٤)].

٣) **الفساد الخلقي في المجتمع المسلم** : إن انتشار مظاهر الرذيلة في البيت ، والمدرسة ، والجامعة ، والشارع ، والمتجر ، والحديقة ، وشاشة التلفاز ، والسينما ، والإذاعة ، إذا أقرها المجتمع وسكت عنها ، يجب عليه أن

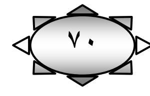
---

(١) المصدر سابق ، ج١ ، ص١٢٢.

(٢) سورة الفرقان ، آية: ٢٧- ٢٩.

(٣) رواه البخاري ، كتاب الذبائح والصيد (٢١٠٤/٥) ، ومسلم ، كتاب البر والصلة والآداب (٢٠٢٦/٤) .

(٤) النعيمي ، المراهقون ، ص٧٠..



يتوقع أنماطاً كثيرة من الغلو والتطرف ، فما بالك إذا كان دور المجتمع هو تشجيع مظاهر الانحراف ودعمها وتبنيها ؟ [(١)].

وينسحب ذلك على أجهزة الإعلام والثقافة التي أصبحت غالباً حكراً لاتجاه معين ، أو مذهب خاص ، أو طائفة محدودة ، فقد صودرت في بعض البلاد الآراء النزيهة المعتدلة ، فضلاً عن الآراء المتطرفة الغالية ، ومثل هذا الوضع لابد أن يولد آلاف الأمراض في المجتمعات [(٢)].

ويضاف إلى ذلك هجمة التيار التغريبي على ديار المسلمين ، وشدة وطأة الغزو الفكري مع ضعف في الولاء للمؤمنين ، وتعلُّق بالغزاة وأفكارهم ومناهجهم في التفكير ، مما جعل التحلل يزداد ، والفواحش تنتشر ، وبات الصالحون لا يملكون القدرة على التغيير ، مما دفع البعض إلى اليأس في الإصلاح ، ومن ثم الاندفاع بقوة وعنف لإصلاح هذه المجتمعات ، ولابد من عودة الأمة إلى منابع دينها الصافية بلا إفراط ولا تفريط [(٣)].

٤) **الفساد العقدي في المجتمع** : إذا ضمرت العقيدة في النفوس على مر الأيام، بدأ الانسلاخ من أركان الدين رويداً رويداً ، فتتعطل الأحكام الشرعية في بعض البلدان ، ويتهاون بعض الناس في الأركان الأساسية للدين كالصلاة والصيام والحج والزكاة ، وحتى الشهادة تتحول إلى ألفاظ مجردة ولا يتبعها أي استقامة ، وحينما تفسد العقيدة ، وتفرغ كلمة التوحيد من محتواها الكامل ، وينحصر الإسلام في مجرد التلفظ بالشهادتين فقط ، ويبعد الدين كله في جانب قصيّ من الحياة ، ويعيش المسلمون حينئذ في وهن وذل وخضوع أمام الآخر ، ويعيش حالة الانهزام أمام الطغيان المادي ، وبهرج الحياة الزائف ، هنا تظهر تلك

---

(١) النعيمي ، مصدر سابق ، ص٧٢ .

(٢) محمد حامد الناصر ، بدع الاعتقاد ، ص١١٠.

(٣) الناصر ، مصدر سابق ، ص١١٠.

الجماعات المنحرفة فكرياً كردود أفعال عنيفة ، مُحاولة التمرد على الواقع المنحرف بجرعات قوية ، تؤدي إلى الغلو والتطرف [(١)] .

٥) السفر للخارج : سفر الشباب – على وجه الخصوص – إلى خارج المجتمع المسلم يوقعه فريسة سهلة لموبقات كثيرة ، حيث يجد الشاب المسلم المحافظ على دينه الشهوات مبثوثة في كل مكان : في الفندق والشارع والمطعم ، بل يجد سماسرة الرذيلة يتلقونه في المطار ، وأينما حلَّ يعرضون عليه خدماتهم في تأمين ما يريد مما حرّم الله ورسوله ﷺ ، وقد يجد هذا الشاب عملاء الصهيونية ، والمنظمات المشبوهة تحت مسميات براقة ، ينتظرونه بفارغ الصبر ، ليؤدوا مهمتهم في إفساد فكر وعقيدة الشباب المسلم، وإدخال سموم المخدرات والانحراف الخلقي إلى مجتمعاتنا . وهنا تأتي ضرورة وجود الرفقة الصالحة وعدم السفر للخارج إلا للضرورة [(٢)] .

أما أهم العوامل الأسرية فهي كالتالي:

١) الفقر : وإذا كنا قد تناولنا منذ قليل الفقر كأحد أسباب الانحراف الاجتماعي ، فالمقصود به هنا الفقر على مستوى الأسرة ، مما يؤدي إلى الكثير من حالات الانحراف الفكري الناتج أصلاً عن العوز المادي [(٣)] .

٢) النزاع والشقاق : وهو مما يقع في حالات كثيرة بين الآباء والأمهات وهو سبب مؤدٍ بلا شك إلى انحراف الشباب ، حيث يرى الشاب ظواهر الخصومة والخلاف أمام ناظريه ، فيؤدي به ذلك إلى ترك البيت ذي الجو

(١) الناصر ،مصدر سابق ، ص١٠٨.

(٢) سلوى سليم ، الإسلام والمخدرات – دراسة سيولوجية لأثر التغير الاجتماعي على تعاطي الشباب للمخدرات- ، ص٢٠٢.

(٣) علوان ، مصدر سابق ، ص١٢٢

القاتم ليبحث عن رفاق يقضي معهم جل وقته ، وهنا سيندفع إلى عالم الجريمة ليصبح خطراً على البلاد والعباد .

٣) حالات الطلاق : وهي من الأسباب المؤدية غالباً إلى انحراف الشباب ، مع ما يصاحبها من تشرد وضياع ، وما يعقبها من تشتت وفراق ، إن الولد عندما لا يجد الأم التي تحنو عليه ، ولا الأب الذي يقوم على أمره ورعايته ، فإنه بلا شك مندفع نحو الجريمة لأنه سيتربى على الفساد والانحراف .

٤) وقت الفراغ : وهو من العوامل الأساسية المؤدية إلى الانحراف ، والمقصود عدم الاستفادة من وقت الفراغ الذي يتحكم في الأحداث والمراهقين ، ومعلوم أن الصغير يكون مولعاً باللعب واللهو ، ميال إلى المغامرة ، محب للفسحة ، والتمتع بالمناظر الطبيعية الجميلة ، ويجب على الأسرة الاهتمام بهذا الأمر ، وإلا فإن الأولاد سيختلطون بقرناء السوء ورفاق الشر ، ويؤدي ذلك إلى شقاقهم وانحرافهم [١] ، والرسول ﷺ يقول: { نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ } [٢] .

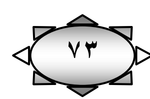
والشاعر يقول : " إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة " .

٥) سوء المعاملة الوالدية : ومن الأمور التي يكاد يجمع علماء التربية عليها ، أن الولد إذا عُومل من قبل أبويه المعاملة القاسية ، وتم تأديبه بالضرب الشديد ، والتوبيخ والتقريع ، والتشهير والسخرية ، فإن ردود أفعاله ستظهر في سلوكه وخلقه ، ولعل ظاهرة الخوف والانكماش

---

(١) علوان ،مصدر السابق ، نفس الصفحة.

(٢) رواه البخاري ، كتاب الرقائق (٥/ ٢٣٧٥)..



ستبدو في تصرفاته وأفعاله ، الأمر الذي قد يؤدي إلى ترك المنزل ليتخلص مما يعانيه من المعاملة الأليمة [1] .

٦) تخلي الوالدين عن تربية الأبناء : وهو من العوامل الرئيسة المؤدية إلى الانحراف ، حيث يتهاون الأبوان في تربية الأبناء التربية الإسلامية الصحيحة ، وترك هذه المهمة إلى خادمة أو مربية تجهل اللغة والدين وطرق التربية الدينية الصحيحة ، وهنا يكون كالعجينة التي تقوم المربية بتشكيلها كيفما تريد ، وهذا من أخطر العوامل المؤدية إلى الانحراف الفكري بالإضافة إلى انشغال الأب بمطالب الحياة ، وغيابه المستمر عن البيت ، أو لانصرافه في وقت فراغه إلى اللهو والسهر مع الأصحاب ، فلا شك أن الأولاد سينشأون نشأة اليتامى ، ويعيشون عيشة المتشردين ، بل وسيكونون سبب فساد ، وأداة إجرام للمجتمع بأسره[2] .

٧) الانحلال الخلقي : إن الأزياء الفاضحة عدوان على عفاف الإنسان ، وإعنات له وإرهاق لمشاعره ، وإغراء له بإتباع الهوى والانحراف عن طريق الإيمان ،إنها ظلام يهدد نور الاستقامة ، ويثير في الناس نوازع الفساد والاعوجاج [3] .

والشباب – والحالة هذه – هم أشد الناس شقاءً بهذه الفتنة فلا يملك أن يشعر بشيء من الاستقرار أمام ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات الكاشفات عن الجسد ، فضلاً عما تطالبه به الغريزة مما وراء ذلك .

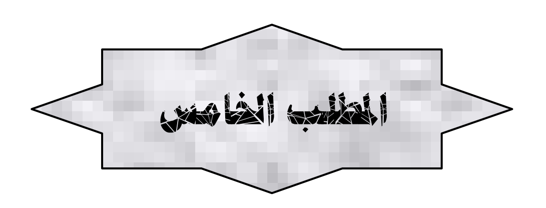
---

(١) علوان ، مصدر سابق ، ص١٢٣.

(٢) محمد إبراهيم الحمد ، التقصير في تربية الأولاد ، ص٢٧.

(٣) مصطفى عبدالواحد ، الإسلام والمشكلة الجنسية ص٩٤.

إن اتجاه بعض مصادر التوجيه والتأثير في المجتمع نحو الدعوة إلى الفوضى الخلقية ، أو تهيئة الأذهان لها أمر له خطره في ميزان الترجيح بين الدعوة إلى الانحراف وبين الدعوة إلى النظام والاستقرار [1].



أسباب اقتصادية

لقد أمرنا إسلامنا بالسعي ، وطلب الرزق ، وعمارة الأرض ، حتى تستقيم أمور الحياة في جانبها المادي ، فهو القائل سبحانه : (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) [2]، وقال ﷺ : { ما أكل ابن آدم طعاماً قط ، خيرٌ من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده } [3].

---

(١) عبدالواحد ،مصدر السابق ، ص٥٣٢.

(٢) سورة الملك ، آية : ١٥.

(٣) رواه البخاري ، كتاب البيوع (٢/ ٧٣٠).

ولذلك نجد في الإسلام أن الجانب الاقتصادي مقترن بالإيمان ، قال ﷺ {المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير }[١] وقال ﷺ: { إن قامت الساعة ، وبيد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل }[٢] ، فقد أمر الرسول ﷺ بغرس الفسيلة مع علمه أنه لن يستفيد منها ، وإنما يفعل المسلم ذلك تعبداً لله عز وجل ، وإيماناً بقيمة العمل الصالح ، وضرورة تنفيذه على الوجه الأكمل(٥).

ومعلوم أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية غير المستقرة والتي لا تحقق الحد الأدنى من سد احتياجات الإنسان الضرورية ، تدفع إلى التعصب ، وتجعل النفوس ميالة إلى رفض الآخرين ، ومن أجل هذا يستغل أصحاب الأفكار والمذاهب المنحرفة ، هذا الجانب لإثارة النفوس على الأفكار والمذاهب السائدة [٣].

ولعل انتشار البطالة في المجتمع من أهم العوامل المؤدية إلى الانحراف ، وخصوصاً بين فئات الشباب المتعلم ، والذي تخرج في الجامعات ولا يجد وظيفة تقيم أوده ، أو تجعله يفكر في الزواج وبناء أسرة خصوصاً إذا كان المجتمع يعاني من الفقر وتردي الأوضاع الاقتصادية ، فالأب العاطل الذي لا يعمل ولا يجد المال الذي يسد به احتياجات أسرته ويؤمن ضروراتهم ومطالبهم الحيوية ، قد يكون هو أول المنحرفين ناهيك عن أفراد الأسرة الذين سيتعرضون للتشرد والضياع ، وانزلاقهم نحو الانحراف والإجرام ،

---

(١) رواه البخاري ، كتاب القدر (١٦٦٤/٤) .

(٢) رواه أحمد ، (١٩١/٣). والفسيلة النخلة الصغيرة .

(٥) اللويحق ، مصدر سابق ، ص٥٣٥.

(٣) اللويحق ، مصدر سابق ، ص٥٣٨.

وربما دفع ذلك أفراد الأسرة إلى التفكير في الحصول على المال بأي وسيلة غير شريفة وغير مشروعة [١] .

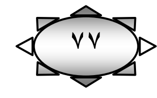
وهناك الطبقية وسوء توزيع ثروات المجتمع ، وهي ظاهرة مرتبطة غالباً بالمجتمعات التي فيها تفاوت ظاهر بين الفقر المدقع والثراء الفاحش ، وهذا التفاوت ، وما ينتج عنه من حرمان اقتصادي ، قد أنتج إحساساً بالظلم والقهر لدى الشرائح الفقيرة أثارت الأحقاد والضغائن والتحاسد والحقد ، من هنا فقد ربط كثيرٌ من الباحثين بين هذه الظاهرة الخطيرة ، وبين أغلب أعضاء التنظيمات الإرهابية المنحرفة الذين ينتمي غالبهم إلى هذه الطبقات الفقيرة ذات الأوضاع الاقتصادية المتردية [٢] .

ولقد تحدث أحد الكتاب عن أهمية العوامل الاقتصادية في تفسير ظاهرة العنف الناتج عن الانحرافات الفكرية فقال : إن في بعض العواصم العربية تجمعات للفقر تكاد تصنع طوقاً حول العاصمة ، وهو طوق يستطيع أن يرى الأضواء ، ولكنه يسير في الظلام ، ويستطيع أن يمس الغني ، ولكنه محروم منه ، ثم ما يلبث العنف أن يبرز في العلاقات ما بين القلب الغني للعاصمة ، والحزام الفقير المحيط بها ، وتولدت الكراهية ، وتولد العنف ، ولم يكن العنف من طرف واحد ، فالإعلام المستفز نوع من العنف ، والاستهلاك المستفز نوع من العنف ، وأزمات الإسكان والأسعار والبطالة نوع من العنف .

ويشير أيضاً إلى أحد أهم بؤر تفريخ الإرهاب والانحراف والجريمة ، حيث ذكرت المحكمة التي حاكمت المتهمين في قضية تنظيم الجهاد بمصر في حيثيات حكمها ، وفي سياق بيان الأسباب التي أدت بالمتهمين إلى ارتكاب الجرائم المنسوبة إليهم أن الدفاع أشار إلى حالة المعاناة التي يعيشها

(١) الحمد ، مصدر سابق ، ص٢٧.

(٢) اللويحق ، مصدر سابق ، ص١٤٠.



المجتمع ، وأن هناك من يسكن المقابر ، ولا يجد قوت يومه ، بينما هناك آخرون جمعوا الملايين في سنوات معدودة [1].

وتعد مشكلة تعاطي المخدرات أيضاً من أهم المشكلات التي تسبب خطراً بالغاً يهدد أمن المجتمع لما يترتب عليها من أضرار بالغة ينعكس أثرها على الفرد والمجتمع ، فالخمور والمسكرات والمخدرات تسبب مخاطر ، ومشكلات عديدة في كل أنحاء العالم ، وفي العالم الإسلامي على وجه الخصوص ، وتكلف هذه المجتمعات فاقداً مادياً وبشرياً يفوق ما تفقده في الحروب المدمرة ، وتحاول الصهيونية العالمية إغراق الكثير من الدول الإسلامية والعربية بالمخدرات ، وذلك عن طريق المنظمات السرية ، والعملاء المجندين الذين تضعف نفوسهم أمام الإغراءات المادية [2].

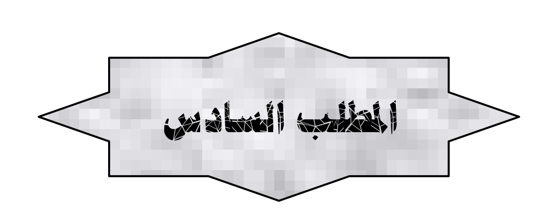
و عندما تنهار عوامل التربية السليمة ، يتخلف النموذج الاجتماعي الواقي من الانحراف ، ويجد الشباب في المخدرات باباً خلفياً لدخول مصطنعة وهمية يحيكها لهم وهمٌ زائف يقوم على أسرار العقاقير المخدرة.[3]

---

(١) اللويحق ،مصدر السابق ، ص٥٤١.

(٢) الشنتوت ، كيف نحمي أولادنا ، ص٦٣.

(٣) محمد فتحي عيد ، جريمة تعاطي المخدرات في القانون المصري والقانون المقارن ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ص٤٦٨.



أسباب سياسية

لاشك أن هناك العديد من جماعات الغلو والتطرف قد بدأت منذ فترة في الظهور في بعض الأقطار الإسلامية ، وهي نتيجة مؤكدة لانحرافات فكرية عديدة أهما :

أولاً/ التحاكم إلى الأنظمة والقوانين الوضعية : ولاشك أن مسألة الحكم بغير ما أنزل الله هي السبب الرئيس للغلو المعاصر ، حيث كانت الشكاية الكبرى للتيارات الإسلامية هي إبعاد الشريعة عن واقع حياة المسلمين ، مما يناقض الإسلام صراحة . ومن رد شرع الله ، ورضي

بالأحكام والقوانين الوضعية فقد كفر بالذي أنزل على محمد ﷺ وارتد عن دينه [1]. كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [2]، وقوله تعالى : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [3].

لقد عاشت الأمة الإسلامية والخضوع لحكم الله حاضر في حسها تحياه قروناً طويلة ، وحين بدأ الانحراف في هذه القضية بدأ في شكل انحراف في الجزئيات لا في الكليات ، وهذا الانحراف الجزئي بدأ مبكراً مصداقاً لحديث النبي ﷺ : { لتنقضن عُرَى الإسلام عُروةً عُروةً فكلما انتقضت عروة تشبّث الناس بالتي تليها ، وأولهن نقضاً : الحُكْم ، وآخرهن : الصلاة } [4].

ويمكن تعداد مراحل الانحراف عن حكم الله في النقاط التالية :

١. كان أول أشكال الانحراف عن الحكم بشرع الله ما قاله – ابن تيمية رحمه الله – في الكلام عن أمراء زمانه : " وعامة الأمراء إنما أحدثوا أنواعاً من السياسات الجائرة من أخذ أموال لا يجوز أخذها ، وعقوبات على الجرائم لا تجوز ، لأنهم فرطوا في المشروع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢. ثم في عصر المماليك كان الحاجب يتولى النظر في أمور متعلقة بالحكم بين الناس رغم عدم أهليته لذلك . فصار يحكم بما يسمى بالسياسة ولم

---

(١) محمد حامد الناصر ، بدع الاعتقاد ، ص١٠٦.

(٢) سورة المائدة ، آية: ٤٤.

(٣) سورة النساء ، آية: ٦٥.

(٤) رواه الإمام أحمد ،(٢٥١/٥) ،وابن حبان ، كتاب التاريخ ١١١/١٥) ،والحاكم في المستدرك، كتاب الأحكام (١٠٤/٤)

يكن ذلك الأمر معروفاً من قبل أن يتجرأ أحد على الحكم في الأمور الشرعية وهو غير مؤهل لذلك .

٣. ووقع في عهد التتار الحكم بـ " الياسق " وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام مقتبسة من شرائع مختلفة (يهودية – نصرانية – إسلامية) فصار الحكم بالياسق مقدم على الحكم بالشرع الإسلامي.

٤. ثم جاءت الدولة العثمانية في مراحل ضعفها فبدأت هي الأخرى مزيداً من الانحراف عندما بدأت تطبيق مجموعة من التشريعات الوضعية ، وكانت أول بلد إسلامي يستمد أحكامه من قانون العقوبات الفرنسي ، وأهم ما استحدثه هذا القانون الأخذ بمبدأ لا عقوبة إلا بنص ، فألغى بذلك ما عرف في التشريع الإسلامي بالتعزير.[١]

٥. وفي مصر بدأ " نابليون " تغيير الشريعة واستبدالها بالقوانين الوضعية ، فأنشأ (محاكم القضايا) وتتكون من مسلمين وأقباط ، وجعل مهمتها النظر في المسائل التجارية والمواريث .

٦. ثم جاء محمد علي ليسلب القضاء الشرعي كل اختصاصاته ، ومن بعده الخديوي إسماعيل الذي أنشأ المحاكم المختلطة من قضاه مصريين وأوروبيين . واستمر الأمر حتى انقطعت الصلة بين الشريعة الإسلامية ، والقوانين المطبقة في مسائل الإجرام والعقوبات ..... الخ.[٢]

ثانياً/ الفساد العقدي : والذي تمثل في الانحرافات الفكرية الكثيرة والخطيرة التي وقعت بعد مرحلة النبوة ومروراً بالتاريخ الإسلامي التي كان أهمها نشوء فرق : المعتزلة ، والمرجئة ، والأشاعرة ، والجهمية ،والشيعة بكل توجهاتها وفرقها ، ودار السجال المشهور المتبادل بين هذه الفرق،

---

(١) اللويحق ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٤٣٦.

(٢) اللويحق ، مشكلة الغلو في الدين ، ج٢ ، ص٤٣٨.

وكلٌ غلا على طريقته فيمَنْ غلا فيه ، وفي العصر الحديث امتلأت الساحة بالفرق والمذاهب والآراء مما كان له أثر كبير في إحداث الغلو،

ونستطيع ذكر اتجاهين من أهم الاتجاهات التي انحرفت والتي كان لها أثرها الواضح :

❖ الاتجاه الصوفي : وسوف تتحدث عنه الدراسة في الفصل الثاني عند الحديث عن(التيارات المنحرفة).

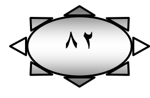
❖ وأما الاتجاه الإرجائي : فينقسم إلى نوعين ، النوع الأول: فهم أولئك المرجئة الذين قالوا بإرجاء الحكم في أمر عليّ وعثمان رضي الله عنهما إلى الله سبحانه وتعالى ، وهؤلاء انتهى أمرهم ، وأما النوع الثاني فأولئك الذين يزعمون أن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب ، أو الإيمان بلا عمل ، أو أن الشرائع ليست من الإيمان[1] .

ويضاف إلى ذلك الفكر الإرجائي ما قالت به الخوارج والمعتزلة من أن الإيمان معنى واحد لا يتبعض ولا يتجزأ .

وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم : لا تُذْهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان ، وفي العهود المتأخرة انتشر قول المرجئة بانتشار المذهبين الأشعري والماتريدي اللذين انتشرا في العالم الإسلامي – إلا من رحم الله - ، بل إن كثيراً من المؤسسات العلمية الشرعية كالجامعات والمعاهد في بعض الدول الإسلامية ، وبعض المنتسبين لبعض الدعوات المعاصرة قد تشبعوا بعقيدة المرجئة.

وقد أسهمت تلك الجماعات في نشر آراء المرجئة التي سارت تبرر للمنحرف انحرافه ، وتهوّن من شأن الكفر والكفار ، وصار انحراف المرجئة يقابله انحراف آخر وهو انحراف الغلاه الذين يكفّرون بالذنب ، وهذا شأن البدع يكفّر بعضها بعضاً ، ويكون بعضها رد فعل لبعض ،

(١) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ص١٦٢.



وكما كان السجال بين الخوارج والمرجئة متبادلاً ، وينتج آراء مبتدعة جديدة ، فإن مرجئة اليوم وخوارج اليوم أيضاً أصبحوا على طرفي نقيض ، فأصبح السجال بينهم مولداً لآراء وأقوال مبتدعة [1].

ثالثاً/السياسة الدولية : ولعل العامل السياسي له دور كبير في وقوع الحوادث الإرهابية بسبب الظلم والجور والكبت والحرمان والتهميش والإهانة والإذلال وتسليط المفسدين على أفراد الشعب من قبل بعض الدول مما يجعل الأحقاد تتراكم حتى تنفجر في صور عمليات إرهابية ، ومن صور الإرهاب الناشئ عن الانحراف في الفكر السياسي ما تمارسه بعض دول الاستكبار والطغيان والإجرام ضد الشعوب المستضعفة وإجبارهم على ترك أرض أجدادهم ، وإذلالهم والاعتداء على مقدساتهم [2].

إن تدمير المساكن وتجريف الأراضي وقتل الشباب وتعذيب الكبار والصغار منهم ، وانتهاك الأعراض يعتبر قمة الإرهاب ، ومع ذلك نجد في العالم من يقلب الحقائق ، ويصبح الجاني هو الضحية ، والضحية ينقلب في نظر العالم إلى جلاد ، والإرهابي عدو الإنسانية وديع ومسالم ومظلوم ومقهور ، وهذا المنطق المجانب لأبسط قواعد المنطق هو من أخطر أسباب الانحراف الفكري وانتشار الأعمال الإرهابية واستمرارها [3].

---

(١) اللويحق ، مشكلة الغلو في الدين ، ج٢ ، ص٤٥٨.

(٢) نبيل حلمي ، الإرهاب الدولي ، ص١٩.

(٣) المصدر السابق ، ص١٩.

المبحث الثالث

مظاهر الانحراف الفكري

ويشتمل على أربعة مطالب:
المطلب الأول : الغلو.
المطلب الثاني : التطرف.
المطلب الثالث : الإرهاب.
المطلب الرابع: مظاهر متعددة.



الغلــو

ويبـدو مـن الـصعب علـى باحـث أن يقـوم بحـصر كـل مظـاهر الغلـو في الـدين خـصوصاً إذا وضـعنا في الاعتبـار اتـساع جغرافيـة العـالم الإسـلامي ، وطبـائع المـسلمين المختلفـة مـن بلـد إلى بلـد ، والعوامـل المختلفـة الـتي أفـرزت مظـاهر الانحـراف والغلـو علـى وجـه التحديـد ، ولكـن حَسْب الدراسـة أن تستعرض في إلمامٍ مُخْتَصَر أهم مظاهر الغلو ومنها :

١- التشديد على النفس [(١)].

إن الله الخالق العظيم ، خلق الإنسان ، ويعلم قدراته ، ووضع لـه مـن التكاليف ما يتناسب وهذه القدرات من خلال الشريعة ، وجعل للمشكلات العارضة رخصاً تخففها رحمة بالعباد ، ونهـى أن يغلو الإنسان فيشدد على

---

(١) اللويحق ، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، ص٣٨٤ ، وابن درع : ظاهرة الغلو في الدين ، ص٢٠٥ ، الدوسري ، الغلو في الدين ووسطية الإسلام ، ص٩٧.

نفسه ، حيث إن التشديد على النفس هو كل عمل أدى إلى مشقة وعنت للإنسان.

فقال تعالى : ﴿ قُلْ يَـأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ﴾ [(١)].

وقد نهى ﷺ عن التشدد على النفس فقال { إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة } (٣).

والتشديد على النفس هو كل عمل أدى إلى مشقة وعنت بالإنسان " والتشديد يكون تارة باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب أو المستحب في العبادات ، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرَّم ، ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات " [(٢)].

٢- تحريم الطيبات :

دعا الله سبحانه وتعالى إلى أكل الطيبات ، فقال سبحانه : ﴿ يأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُواْ صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [(٣)] ، وأوصى عباده المؤمنين بذلك فقال : ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ للَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة المائدة ، آية: ٧٧.

(٣) رواه البخاري ،كتاب الإيمان (١/٢٣) .

(٢) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص٢٨٣ .

(٣) سورة المؤمنون ، آية : ٥١.

(٤) سورة البقرة ، آية: ١٧٢.

ولقد أنكر الله على من حرم زينته التي جعلها لعباده فقال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

ويجب هنا التفريق بين ترك فضول المباح ، وهو مالا يحتاج إليه لمصلحة الدين ، فهذا يثاب المرء عليه ، وبين ترك المباح بالجملة فهذا ليس من الزهد المستحب بل هو تحريم ما أحل الله (٢).

٣- الاغتيـــــال:

وهو من أشد مظاهر الغلو ، ويستند من يقول بجواز الاغتيال إلى قصة كعب بن الأشرف (٣) ، ففي حديث جابر رضي الله عنه ، قال : وفيه ، قال رسول الله ﷺ : { من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله ؟ فقام محمد ابن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال: نعم... } (٤) ، قالوا : فهذا الحديث فيه أمر النبي ﷺ باغتيال إمام من أئمة الكفر.

والاستدلال بهذا الحديث لا يستقيم لما يلي:

أ) لابد أن يكون الاغتيال بأمر الإمام وليس مبنياً على اجتهادات فردية.

ب) الاغتيال لمن يتيقن كفره.

ج) المقتول لابد أن يكون محارباً للمسلمين.

د) لابد أن تؤمن الفتنة من هذا القتل. (٥)

٤-الخروج على الإمام.

---

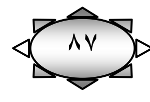
(١) سورة الأعراف ، آية: ٣٢.

(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (٢٠/١٣٣ – ١٣٤) .

(٣) شاعر جاهلي هجا النبي ﷺ فأهدر دمه وأمر بقتله.

(٤) رواه البخاري ،كتاب المغازي (١٤٨١/٤) ، ومسلم ، كتاب الجهاد والسير (١٤٢٥/٣).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٤٥/٧) .



عُلِمَ بالضرورة من دين الإسلام : أنه لا دين إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمامة ، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة ، ومن القواعد المقررة عند السلف الصالح أن من غلب فتولى الحكم واستتب له فهو إمام تجب بيعته وطاعته وعدم الخروج عليه ، وقال الإمام أحمد : " ومن غلب عليهم – يعني : الولاة- بالسيف حتى صار خليفة ، وسمي أمير المؤمنين ، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً ، براً كان أو فاجراً "(١).

٥- تحريم التعليم والدعوة إلى الأمية :

والعلم له أهمية كبيرة في الإسلام ومن ذلك تعلم العلوم البشرية التي يحتاجها البشر في أمور حياتهم ، وهي مذمومة إذا أضرت بالناس وانحرفت عن مقاصدها ، ومما يؤسف له ما أحدثه البعض من تشدد في أخذ العلوم وتعلمها حتى أن بعضهم حرّم هذه العلوم وهذا غلو واضح في الدين ، كما أن تحريم أخذ العلم بالوسائل المتجددة كالجامعات وغيرها هو تحريم بلا دليل ، وهو نوع من الغلو (٢).

٦- الغلو بتحريم العمل في الوظائف الحكومية :

ابتليت الأمة بقلة من الأفراد الذين لم يُعرفوا بعلم ، ولا برأي سديد يحرمون العمل في الوظائف الحكومية بحجة أن الحكام ظلمة وفسقة ويتعاملون بالمحرمات ويوالون الكفار ، ويعادون المسلمين ، ويعطلون حدود الله ويشجعون على الرذيلة والفجور ، وفي الدخول إلى هذه الوظائف إعانة لهم وتشجيع (٣).

٧- الغلو في الرسول ﷺ :

ويعتبر الصوفية من أكثر الناس تطرفاً في فتح باب الغلو في الرسول ﷺ وفي الأولياء ، يليهم في ذلك الشيعة الذين قالوا إن روح الإله قد حلّت في النبي ﷺ ثم في علي وأولاده من بعده .

---

(١) الأحكام السلطانية ، لأبي يعلى ، ص٢٣.

(٢) الدوسري ، مصدر سابق ، ص١١٥.

(٣) المصدر السابق ، ص١١٧.

ولا يخفى على كل ذي عقل أن محبة النبي ﷺ من الإيمان فلا يكمل إيمان المرء إلا بهذه المحبة ، وأن محبته مقدمة على محبة النفس وجميع المخلوقات حتى الوالد والولد والمال والناس أجمعين ، كما في الحديث عنه ﷺأنه قال : { لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين }[1].



التطـــــرف

هناك علاقة وثيقة بين التطرف والإرهاب ، فكلاهما وجهان لعملة واحدة ، وحتى يصير الفرد المتطرف إرهابياً فإنه يميل في الغالب إلى تبنّي مواقف متصلبة من جهة الفهم للنصوص الشرعية في ظل ظروف متغيرة قد تتطلب مرونة في التفسير والفهم ولا تتعارض مع مقاصد الشريعة وأسس العقيدة . وقد يلزم هذا الإنسان اتجاهاً مخالفاً ، بل ومعاكساً في بعض الأحيان لخصم حقيقي موجود في الواقع أو الخيال [2].

(١) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، (١٤/١) ، ومسلم ، كتاب الإيمان (٦٧/١) .

(٢) عبداللطيف فرج : مهمة مدير المدرسة تجاه السلوك المنحرف ، ندوة المجتمع والأمن ، ص٦.

ويبدأ موقف الفرد المتطرف أولاً بالانعزال والمقاطعة المبنيين على إصدار حكم فردي على المجتمع بالكفر والارتداد وبالعودة إلى الجاهلية ، ثم يتحول هذا الفرد من مرحلة التطرف ، أو الانحراف الفكري أو السلوك هذا ..... إلى استعمال وسيلة العنف مع الغير ، حيث يرى المتطرف أن هدم المجتمع ومؤسساته هو نوع من القربى إلى الله ، وجهاد في سبيله ، وذلك بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو لتحقيق المبادئ التي يؤمن بها هذا الفرد أو جماعته الدينية أو السياسية ، فإنه يخرج من حدود الفكر إلى نطاق الجريمة ، ويتحول إلى إرهابي [(١)].

ومجالات التطرف والغلو لم تعد فقط في الدين ، بل في مختلف ممارسات الحياة اليومية ، فقد يكون التطرف في الفكر أو في السلوك ، أو فيهما معاً ، وقد يكون في المعاملات داخل الأسرة ، أو مع أفراد المجتمع، وقد يكون هذا التطرف في المجال السياسي ، فنجد السياسي متسلطاً لا يقبل أي نوع من أنواع الرأي والحوار ، وقد يكون التطرف في العرف العام أو العرف الخاص ، أو في الإجرام ، وفي تجارة وتعاطي المخدرات ، وقد يكون في السرقة ، أما التطرف الديني فالمقصود به سوء فهم النصوص الدينية الذي يؤدي إلى التشدد والغلو ، وهو يطلق عادة على بعض الأفراد الذين يلجأون إلى التفسير عن جهل بأمور الشريعة والعقيدة وأصول الفقه ، وبالتالي فإن الناس غالباً ما تقع فريسة لهذا التضليل .

ومن أهم مظاهر وسمات التطرف:

١- الجور على حقوق يجب أن تُراعى، وواجبات يجب أداؤها.

٢- سوء الظن بالناس ، والنظر إليهم بما يُخفي حسناتهم ويُضخم سيئاتهم.

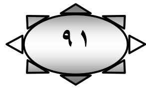
(١) حسين عبدالحميد رشوان : الإرهاب والتطرف ، ص٣٥.

٣- الغلظة في التعامل والخشونة والجفاء في الأسلوب ، والفظاظة في الدعوة .
٤- أغلب المتطرفين من أنصاف المتعلمين ومصادر تعليمهم محدودة.
٥- يُبيح المتطرف القتل والتمرد وتخريب الممتلكات العامة.
٦- العزلة عن المجتمع وهجر الوظائف الحكومية ، ورفض التجنيد الإلزامي في الدولة التي تطبق هذا النظام ، وإن دخلوا سرعان ما يهربون.
٧- يحرّمون جميع أنواع التعامل مع البنوك.
٨- لا يعترفون ببطاقات الهوية الشخصية والعائلية ، ويحرمون التلفاز والإذاعة مطلقاً باعتبارهما من وسائل الشيطان [(١)] .
٩- كما تتسم شخصية المتطرف بالأسلوب الجامد المغلق في التفكير ، وعدم القدرة على تقبل أي أفكار تخالف ما يعتقد ، وليس لديه القدرة على التأمل والتفكير.
١٠- الخروج على الحكام من أبرز سماتهم ، ودليلهم في ذلك تكفيرهم لعدم حكمهم بما أنزل اللّه.
١١- المتطرف سريع الانفعال والاندفاع نحو العدوان والعنف والغضب.
١٢- الحكم على المجتمعات الإسلامية المعاصرة بكونها مجتمعات جاهلية والحكم على من لا يهجرها بالكفر.
١٣- الحكم على بلاد الإسلام التي لا تقيم الحكم الشرعي بأنها دار كفر.
١٤- يرجعون في جذورهم للخوارج في مسألة التكفير [(٢)] .

---

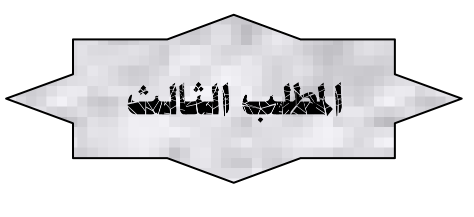
(١) رشوان ، مصدر سابق ، ص٣٦ ـ٤٧.

(٢) خالد عبدالرحمن العك ، عوامل التطرف والغلو والإرهاب ،



١٥- والتعصب من أبرز الخصائص المميزة لهم لأنهم يصادرون الرأي الآخر ، ويستبيحون دماء المسلمين لأنهم خارجون عن الإسلام وكفار.

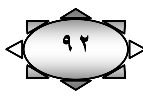
١٦- جهلهم بمقاصد الشريعة بما يؤدي إلى الخطأ في الاستدلال بالنصوص [(١)].



الإرهــــــاب

يتوسع بعض الباحثين والخبراء في مفهوم الإرهاب ليشمل الهجمات ضد الأشخاص، والممتلكات، ويأخذ بعضهم في الحسبان بواعث الفاعلين، فيتم التفريق بين الهجمات الجنائية ، والهجمات السياسية ، ويخلط البعض الآخر

(١) محمد بيومي ، ظاهرة التطرف ، ص١٠٣.



بين الإرهاب المحظور ، وبين الحق في المقاومة والاستخدام المشروع للقوة لإنهاء الاحتلال ، وممارسة حق تقرير المصير [(١)].

وهناك تزييف واضح للحقائق لاحظه كثير من الباحثين والدارسين عند الفصل المتعمد والمقصود بين وصم مجموعات معينة أو منظمات بعينها بالإرهاب ؛ بينما يتم استثناء دول أخرى ، وهناك من يعتبر جماعة معينة إرهابية وبين عشية وضحاها تعتبر منظمة مشروعة ، والعكس صحيح [(٢)] ، والأمثلة على هذا واضحة .

ويسوق أحد الباحثين تعريف الإرهاب حسبما جاء في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب ، فقد نصت المادة (١) فقرة (٢) على أن الإرهاب هو: " كل فعل من أفعال العنف أو التهديد أياً كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أنفسهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر [(٣)].

ويلاحظ أن هذا التعريف فرّق بين الإرهاب والكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي من أجل التحرير وتقرير المصير ، ووضع الفواصل بين الجريمة الإرهابية والجريمة السياسية [(٤)].

بينما تعريف الاتحاد الأوربي فنصَّ على أنه : " أي عمل فردي أو جماعي يؤدي إلى ترويع المواطنين بشكل خطير ، أو يسعى إلى زعزعة استقرار أو تقويض المؤسسات السياسية أو الدستورية أو الاقتصادية أو الاجتماعية

---

(١) محمد الحبيب حريز ، الأمن الفكري ، جامعة نايف العربية ،ص٨٤.

(٢) المصدر السابق ، ص٨٤.

(٣) بوساق ، الإرهاب وأخطاره ، ص٩.

(٤) المصدر السابق ، ص١٠.

لإحدى الدول أو المنظمات الدولية " ، وقد أغفل التعريف الأوربي الكلام حول حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وفي حقها من الكفاح المسلح ضد الاحتلال [1].

أما الولايات المتحدة ووفق تقرير الخارجية الأمريكية عن الإرهاب الصادر في أبريل (٢٠٠١) فالإرهاب هو العنف المتعمد الذي تحركه دوافع سياسية أو يجري ارتكابه ضد أطراف غير محاربة بواسطة جماعات شبه قومية أو عملاء سريين.

كما عدد باحث آخر [2] أنواعاً أخرى للإرهاب كإرهاب السلطة الحاكمة ضد رعاياها ، وإرهاب المقهورين والمظلومين ، وإرهاب الحروب الأهلية الناتجة عن صراع ديني بين مجموعتين تعيشان في مكان واحد ، وإرهاب التخريب وهو إرهاب سياسي غالباً ما يتم تنفيذه بواسطة منظمة كبيرة.

وقد قسّم أحد الباحثين الإرهاب إلى:

أ) إرهاب عقائدي : وهو الإرهاب المسمى باليساري ، أو الشيوعي ، أو إرهاب اليمين المتطرف والإرهاب الصهيوني والهندوسي.

ب) إرهاب وطني : ويشمل العمليات التي تستهدف طرد المحتل.

ج) الإرهاب الديني أو العرقي أو اللغوي : مثل العمليات التي نفذها أفراد طائفة التاميل ضد الحكومة السيرلانيكة ، ومثل عمليات السيخ الهندوسي ضد المسلمين في الهند [3].

ويسوق آخر صوراً ومظاهر أخرى من الفكر المنحرف كا :

---

(١) حريز ، الأمن الفكري ، ص٨٥.

(٢) محمد فتحي عيد ، مكافحة الإرهاب ص٣٠ .

(٣) فرج ،مصدر سابق ، ص٩.

١) الفكر القائم على التنظير المنحرف دون التطبيق ، وهو الفكر الخيالي (اليوتوبي) الذي يتجاهل ظروف التطبيق ، قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾[1].

٢) الفكر الذي يجسّد النزعة الفردية المطلقة ، ونظرته إلى الأمور محدودة ، قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ... ﴾[2].

٣) الفكر التحيزي المعتمد على هوى النفس : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جاءكم رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[3].

٤) الفكر المعتمد على التمايز الاجتماعي (الغني والفقير ، السلطة والقهر ، السلالة أو العرق ، القومية والقبيلة والأسرة ، الجماعة الخاصة ، الجنسية) ، قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾[4].

٥) الفكر القائم على اللعب بالألفاظ والكلمة مع إرادة الإبقاء على الباطل ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة الصف ، آية: ٣.

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣.

(٣) سورة البقرة ، آية: ٨٧.

(٤) سورة الحجرات ، آية: ١٣.

(٥) سورة البقرة ، آية: ١٤- ١٦.

٦) الفكر غير المنهجي (المتسيب) الذي ليس له رابط، قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(١)].

٧) الفكر الذي يتجاهل استخلاف الله للإنسان في الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدماء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[(٢)].

٨) الفكر الذي يهمل التاريخ والتراث ويتنكر له ، قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَاأُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[(٣)].

٩) الفكر التائه أو القاصر أو الباطل أو المضلّل والذي لا يراعي المراد والمقصد[(٤)] ، قال تعالى : ﴿ يا قوم لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ ما أريكم إِلاَّ ما أرى وما أهديكم إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾[(٥)].



مظاهر متعددة

١- البغي : والأصل في البغي قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) سورة الملك ، آية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٣٠.

(٣) سورة البقرة ، آية: ٢٨٥.

(٤) انظر: محمد شحات الخطيب ، الانحراف الفكري ، ص٤١ وما بعدها.

(٥) سورة غافر ، آية: ٢٩.

﴿الْمُقْسِطِينَ﴾[1]. وقوله تعالى : **﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**[2]، وقوله تعالى : **﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾**[3].

ومن مظاهر البغي التجسس على الناس والإضرار بالآخرين ، وهتك الأسرار الخاصة بالأفراد ، رغم أن القرآن الكريم ، وسنة نبينا ﷺ قد حثَّا على ضرورة تجنب الممارسات السلوكية القائمة على الانحرافات الفكرية.

ومن أهم مظاهر البغي أيضاً حمل الناس على فعل شيء بعينه دون غيره حتى وإن كان غيره صحيحاً ، وعادة ما يقع البسطاء من الناس ، وغير المتعلمين ، أو غير المتمكنين من العلم الصحيح من الأفراد في هذا النوع من الأفكار المنحرفة [4].

٢- **الجهاد** : وقد لا يعتبر الجهاد واجباً إذا كان لن يحقق المصلحة الشرعية التي من أجلها تم فرضه ، أو إذا تعارض مع هداية الخلائق أو بسبب العجز وعدم القدرة ، أو إذا كان فيه إهلاك للمسلمين وعدتهم وعتادهم ، أو إذا نطق الكافر بالشهادتين ، أو توبة المرتد ، أو إذا كانت المفاسد المترتبة على الجهاد أعلى من المصالح المرجوة منه ، أو إذا كان ما يضيعه من المصالح أعلى مما سيجلبه ، أو إذا ما تم أداء الجزية ، أو في حالة عدم بلوغ الدعوة ، أو إذا كان هناك عقد صلح ، حيث إن تحصيل المصالح أصل من أصول الشريعة [5].

---

(١) سورة الحجرات ، آية: ٩.

(٢) سورة الشورى ، آية: ٤٢.

(٣) سورة الأعراف ، آية: ٣٣.

(٤) الخطيب ،مصدر سابق، ص٢٠.

(٥) أسامة حافظ ، مبادرة وقف العنف، رؤية واقعية ونظرة شرعية ، ص٢١.

٣- **التكفير** : ويعتبر نموذجاً من نماذج الانحراف الفكري ومن أهم مظاهره ، وتستند هذه الظاهرة على الحكم على الناس بظواهر الأمور ، ووصل الأمر إلى درجة التفريق بين المرء وزوجه ، وخروج الأبناء عن الطاعة والولاية ، بل وصل الأمر إلى درجة استحلال الدم ، وعدم تغسيل الميت المكفَّر ، ومنع دفنه في مقابر المسلمين ، ومنع التوريث ، والحكم عليه بالخلود في النار.(١)

ولعل من أبرز مظاهر الانحراف الفكري في بعض المناطق إطلاق الأحكام الجائرة على الأفراد ، أو ربما على السلطة بالتكفير ، أو استحلال حق الغير أياً كان ،وكراهية التقنية الحديثة ، والخروج عن طاعة ولي الأمر سواء أكان الحاكم ،أو العلماء ، أو الأب ، أو الأم ، وكراهية كل المجتمعات ، أو كراهية الإنسان أصلاً ، وارتكاب العديد من المحظورات الشرعية (٢).

ولعل من أسباب انتشار هذا النوع من الانحراف الفكري هو عدم توفر الرقابة الفكرية على المنحرفين ، ومنحهم امتيازات تفوق الجميع ، وخلق الرتب والألقاب ، ومنحهم المناصب والعلاوات ، الأمر الذي ساعد على دخول فئات متعددة إلى دائرة الانحراف الفكري رغبة في الاستفادة من المزايا الممنوحة للمنحرفين فكرياً بقصد أو بدون قصد (٣).

وهذه العقول لا تكتفي بما تلقيه على المسلمين من فساد ، وإنما هي تقوم بارتكاب جريمة مروعة في حق الدين ، حيث تقوم بنسب هذا كله إلى الدين ، ويكون الحكم على من يخالف أفكارهم المروق من الدين ، وصارت تهمة الكفر تهمة هينة عند من أصدرها لا يلقي لها بالاً .

---

(١) محمد عمارة وآخرون ، إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر ، ص١٧١- ١٧٢.

(٢) الخطيب ، مصدر سابق ، ص٢٣.

(٣) الخطيب ، مصدر سابق ، ص٢٢.

ومن الخطأ البيّن أن يتم اتخاذ المواقف ، ويتم بناء الأحكام بعيداً عن النظر إلى وقائع الأمور ، واستقرار المعطيات ، والمعلوم أن مرتكزات الفتوى هي: الدليل الشرعي من الكتاب والسنة أو غيرهما من مصادر التشريع ، ثم النظر إلى الواقع وظروفه ومعطياته (١) .

ومما سبق يمكن القول : أننا بحاجة إلى :

أولاً : تصحيح المفاهيم غير الصحيحة عن الجهاد.

ثانياً : تصحيح المفاهيم المتعلقة بالغلو في الدين وترك الوسطية.

ثالثاً : تصحيح المفاهيم المتعلقة بالعقائد الفكرية.

رابعاً : تصحيح المفاهيم المتعلقة بالتعامل مع أهل الكتاب، خصوصاً في مجال العلاقات الدولية. (٢)

المبحث الرابع

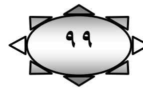
آثار الانحراف الفكري

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

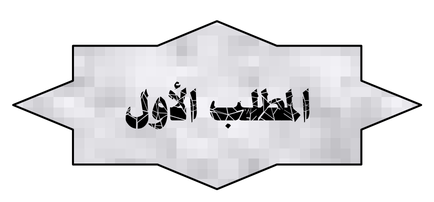
---

(١) أسامة حافظ ، وآخر ،مصدر سابق ، ص٨٧.

(٢) الخطيب ، مصدر سابق ، ص٢٢.

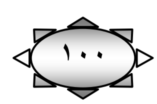


المطلب الأول : التخلف العقدي.
المطلب الثاني : التخلف العلمي والحضاري والاقتصادي .
المطلب الثالث : التبعية الفكرية.



التخلف العقدي

لاشك أن الانحراف الفكري يؤثر بشكل أو بآخر على العقيدة ، وقد ظهر هذا بوضوح في القرنين الأخيرين – والقرن الأخير خاصة – حيث جرى ابتعاد متزايد عن حقيقة الإسلام في نفوس المسلمين مما أدى إلى فساد في التصور وفساد في السلوك ، ولاشك أيضاً أن الفساد السلوكي كان قائماً في عصور سابقة وأدى إلى وبال اجتياح جحافل التتار دولة الخلافة ، وتدفق الصليبيون من الغرب يريدون إطفاء نور الإسلام، لكن التصورات كانت



أقرب إلى الصحة لأن الانحرافات الخاصة بالتصورات كانت ما تزال أقرب إلى الصحة ، والفرق الزائغة كان حجمها ضئيل ، والفكر الإرجائي موجود ولكنه مازال في أبراجه العاجية.[1]

ولكن حين بدأ الفساد في التصور يصبح هو الأصل ، ولم يعد فساد السلوك وحده هو العلة ، أصبح الأمر يحتاج إلى جهود ضخمة لتصحيح المفاهيم ثم تصحيح السلوك [2].

يقول تعالى : ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى** ﴾ [3].

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : { تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي }[4] .

وليس أحد ابتدع وغلا في الدين إلا وضل بإعراضه ، والمبتدع حين أعرض ولاّه الله ما تولّى وأزاغ قلبه جزاء ما عمل من زيغان عن الهدى [5] : ﴿ **فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [6].

وإذا كان الصدق تكليفاً ربانياً ، والأمانة تكليفاً ربانياً ، والوفاء بالوعد كذلك .. فهل هذه التكاليف داخلة في العبادة أم خارجة عنها ، زائدة عليها ؟ ، وكيف تكون خارجة عنها والله سبحانه يقرر بأقوى صيغ التوكيد (النفي والاستثناء) أنه لم يكلف البشر إلا أن يعبدوه : ﴿ **وَمَا**

---

(١) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ص١٦٥.

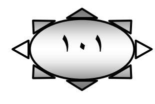
(٢) المصدر السابق ، ص١٦٦.

(٣) سورة طه ، آية: ١٢٣- ١٢٤.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب العلم (١/١٧٢) .

(٥) اللويحق ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٦٦٠.

(٦) سورة الصف ، آية : ٥.



﴿خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1] . ولذا فقد كان فهم الصحابة رضوان الله عليهم هو الفهم الحق ، وكان سلوكهم بمقتضى هذا الفهم هو السلوك الحق [2] .

ولقد خلف من بعدهم أجيال أخذت تتخفف من التكاليف ، فتخرجها رويداً رويداً من دائرة العبادة ، وهكذا تضيق دائرة العبادة تدريجياً حتى انحصرت نهائياً في الشعائر الدينية ولا زيادة ، فخرج الصدق من دائرة العبادة وصار شيئاً جميلاً إن وجد ، وإن لم يوجد فلا بأس .. وهكذا الأمانة والوفاء بالوعد ، وصار عندالناس إسلام بلا أخلاق [3] .

ويشير اللويحق إلى أن الحياة المعاصرة أنتجت أهم آثار الغلو والانحراف وهو التفرق حيث يقول " إن الغلو في حد ذاته مفارقة لجماعة المسلمين بمعنى مفارقة منهج الحق وطريقه ، وأن الغلو في تكفير الحكام والخروج عليهم أديا إلى مفارقة جماعة المسلمين ، وأن الغلو بالتعصب لجماعة من الجماعات وعدِّها جماعة الحق دون ما عداها من جماعات يجب إتباعها وعدم مفارقتها مؤدٍ حتماً إلى نشوء فِرَقٍ شَتّى ، كل فرقة تُكفِّر الأخرى [4] .

هذا الغلو وهذا الفساد العقدي ، وهذا التخلف العقدي المهلك يتسع مع امتداد الفكر الإرجائي المواكب لهذا الفساد والتخلف ، على أساس قاعدته " العظمى " أنه لا يضر مع الإيمان شيء وأن الإيمان هو التصديق ، وأن العمل خارج عن مسمى الإيمان [5] .

---

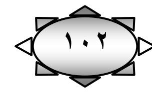
(١) سورة الذاريات ، آية: ٥٦.

(٢) قطب ، مصدر سابق ، ص١٧٠.

(٣) قطب ، مصدر سابق ، ص١٧٠.

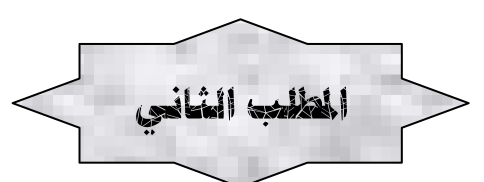
(٤) اللويحق ، مصدر سابق ، ص٦٧٧.

(٥) قطب ، مصدر سابق ، ص١٧٠.



ولقد سأل الرسول ﷺ حارث بن مالك كيف أصبحت ؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً قال رسول الله ﷺ : " إن لكل قول حقيقية ، فما حقيقة ذلك؟ قال : أصبحت عزفت نفسي عن الدنياوأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي قد أبرز للحساب ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة ،وكأني أسمع عواء أهل النار ، فقال له ﷺ : عبد نوّر الإيمان في قلبه ،إن عرفت فالزم [(١)] .

إن فساد الأعتقاد شامل عند الأجيال المتأخرة في مفاهيم الإسلام ، سواء مفهوم القضاء والقدر ، أو مفهوم الدنيا والآخرة ، أو مفهوم عمارة الأرض ، بالإضافة إلى مفهوم العبادة ، ومفهوم لا إله إلا الله ، وسنة الله لا تتبدل ولا تتحول ، " إن هذه الأمة يمكّن لها الله بقدر التزامها بمقتضيات الإيمان لا بمجرد التصديق والإقرار ، وأنها تُزلزَل ويزول عنها التمكين بمقدار ما تنتقص في عملها من مقتضيات الإيمان ، مقتضيات لا إله إلا الله[(٢)] .



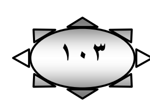
التخلف العلمي والحضاري والاقتصادي

(أ) التخلف العلمي : نتيجة التخلف العقدي نشأت كل ألوان التخلف التي أصابت العالم الإسلامي وتحت تأثير الخدر الذي أنشأه الفكر الإرجائي ، والذي بمقتضاه أن الإنسان مؤمن كامل الإيمان بالتصديق والإقرار ، ولو لم يعمل بمقتضيات الإسلام ، والخدر الذي أنشأته الصوفية

---

(١) رواه بن أبي شيبة في مصنفه ، كتاب الإيمان والرؤيا (١٧٠/٦)،وابن عبدالرزاق في مصنفه ، باب الإيمان والإسلام (١٢٩/١١) .

(٢) قطب ، مصدر سابق ، ص١٧٢.



سواء في تهويمات " الذكر " ، أو في إطماع العبد في مغفرة من ربه بدون عمل بمقتضيات الإسلام ، وتحت تأثير ذلك كله غفت الأمة الإسلامية غفوة طويلة امتدت قرنين من الزمان ، وفي الوقت الذي غفا فيه المسلمون تلك الغفوة الطويلة ، برئت أوروبا من آثار قرونها الوسطى المظلمة وأقامت حركة قوية في جميع المجالات وإن كانت فقيرة في الناحية الروحية والأخلاقية (١) .

لقد كان من مفاخر الحركة العلمية الإسلامية أنها تفتحت للعمل كله وأبدعت في العلم كله(٢) ، وهنا يقول أحد الكتاب : " نحن الآن في سنة ألف للميلاد ، لقد نشر ابن النديم تاجر الكتب في بغداد فهرساً للعلوم يضم عشرة مجلدات ، أسماء جميع الكتب التي صدرت باللغة العربية في الفلسفة وفي الفلك والرياضيات والتطبيقيات والكيمياء والطب حتى ذلك الحين " .

" وفي الأندلس تجتذب قرطبة طلاب العلم من كل أنحاء الشرق والغرب، للدراسة بمدارسها ومكتبتها العظيمة المليئة بنصف مليون من الكتب القديمة وعلّق الخليفة (الحكم الثاني) على هوامش عدد كبير منها قبل وفاته ".

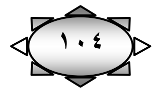
" وفي القاهرة : رتب مئات العمال والفنيين في مكتبتي الخليفة مليونين ومئتين من المجلدات ، وهو يعادل عشرين ضعفاً مما حوته مكتبة الاسكندرية الوحيدة والفريدة في عصرها ".

" وإنه لمن المعلوم تماماً أنه ليس ثمة أحد في روما له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بواباً لتلك المكتبة ، وأنّى لنا أن نعلّم الناس ونحن في حاجة إلى من

---

(١) قطب ،مصدر سابق ، ص١٧٤.

(٢) زيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٣٥٣- ٣٥٤.



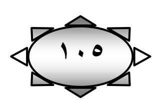
يعلّمنا ! إن فاقد الشيء لا يعطيه " ،وهذا قاله متحسراً مَن يعرف الحقيقة تمام المعرفة .

وكما سبق ففي الوقت الذي نام فيه العرب أفاقت أوروبا على الكنز العلمي الكبير الذي يملكه العرب ، فتعلم طلابها العلوم الدنيوية ، في الوقت الذي بدأ المسلمون يطردون العلوم التجريبية من معاهدهم لتقتصر الدراسة على العلوم الشرعية فقط ، وهنا كان تأثير الصوفية واضحاً ، فهي التي فرّقت بين الدنيا والآخرة ، واتجهت لإهمال الدنيا بحجة تزكية الأرواح من أجل الآخرة ، وأهملت بالتالي عمارة الأرض على أساس أن الاشتغال بها يثقل الروح ، ويُذهب عنها شفافيتها ، ومن هنا أُهملت العلوم المتصلة بعمارة الأرض ، واعتبرتها نافلة تستطيع الأمة أن تستغني عنها بلا ضير [1] .

والخلاصة : أن التخلف العلمي بشقيه الدنيوي والشرعي الناشيء أصلاً عن التخلف العقدي أصبح هو السائد في المجتمع الإسلامي إلى أن جاء الغزو الفكري الصليبي الهائل في العصر الحديث . ورويداً رويداً فقدت الأمة حاستها العلمية بتاتاً ، وخرجت من الدائرة التي كانت هي مركزها في يوم من الأيام ، يوم كانت هي الأمة العالمة على الأرض ، وأوروبا تهرع إليها لتتلمذ على ما لديها من علم.

(ب) التخلف الاقتصادي : لقد انتشرت الأمة الإسلامية في الأرض شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، فأزالت قوى الباطل ، وأقامت دولة الإسلام ، حيث استولت على مراكز القوة ، فأصبحت أكبر قوة في الأرض ، وشملت قوتها كل جانب ، فصارت في يدها القوة الحربية والسياسية والاقتصادية ، وكان هذا كله تحقيقاً لوعد الله للمؤمنين : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ**

(١) قطب ، مصدر سابق ، ص١٧٧.



لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾(١).

فما الذي سلب مراكز القوة من المسلمين ؟ وما الذي غيّر الحال ؟ وهل يكمن الفارق في الظروف الخارجية التي أحاطت بالمسلمين ؟ أم أنه راجع في حقيقة الأمر إلى الفارق بين الإيمان الصحيح والإيمان المخلخل المنحرف ؟

يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ (٢) ، ويقول: ﴿**ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾(٣).

وعلى مستوى الأمة داخلياً فإن الظروف الاجتماعية والاقتصادية غير المستقرة والتي لا يستطيع الناس تلبية احتياجاتهم في ظلها تدعم التعصب وتجعل النفوس ميالة إلى رفض الآخرين ، ولذلك يستغل أصحاب التيارات الهدامة هذا الجانب لإثارة النفوس (٤).

وهذه مجموعة من الآثار التي تؤثر على المجتمع المسلم نتيجة الانحراف الفكري أهمها:

١- الطبقية وسوء توزيع الثروات : وهو ما ينتج عنه الفقر المدقع والغنى الرهيب ، والكسب الحرام الذي يزيد الغني غناً ، ويزيد الفقير فقراً ، كما ينتج أيضاً الأحقاد والضغائن والتحاسد والحقد.

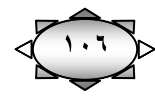
---

(١) سورة النور ، آية: ٥٥.

(٢) سورة الرعد ، آية: ١١.

(٣) سورة الأنفال ، آية: ٥٣.

(٤) اللويحق ، مصدر سابق ، ٥٣٧.



٢-الاستئثار : حدد الشرع الإسلامي مصارف الفيء ، فقال سبحانه : ﴿ مَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١).

٣- انهيار قيمة العمل : وللعمل في الإسلام قيمة كبرى ، ولكن لها ضوابطها ، ولم يعد العمل الآن هو مصدر الثروة ، ولا مصدر الهيبة والاحترام ، وإنما أصبح بالطرق غير المشروعة التي تجلب الثراء ، وأصبح العمل غير مقترن بحسن الجزاء فيجب أن نعيد القيمة الحقيقية للعمل . قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللَّهِ ... ﴾ (٢).

٤- غلبة النمط الاستهلاكي : إذ إن من وسطية الإسلام أمره للمسلمين بالاعتدال والوسطية في الإنفاق ، قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ (٤).

(ج) التخلف الحضاري : وله جانبان:-

أما الجانب الأول : فهو المعنوي أي جانب الأخلاق والقيم ، وقد أسقطه الفهم العقيم والسلبي للنصوص كما فهمها المرجئة حين قدموا للناس إعلاماً بلا أخلاق ، فيه وإن كانت معنوية فإنها من جانب آخر سلوك.

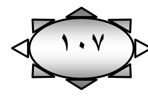
---

(١) سورة الحشر ، آية: ٧.

(٢) سورة الجمعة ، آية: ١٠.

(٣) سورة الإسراء ، آية: ٢٩.

(٤) سورة الفرقان ، آية: ٦٧.



والجانب الثاني هو العمران المادي وكان موجوداً نتيجة الإندفاعة الحيوية الهائلة التي أطلقها الإسلام في الأمة الإسلامية في كل الاتجاهات ، ولما حدثت الانتكاسة ظهر الفساد في السلوك وفي العبادة وفي الفهم وحدثت الانحرافات الفكرية التي باتت تهدد المجتمعات الإسلامية [1].



المطلب الثالث

التبعية الفكرية

(١) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ص١٧٨.

إن من أهم مخاطر الانحراف الفكري أن أصحابه يعتقدون أن ما يحملونه من معتقدات وأفكار هي الأمر الطبيعي ، وغيره هو الخطأ ، كما أن أولئك المنحرفين فكرياً قد يصابوا بمشاعر الغلو والكبرياء والتعجرف، وإحساس اللامبالاة والسلبية المطلقة ، ولذلك فقد أصبح من اللازم على المجتمع اتخاذ التدابير الكافية للعلاج منه ، ومتابعته بدقة للتأكد من الشفاء منه تماماً.

ولذا فالدراسة تميل إلى اعتبار الانحراف الفكري بكل أشكاله وألوانه ليس مجرد خطر يجب الحذر منه وتلافيه ، بل تراه مرضاً أصاب الإنسان في ظروف غير طبيعية ، وتركت عنده مجموعة من العقد ، وتميل الدراسة أيضاً إلى الاعتقاد بأن الظروف المتمثلة في محاولات الاختراق إلى جسد وعقل الأمة الإسلامية فيما يسمى بالانحراف الفكري هو من أخطر ما واجهت الأمة عبر تاريخها.

وقد ورد في مجموع فتاوى الشيخ ابن باز – رحمه الله – تعريفه للغزو الفكري بأنه مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة [(١)]، ويرى أحد الباحثين أن الغزو الفكري هو اتخاذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم للدولة من هذه الدول الكبيرة فتطبقها على أبنائها وأجيالها ، فيتم تشويه فكرهم ومسخ عقولهم، وتخرج بهم إلى الحياة وقد طبقوا المناهج التي تعلموها ثم يَلَبَّس الأمر عليهم فيحسبون أنهم على صواب [(٢)] .

وعرف الغزو الفكري أيضاً بأنه مجموعة الجهود التي اتخذها أعداء الإسلام ضد الأمة الإسلامية ، بقصد التأثير عليها في جميع الميادين التعليمية والثقافية والاجتماعية والسياسية ، باستخدام الوسائل والأساليب

(١) الشيخ عبدالعزيز بن باز، مجموع فتاوى ومقالات ، (٤٣٨/٣).

(٢) علي محمود ، الغزو الفكري والتيارات المعادية ، ص٩.

التي يراها مناسبة من أجل صرف المسلمين عن التمسك بعقيدتهم وأخلاقهم وسير سلف الأمة الصالح [(١)].

ولقد صارت مهمة التصدي للإرهاب والتيارات والمبادئ الهدامة والغزو الفكري من أخطر ما يواجه الشعوب الإسلامية لما تحدثه من تخريب لفكرها ، وتوهين لعزائمها وعزائم أفرادها ، وما فيه من ضياع لشخصيتها ، وذوبان لخصائصها المتميزة ، وسلخها من مصدر قوتها ، ووحدتها ، وصلابتها وتماسكها.

لقد تولي الإعلام الدولي بوسائله المتعددة إدارة عمليات وأساليب الغزو الفكري ، والتأثير ، والترويج ، وتجميل الصورة ، وبث السموم بشكل حثيث ودائب بحيث لا يحصره ميدان ، أو يقف في وجهه حاجز ، وهذا ما يسمى عصر " الصراع الإعلامي " حيث انتقلت الحروب إلى هذه الدائرة الأكثر أهمية ألا وهي دائرة الأفكار [(٢)] .

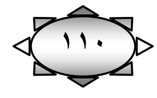
ولذلك ستتناول الدراسة عناصر معينة أفرزها الانحراف الفكري باعتبار أن الأمن الداخلي لأي دولة مرتبط بالأمن الخارجي لها ، بحيث لا يمكن دعم الأول دون حماية الثاني:

أ) التيارات والمذاهب الهدامة:

وهي بلا شك سبب معظم ما حل بالعقل المسلم من انحراف فكري على الرغم من أهمية الأسباب الأخرى ، وهذه التيارات والمذاهب تقف بالمرصاد للعرب والمسلمين في وقت واحد بهدف تغيير ثوابتهم ، وإن لم يستطيعوا فعلى الأقل إبعادهم عن هذه الثوابت بما يبتدعونه من أفكار

(١) الرحيلي ، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري ، ص١٧.

(٢) الجحني ، الفهم المفروض للإرهاب المرفوض ، ص٩٥.



ضالة ومضللة ، وأنماط سلوكية معينة تسهّل سبل الغواية ، والفتن والتفاخر مستهدفين ما يلي:

١) محاولة إقصاء المسلم عن قيمه وثوابته ، وبذر بذور اليأس والانهزامية.

٢) محاولة تغيير أو تبديل مفهوم الولاء للدين الإسلامي إلى تلك المزاعم الباطلة والنظريات الهدامة.

٣) تعريض سلامة البلاد الإسلامية للتهديد والخطر.

ويعدد (الجحني) أنشطة وأهداف المبادئ الهدامة التي تعمل المنظمات الصهيونية على نشرها في عالمنا الإسلامي عن طريق الحرب النفسية والشائعات ، والغزو الفكري ، ودعاة التخريب والتغريب والتطرف كالتالي:

٤) المنشورات والمحاضرات والندوات والأشرطة والكتب والمجلات، بل والاتصال المباشر في كثير من الحالات.

٥)لأساليب اللا أخلاقية كالإغراء المادي ، واستخدام الجنس.

الرحلات والتنقل عبر بلاد الدنيا والضحك واللهو والتسلية.

٦)انشاء جمعيات سرية لتحريض أفكارهم وترويج الشائعات وإثارة الفتن والشبهات ، والأفكار الهدامة ، وإغراء ضعاف النفوس باعتناق هذه الأفكار والعمل على ترويجها واختلاق الأكاذيب والافتراءات (١) .

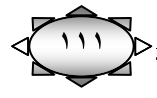
٧)الاستهزاء والسخرية من أحكام الإسلام ووصف الذين يتمسكون بدينهم بالتأخر والرجعية والجمود ، واحتقار العلماء والمفكرين والمصلحين من أمة الإسلام ، والحط من قدرهم في نظر الناس (٢) .

٨) استخدام وسائل الإعلام المختلفة للهجوم على الإسلام وأبنائه وبشكل دائم وهم يعلمون أن الإعلام له تأثير السحر على العقول.

---

(١) الجحني ، الفهم المفروض للإرهاب المرفوض ، ص٨٥- ٩٥..

(٢) الجحني ، مصدر سابق ، ص٨٦.



٩) محاولة التأثير في نفوس الشباب بالآراء الهدامة باستخدام الحشو والتفريغ ، أو ما يسمى بغسيل المخ.

١٠) تسخير أفواج الجيش الجديد في إشاعة الفساد وخلخلة الأمن وزرع الشكوك في العقول وبث الفرقة والتنافر والشقاق [١].

ومن الواضح أن أفكارهم لا تخرج عن رغبتهم تحقيق أهدافهم التالية:

١) هدم الدين الإسلامي ونظمه وتعاليمه .

٢)هدم الأخلاق والتقاليد العربية الأصيلة.

٣)هدم اللغة العربية.

٤)إثارة الفتن والقلاقل والاضطرابات التي تُشيع الفتنة والفساد والفرقة والتنافر والتناحر واللامبالاة والاستهتار.

ب) الحرب النفسية: وهي عبارة عن " الكلمات والأفعال التي توهن من تصميم العدو على القتال بإضعاف روحه المعنوية " [٢].

وصار معروفاً الآن أن الحرب النفسية تستخدم أحدث وسائل الإعلام والاتصالات المعاصرة من صحافة وإذاعة وتلفاز ، وأحدث فنون الإيحاء الذاتي المبنية على اكتشاف علم النفس الفردي والجماعي ، تعتمد كذلك على إظهار العيوب وإخفاء المزايا.

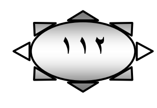
ولعل أصعب وأخطر أنواع تلك الحرب المدمرة للفكر والأخلاق والقيم والمبادئ هي الدعاية ، ولعل أخطر أنواع الدعاية هي الدعاية المبطنة والخفية التي يصعب كشفها لأنها معتمدة على الشعارات البراقة والكلمات الجوفاء المزيفة التي تخدع الناس [٣].

---

(١) عبدالرحمن حبنكه الميداني، مكائد يهودية عبر التاريخ ، ، ص١٥٠.

(٢) الجحني ، مصدر السابق ، ص٨٦.

(٣) الجحني ، المفهوم المفروض للإرهاب المرفوض ، ص٨٩- ٩٠.



جـ - الشائعات: وهي تخاطب المشاعر لا العقول ، ويتم من خلال الشائعة إطلاق مقولة معينة كي يؤمن بها من يسمعها ، وتنتقل من شخص لآخر عن طريق الكلمة ولا تحتاج برهاناً ولا دليلاً ولها ثلاثة أشكال في قمة الخطورة :

١/ إيجاد خبر لا أساس له من الصحة.

٢/ تلفيق خبر ، في جزء منه نصيب من الصحة.

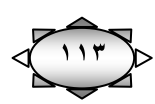
٣/ المبالغة في نقل خبر ينطوي على بعض العناصر الصحيحة [١].

إن من أعنف مخاطر الانحرافات الفكرية التي تواجه الدولة عندما تكون غير محصنة ثقافياً وحضارياً (الكتب والمجلات والصحف) ، كما أن المنفذ الأوسع للفكر الوافد للدولة في عالم اليوم يتمثل في البث المرئي والمسموع عبر الأقمار الاصطناعية التي تمتلكها وتديرها بشكل مباشر أو غير مباشر دول قوية تشعر بتفوق حضاري وفكري ، وهدف هذه الدولة هو توجيه بثها للدول الأخرى لتعزيز تفوقها الحضاري ، وإطالة أمده من خلال الترويج لحضارتها وإبراز آثارها الإيجابية والتشكيك في المقابل بقيم ومعطيات ما عداها [٢] من حضارات ومعلوم أن الفكر الوارد ما لم يواجه بقوة صد عكسية يصبح في الواقع محرضاً على التغيير ، وصحيح أن التغيير أحياناً يؤدي إلى خدمة الدولة وتنمية حضارتها وتقوية كيانها ، ولكن منه أيضاً ما يؤدي إلى إذابة مقوماتها الحضارية الأصيلة ، وهذا النوع الأخير هو مطلب غزاة الفكر في ظل مفهوم صراع الحضارات [٣].

(١) المصدر السابق ، ص٩٢.

(٢) الشقحاء ، الأمن الوطني ، تصور شامل ، ص٨٥.

(٣) المصدر السابق ، ص٨٦.



وقد دخل الانترنت إلى العالم العربي منذ عقد التسعينات من القرن الميلادي الماضي وسجل عدد المستخدمين له نسبة نمو متسارعة وصلت في بعض الدول إلى (١٥٠-٢٥٠٪) وهي نسبة مرتفعة جداً بالمقاييس العالمية[١].

وعلى الرغم من حداثة دخول الانترنت إلى العالم الإسلامي إلا أن بعض الدراسات والإحصاءات التي أجريت دلت على أن نسبة تتراوح أعمارها (٢٠-٣٠) سنة بلغت (٨٣٪) من المستخدمين ، وأظهرت إحصائية أخرى أن نسبة مستخدمي الانترنت من الشباب بلغت (٦٠٪) بينما بلغت نسبة من تجاوز الأربعين (٣٠٪) والمسنين (١٠ ٪) [٢].

وكانت أهم دوافع الاستخدام كالتالي :

ا/ الرغبة في شغل أوقات الفراغ نظراً للبطالة التي يعانيها الشباب.

ب/ الرغبة في الاتصال بالآخرين كوسيلة للتعارف ، حيث ثبت أن (٥٨٪) ممن شملهم البحث كونوا علاقات من خلال الانترنت فلنا أن نتصورإلى أي حد تؤثر تلك الصداقات على الأمن الفكري للشباب.

ج/ حب الاستطلاع.

د/ الرغبة في تحقيق الذات.

هـ/ الترفيه .

ز/ التشوق.

ح/ وأخيراً الاهتمامات والرغبات التعليمية [٣].

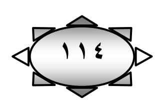
وكانت أهم المخاطر كما يلي :

---

(١) عبدالله عسيري ، الآثار الأمنية لاستخدام الشباب للانترنت ، ص٧٩.

(٢) عسيري ، المصدر السابق ، ص٧٩.

(٣) عسيري ، مصدر سابق ، ص٨٩- ٩٢.



١- مخـاطر عقديـة : حيـث تزخـر الـشبكة بمواقـع تـروج للعقائـد الفاسـدة والأفكـار الباطلـة الهدامـة ، والـدعوات الخبيثـة ، ونظـراً لفضول الشباب فقد يقع الكثير منهم في براثن هذه الجماعات المشبوهة.

٢- مخاطر أخلاقية : وأبرزها ارتياد المواقع المروجة للجنس.

٣- مخاطر نفسية : وتتمثل في :

أ/ إدمـان الانترنـت : أي الاسـتخدام الـسيء المرضـي الـذي يـؤدي إلى اضطرابات إكلينيكية في الجسم.

ب/ رهاب الانترنت : حيث يسيطر على الفرد القلق خوفاً من أضراره وآثاره السلبية فيتحول هذا القلق إلى إرهاب يمنعه من الاقتراب من الشبكة واستخدامها.

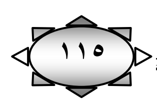
٤- مخـاطر اجتماعيـة : كفقـدان التفاعـل الاجتمـاعي نتيجـة قـضاء أوقـات طويلـة أمـام الـشبكة . واسـتخدامه بـشكل سـيء في المعاكـسات والمضايقات ، وتكوين العلاقات مع الجنس الآخر [(١)].

ويشير أحدهم إلى وجود ثلاث مرجعيات للشباب اليوم وهي :

- اتباع منهج التكفير واستباحة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم.
- الشبكة الدولية (الانترنت) وقد أحدثت تشوشاً على فكر شبابنا.
- الفـضائيات ومـا تبثـه مـن منـاهج عدائيـة ، ومـا تروجـه مـن أكاذيـب وافـتراءات وادعـاءات باطلـة ، الهدف منهـا النيـل مـن الثوابـت الإسـلامية حيث دخلت الفضائيات كمصدر من مصادر التلقي إلى جانب المدرسة والمسجد والأسرة حاملاً معه الغث والسمين وباثاً للانحرافات الفكرية والـسلوكية والأخلاقيـة ، ممـا جعـل تيـار الوسـطية يفقـد الكـثير مـن مؤيديه لصالح تيار الجفاء والتفريط في الثوابت الفكرية.

---

(١) عسيري ،مصدر السابق ، ص١٠٢- ١٠٨.



الفصل الثاني

التيارات الفكرية المنحرفة عبر التاريخ الإسلامي

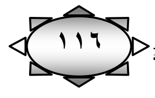
ويشتمل على:

تمهـــــــــيـــــــــد :

المبحث الأول : التيارات الفكرية المنحرفة الداخلية.

المبحث الثاني : التيارات الفكرية المنحرفة الخارجية.

تمهيد :



لا ريب أن من عوامل سلامة المجتمع المسلم من الانحراف الفكري ، سلامته من دعاة الضلال والانحراف ، ذلك أن وجودهم وكثرتهم وإتاحة الفرصة لهم لنشر ضلالاتهم وانحرافاتهم مؤذن بالخطر ، وقد حذر النبي صلى اللّه عليه وسلم منهم وسمَّاهم الدعاة على أبوب جهنم . فمنعهم من نشر مذاهبهم المنحرفة وآرائهم المشككة، وشبهاتهم المضللة من أعظم العون على الثبات على الحق .

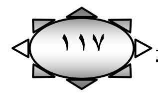
وسوف أتكلم في هذا الفصل عن التيارات الفكرية المنحرفة الخارجية والداخلية ، وأقصد بالخارجية التيارات التي توجهت بعملها من خارج البلاد الإسلامية إلى داخلها ، وأقصد بالداخلية التيارات الفكرية المنحرفة الموجودة في البلاد الإسلامية و التي توجهت بعملها داخل البلاد و قبل أن أتعرض لهذه التيارات أذكر على عجالة ديانتين كان لها الأثر الواضح لدعم هذه التيارات في هذه البلاد :

أولاً : اليهودية

واجه اليهود الدعوة الإسلامية منذ بزوغها ، واشتبكت معها في معارك فكرية عنيفة ، حتى قبل أن ينتقل المسلمون إلى المدينة المنورة ليؤسسوا دولتهم ، وكان واضحاً أن اليهود لم يؤثروا عقلياً أو دينياً على المسلمين ، ولكنهم نجحوا في إدخال عناصر تخريبية لدى الفرق الخارجة عن الإسلام أو المنحرفة فكرياً عنه وذلك عن طريق الإسرائيليات [(١)] .

وقد جادل الوحي اليهود في المدينة ، وناقشهم مناقشة عنيفة ، وفضح تبديلهم وتغييرهم في دينهم ، وأنهم كانوا يخبرون المشركين قبل البعثة بقرب مجيء نبي جديد في هذه الأمة ، فلما ظهر النبي الجديد أنكروه ، فقال فيهم القرآن الكريم : ﴿ **وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ**

(١) المصري ، الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية زمن الأمويين ، ص٣١.



وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

ولما آمن جماعة من اليهود مثل: عبدالله بن سلام ، ومخيريق الذي كان حبراً يهودياً كبيراً ، وقاتل مع الرسول ﷺ في غزوة أحد ضد أهل مكة ، ومثل ثعلبة بن سعية ، وأسد بن عبيد ، كان على القوى الجاحدة والمُنْكِرة أن تقاوم هذا التيار الذي ابتدأ يتعاطف مع المسلمين ، بل وينضم إليهم ، ومن هنا فإن عناصر المقاومة اليهودية ضد الرسول ﷺ ابتدأت تعلن عن مواقف القوى التي تنتمي إليها وتعبر عنها ، فبرز من التنظيم اليهودي الخفي في بني النضير مجموعات تقود المطاردة للنبي ﷺ والمسلمين ، ثم تتابع جهدها بالتشهير والتجريح وإشاعة الفتن ، وتمثل ذلك في أساليب : حيي بن أخطب ، وأبي ياسر بن أخطب ، وسلام بن مشكم ، وسلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جماش ، وكعب بن الأشرف ، وكردم بن قديس ، وغيرهم (٢).

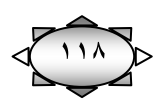
ونادى القرآن الكريم في المشركين : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ** ﴾ (٣).

وقد أيقن اليهود أن قلعة المسلمين بإسلامهم حصينة ، وأن المنازلة الفكرية المباشرة ستنتهي ولا شك في غير صالحهم ، فاتجهوا إلى وجهة أخرى ، وهي محاولة تقويض العقائد الإسلامية بطريقة سرية تتفق مع طبيعة دينهم المغلق التي تلجأ إلى التخفي حيث تُغْلب على أمرها ، وهذا الاتجاه هو الاندفاع إلى قلب العقائد الإسلامية ، والقذف فيها بآراء منجرفة وتخريبية

(١) البقرة ، آية: ٨٩.

(٢) صابر طعيمة ، أخطار الغزو والفكر ، ص١١٥.

(٣) الأحقاف ، آية: ١٠.



، أو مخالفة لعقيدة القرآن ، ومحاولة إقامة نزاع فكري ينتج عنه نزاع سياسي أو حزبي.

فكان دورهم في الفتن كبيراً ، حيث تمكنوا من ذلك ، لأن تغلغلهم الفكري بين جميع الفرق النصرانية والمجوسية كبيراً ، وذلك بسبب قدرتهم على التسلل ، واستغلالهم للفلسفة ، وانتشارهم الأخطبوطي ، ومقدرتهم على الازداوجية ، فواجهوا الإسلام من خلال الفرق الفكرية جميعها : (اليهودية ، والنصرانية ، والمجوسية ، والفلسفة اليونانية) [(١)].

فحين وقعت معركة (بدر) وظهر من نتائجها ما يمكن أن يغير في أوضاع المسلمين بيثرب ويحولهم إلى قوة سياسية تمثل سيادة على اليهود كان على قيادات التنظيم اليهودي أن تكشف للجمهور اليهودي قدرتها على المقاومة والرفض لهذه الأوضاع الإسلامية الجديدة ، فظهر بجانب العناصر القيادية القائدة في بني النضير عناصر من يهود ثعلبة ، وكان منهم ابن الفطيون : عبدالله بن صوريا الأعور ، وظهر من يهود بني قينقاع سعد ابن حنيف ، ومحمود بن سيمان ، ونعمان بن عمرو [(٢)].

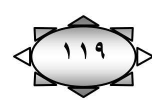
وقد انضمت للعناصر السابقة عناصر قيادية أخرى من يهود بن قريظة أشهرهم الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شمويل ن وكعب بن أسد ، وكان من يهود بن قريظة الذين اندفعوا بالعداوة ضد الإسلام ، وتركوا العمل المستتر ولجأوا إلى المواجهة المكشوفة شمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو ابن سكينة ، والتمام بن زيد ، وفردم بن كعب ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد [(٣)].

---

(١) المصري ، مصدر سابق ، ص

(٢) طعيمة ، مصدر سابق ، ص٣٦٤.

(٣) المصدر السابق ، ص٣٦٥.



وكتب التفسير والسير مليئة بكل المكائد التي كادوها للإسلام والمسلمين وللنبي الخاتم ﷺ ، وتستشهد الدراسة ببعض ما ورد في القرآن الكريم كشفاً لانحرافهم الفكري والعقدي.

ففيما يخص ادعاءهم بيهودية إبراهيم ، قال تعالى: ﴿ **يأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنْجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾ [(١)] ، وقوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [(٢)].

ثانياً : النصرانيـــة

وهي من القوى الفكرية التي واجهت الإسلام في بداية ظهوره ، وقد امتدت هذه المواجهة إلى يومنا هذا مع اختلاف الأساليب .

وقد ارتبط اسم النصرانية في الإسلام باسم اليهودية ، فورد جنباً إلى جنب مع اليهودية في القرآن الكريم [(٣)].

قال تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [(٤)]، وقال تعالى: ﴿ **ووَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى**﴾[(٥)] ، وقال تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [(٦)].

---

(١) آل عمران ، آية: ٦٥.

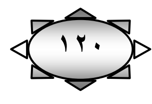
(٢) آل عمران ، آية: ٦٧.

(٣) المصري ، مصدر سابق ، ص٦١.

(٤) التوبة ، آية: ٣٠.

(٥) البقرة ، آية: ١١١.

(٦) المائدة ، آية: ٥١.



وقد أطلق الإسلام لفظة النصرانية ، ونصارى ، على الذين ادّعوا المسيحية ، وقد كانت المسيحية في الأصل نسبة إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، الذي جاء بعقيدة التوحيد الكامل – الإسلام – ليصحح الانحراف العقدي عند اليهود ن ويعيده إلى شريعة موسى عليه السلام [(١)].

وكما هو واضح من القرآن الكريم فقد حملت المسيحية تشريعاً بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ [(٢)] ، وقوله تعالى: ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [(٣)].

وأهم عقائد النصارى المنحرفة تتمثل في[(٤)]:

١- عقيدة الصلب : أي صلب المسيح عليه السلام .

٢- عقيدة الخطيئة : أي اعتبار الناس كلهم متورطين في خطيئة آدم عليه السلام.

٣- التثليث : الله ، والمسيح ، ومريم ، أو الأب والابن والروح القدس ، وذلك بدلاً من التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام ، وتبنت الكنيسة الآراء المنحرفة عن الوحدانية ، وادّعت لنفسها وللبابا العصمة ، وأخذت تحيط النصرانية بالأسرار ، وقالت إن مفتاح تلك الأسرار بيد الكنيسة ، فتكونت طبقة كهنوتية مختصة بالدين (رجال الدين) يحلِّلون ويحرمون ، ويختصون بتفسير أسرار التثليث ، والعشاء الرباني الذي يتحول فيه جسد

---

(١) المصري ، مصدر سابق ، ص٦١.

(٢) آل عمران ، آية: ٥٠.

(٣) المائدة ، آية: ٤٦- ٤٧.

(٤) المصري ، مصدر سابق ، ص٦٨.

المسيح إلى خبز ، ودماؤه إلى خمر !! ومنعت مناقشة هذه الأسرار ، ومن يناقشها فهو كافر وجبت عليه اللعنة الأبدية ، ومن هنا كانت عبادة النصارى لرهبانهم مضاهاة لعبادة اليهود لأحبارهم [1] .

وقد نعى الله سبحانه وتعالى عليهم تشبههم باليهود واتخاذهم أقوال الرهبان أساساً لعقائدهم ، فقال سبحانه : ﴿ **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [2] .

كما نزل قوله تعالى في بيان حقيقة عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً** ﴾ [3] ، وفي نفس السورة رد حاسم على أكذوبة بنوة المسيح لله : ﴿ **ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [4] ، كما أن السورة فيها تقريع شديد وإصرار حاسم : ﴿ **وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً ....** ﴾ [5] .

وجاء في سورة الكهف: ﴿ **وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً * مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً** ﴾ [6] ، كما رد سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على اليهود والنصارى في قضية

---

(١) المصري ، مصدر سابق ، ص٧٠.

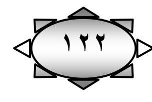
(٢) التوبة ، آية: ٣١.

(٣) مريم ، آية: ٣٠.

(٤) مريم ، آية : ٣٤- ٣٥ .

(٥) مريم ، آية: ٨٨- ٩٢ .

(٦) الكهف ، آية: ٤- ٥.



الصلب ليصحح العقيدة ، ويعيد فكرهم إلى صوابه بعد الانحراف الشديد: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (١) .

ويقول الشيخ (أبو زهرة) (٢) ، هذا إعلان صريح أن الله سبحانه وتعالى نجّا عيسى عليه السلام من أيدي اليهود والرومان ، إذ ألقى شبهه (يوحنا الاسخريوطي) والذي تقول عنه أناجيلهم : " إنه هو الذي دسَّ عليه ليرشد القابضين عليه ، إذ كانوا لا يعرفونه ، وكان أحد التلاميذ المختارين على زعمهم .

وأما عقيدة الخطيئة ، فقد هدمها الإسلام ، فأعلن أن الله سبحانه قد تاب على آدم عليه السلام بعد أن أكل من الشجرة ، فقال تعالى : ﴿ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤) .

والكلام عن النصرانية يحتاج إلى دراسة مستفيضة ليس مجالها هنا..

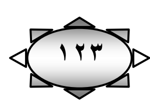
---

(١) النساء ، آية: ١٥٧- ١٥٨.

(٢) أبو زهرة ، النصرانية ، ص١٣٣.

(٣) طه ، أية: ١٢١- ١٢٢.

(٤) البقرة ، آية: ٣٧.



المبحث الأول

التيارات الفكرية المنحرفة الداخلية

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلـــــــــب الأول : الخوارج.

المطلـــــب الثانـــــــي : المعتزلة.

المطلـــــب الثالـــــث : الجهمية.

المطلـــــب الرابــــــع : الشيعة.

المطلـــب الخـــــامس : الصوفية.

المطلـــــب الســادس : الأشاعرة.

المطلـــــب السابــــع : العلمانية.

المطلـــــب الثامــــــن : الديموقراطية.

المطلـــــب التاســــع : الحداثة.

المطلـــــب العاشـــــر : حركة تحرير المرأة.

المطلب الحادي عشر : القومية العربية.

المطلب الثاني عشـــر: العقلانية.

المطلب الثالث عشـــر : الليبرالية.



الخوارج

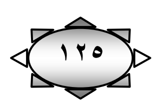
لقد اجتمعت الأمة وراء الخلفاء الثلاثة بعد وفاة النبي ﷺ ، حتى كانت الفتنة السبئية المشهورة التي ذهب ضحيتها عثمان رضي الله عنه، فوقع اختلاف ، وانقسمت الجماعة على نفسها ، شطر مع علي رضي الله عنه وشطر مع خصومه ، ولم يخرجوا في ذلك عن الجماعة ، لأن اختلافهم لم يكن دينياً ، فلم يكفّر بعضهم بعضاً ، برغم تبادلهم التهم السياسية ، وكانت كل فرقة تجيز الصلاة وراء الفرقة الأخرى ، وكان التعبير المستعمل فيما بينهم : قتال أهل الصلاة.

ولما فارق الخوارج علياً رضي الله عنه على أساس اعتقادي ، وكانوا أول مفارقين للجماعة ، وهي أول فرقة تركت الصلاة وراء الجماعة ، وكفّرتها ، وتبرأت منها [(١)].

وقد فسر كثير من المؤرخين الخوارج بأنهم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة ، سواء أكان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم ، بل إن الشهرستاني أرجع بذور الخوارج إلى زمن النبي ﷺ ، عندما أعطى المؤلفة قلوبهم ، فغضب بعض قريش والأنصار ، فأقنعهم رسول الله وبين أنه فعل ذلك لتألفهم ، فاعترض ذو الخويصرة [(٢)] ، وهو مرقوص بن زهير التميمي المشهور بذي الثدية على قسمة الغنائم ، ولما استأذنه أحد المسلمين بقتله رفض رسول الله ﷺ ، وقال: " إن من ضئضي هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل

(١) المصري ، المصدر السابق ، ص٢١٨.

(٢) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٢٣.



الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وإرم [(١)] .

وقد حاول بعض المؤرخين إنكار أن الخوارج والشيعة يعودون إلى أصل واحد في فرقة السبئية ، وذلك بأن خلطوا بين حركات الخوارج وفكرتهم ونشؤء فرقتهم ، فقد كانت حركاتهم سابقة لتكوين فرقتهم ، فكانت السبئية تستغل تناقضاتهم مع معسكرات المسلمين لتعميق أفكار إسلامية في أصلها ، لتصل إلى درجة الغلو الذي أخرجهم من دائرة الإسلام ، ولكن باتجاه آخر غير اتجاه الشيعة ، فتحولت عصبيتهم إلى نوع من الحماس الديني الشاذ الذي يفوق أي حماس [(٢)] .

وكانت أول فكرة حماسية ارتفعت ونادوا بها : " لا حكم إلا لله " ، وذلك بعد اعتبارهم التحكيم جريمة تستوجب التوبة ، بل اعتبروه كفراً يجب الرجوع عنه ، والتوبة منه وأصبحوا شوكة في حلق الدولة الإسلامية يستميلون الخارجين عن القانون ، وذوي الأطماع والتقاة الذين هالهم أمر الفتن ، فخرجوا ابتغاء مرضاة الله بتأويل آيات الله [(٣)] .

وسموا أنفسهم الشُراة ، أي الذين باعوا أنفسهم لله متأولين قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾ [(٤)] .

وقد استباحوا دماء المسلمين من مخالفين ، وعاملوهم أشد من معاملة الكفار واعتبروا ديار غيرهم من المسلمين ديار حرب ، فاستحلوا قتالهم وسبيهم فإذا وجدوا مخالفاً قتلوه ، وهو ما عرف عندهم بالاستعراض [(٥)] .

---

(١)ابن تيمية " السياسة الشرعية " ، ص٥٣- ٥٤ ، وابن هشام " السيرة " ج٤ ، ص١١٢

(٢) المصري ، المصدر السابق ، ص٢١٩.

(٣) البلاذري " الأنساب " ج٢ ، ص٥٢٢،

(٤) النساء ، آية: ١٠.

(٥) الشهرستاني ، الملل و النحل ج ١ ، ص١٢٩

هذا وقد تشعبت الخوارج إلى عدة فرق خرج بعضها عن الإسلام كلية، ومنها اليزيدية والميمونية ، وقد حملت معظم فرق الخوارج أفكاراً في مجملها ما يلي :

١-جواز ارتكاب الأنبياء الصغائر والكبائر ، وكانت عند الأزارقة ، وهي من المؤثرات اليهودية في التوراة المحرفة ، وهي من التناقضات في فكرهم المنحرف ، إذ بينما يكفرون مرتكب الكبيرة ، يجيزونها للأنبياء ، فالنبي عندهم قد يكفر ثم يتوب معتمدين على ظاهر الآية الكريمة [1] : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً * لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [2].

٢-فكرة الولاية: فقد رأى نافع بن الأزرق أن ولاية من تخلّف عنه لا تنبغي وأن لا نجاة له متأولاً الآية [3] : ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [4].

٣-فكرة التقية : وهي عندهم تقية سياسية لا دينية ، وقد رأى نافع ابن الأزرق أن التقية لا تحل ، والقعود عن القتال كفر واضح بقوله تعالى[5] : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ [6].

٤-فكرة عدم الحاجة إلى إمام : وقد أجمعت فرقة النجدات على أن الناس لا حاجة لهم إلى إمام قط ، وإنما عليهم أن يتناصفوا بينهم.

(١) المصري ، المصدر السابق ، ص٢٢٤.

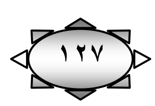
(٢) الفتح ، آية: ١- ٢..

(٣) المصري ، المصدر السابق ، ص٢٢٤.

(٤) التوبة ، آية: ١.

(٥) المصدر السبابق ، ص٢٢٤.

(٦) النساء ، آية : ٧٧.



٥-إنكار بعض سور القرآن : وقد اشتدت فرقة العجاردة في بدعهم، فأنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن الكريم : بحجة أنه لا يجوز أن تكون قصة الفسق من القرآن [١] .



المعتزلة

والواقع أن نشأة الاعتزال كان ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة الانحراف الفكري في فهم النصوص الدينية ، وقد نتج ذلك من التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائداليهودية والنصرانية .

---

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص١٣٦.



فهناك رواية تُرْجِعُ الفكر المعتزلي إلى أصول يهودية ، فالجعد بن درهم أخذ فكره عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان عن طالوت ، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي [(١)] .

والشهرستاني [(٢)] يؤكد تأثر المعتزلة بفلاسفة اليونان في موضوع الذات والصفات ، كما أن نفي القدر عندهم ظهر على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، قيل أنهما أخذاه عن نصراني يدعى أبو يونس سنسويه ، وقد أخذ عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء فكرة نفي القدر عن معبد الجهني.

ويقول ابن القيم [(٣)] : " إن المعتزلة جعلوا التأويل منهجاً عقلياً متأثرين بآباء الكنيسة ، وأخذت الأهواء المضلة ، والآراء المهلكة ، التي تتولد من قبل التأويل ، ولا تزال تتزايد وتنمو على مر الأيام وتعاقب الأزمنة، وتتكهن وتستهوي الناس ، فيتهيأ لأصحابه مالا يتهيأ بالجيوش ، ومالا يُطمع في الوصول إليه بدونه ، فيؤدي إلى تشتيت كلمة الدين ، وتبديد النظام ، ويقسِّم الأمة إلى فرق ، كما يؤدي إلى زعزعة أصول الإيمان.

وقد جاءت المعتزلة بفكرتين مبتدعتين :

الأولى: القول بأن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل أفعاله ، فهو الذي يخلقها بنفسه ، ولذلك كان التكليف.

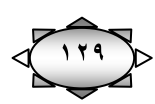
والثانية: القول بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً فهو بمنزلة بين المنزلتين ، هذه حاله في الدنيا ، أما في الآخرة فهو لا يدخل الجنة لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة ، بل هو خالد مخلد في النار ، ولا مانع عندهم

---

(١) الجهني ، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة ، ج١ ، ص٦٩.

(٢) الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٤١.

(٣) ابن القيم ، الصواعق ، ج١ ، ص١٩٣.



من تسميته مسلماً باعتباره يظهر القرآن وينطق الشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً "[1] .

ومن أهم مبادئهم : الاعتماد على العقل كلياً في الاستدلال لعقائدهم، وكان من آثار اعتمادهم على العقل في معرفة حقائق الأشياء وإدراك العقائد أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلاً ، ونظراً لاعتمادهم على العقل ، فقد أوَّلوا الصفات كصفات الاستواء واليد والعين، وصفات المحبة والرضا والغضب والسخط ، كما طعنوا في كبار الصحابة رضي الله عنهم ورموهم بالكذب [2] .

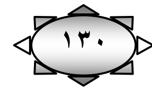


الجهمية

نسبة إلى " الجهم بن صفوان " ، و ذلك في مسألة نفي الصفات الإلهية ، وتذكر المصادر أنه نهج منهج التأويل وعدم الاهتمام بعلم الحديث ، وتطرف في أفكاره أكثر فنفى الأسماء الحسنى ، ونادى بفناء الخلود ،

(١) الموسوعة الميسرة ، ج١ ، ص٧٢.

(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص٧٣.



أي أن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما ، وتلذُّذ أهل الجنة بنعيمها ، وتألم أهل النار بجحيمها [(١)] .

والإيمان عند الجهم يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة ، فهو عنده: المعرفة بالله ، ورسله ، وبجميع ما جاء من عند الله فقط ، وأما ما سوى المعرفة من إقرار باللسان ، وخضوع بالقلب ، ومحبة لله ولرسوله ص، وتعظيم لله ، وخوف منه ، وعمل بالجوارح ، فليس بإيمان ، كما أن إيمان الأمة على نمط واحد ، إذ أن المعارف لا تتفاضل ، وبالتالي فإن الإيمان لا يزيد ولا ينقص [(٢)] .

وقال الجهم بالحلول ، أي أن الله يحل بذاته في كل مكان تعالى الله علواً كبيراً ، كما أشار لذلك ابن تيمية في فتاواه ،.

وقد أنكر علماء أهل السنة وفقهاؤها أقواله ، ونظروا إليها كبدعة ، وكانحراف عن جوهر العقيدة ، وعدّوا الجهمية ضالين ، وحذروا الناس منهم [(٣)] .

وجاءت مسألة القول بالتشبيه ونفيه مرتبطة بمسألة الصفات الإلهية ، وكان المسلمون يدركون الأمر على حقيقته ، فلا يصفون الله سبحانه وتعالى إلا بما وصف به نفسه ، فلا يعطلون ، ولا يجسِّمون ، ولا يشبِّهون ، وكانوا على بينة من أمر دينهم ، وحينما حاول اليهود والنصارى مجادلتهم في ذلك كان المسلمون يقللون من جدالهم لقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُواْ آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـهُنَا وَإِلَـهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [(٤)] .

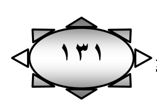
---

(١) الشهرستاني ، صدر سابق ، ج١ ، ص١١٥.

(٢) البغدادي ، الفرق ، ص١٢٨.

(٣) المصري ، مصدر سابق ، ص١٢٩.

(٤) العنكبوت ، آية: ٤٦.



ومن هنا تحاشى أهل الكتاب الجدل العلني مع المسلمين فأخذ بعضهم يدخل الإسلام ليعمل من خلاله على التشكيك فيه ، فكانوا يثيرون الأسئلة النابعة من فكرهم المنحرف من داخل المسلمين.

وكان السائل أحد رجلين : إما رجل يطلب جواباً ليطمئن به قلبه ، وإما رجل يريد أن يجادل لإدخال البلبلة في القلوب المطمئنة ، ومن هذين النوعين من السائلين نشأ علم الكلام باللجوء إلى التأويل [(١)] .

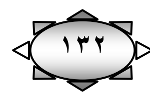
هذا ؛ ويميل البعض إلى أن المسلمين قد تأثروا باليهود في طريقتهم في الجدال حول إثبات الشبه ونفيه ، وفي نوع المعالجة لطرفي هذه المسألة [(٢)]، وقد كان التشبيه طبعاً عند اليهود كما ذكر الشهرستاني فتذكر توراتهم المحرفة عن الإله (تنزه سبحانه وتعالى عن ذلك) : " اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وإن العرش ليئط من تحته كأطيط الرحل الحديد " [(٣)] ، ويورد المصدر نفسه [(٤)] ما جاء في العهد القديم من وصف لآدم عليه السلام وزوجه بعد أن أكلا من الشجرة " وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة ، عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله ، في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم ، وقال له: أين أنت ؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة ، فخشيت ، لأني عريان ، فاختبأت ، فقال: من أعلمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها " . وكأن الله – تنزه وعلا علواً كبيراً- عند هؤلاء يتمشى في الجنة ، خالي البال مما حدث ، ثم تكشفت له الأمور فعرف أن آدم خالف عهده ، وأكل من الشجرة المحرمة

(١) فروخ ، تاريخ الفكر العربي ، ص٢٠٨.

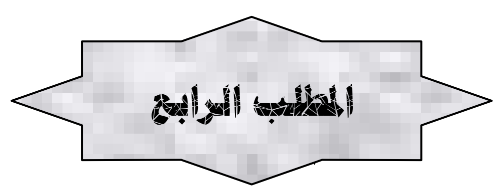
(٢) الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٤١.

(٣) المصدر السابق ، ص١٤١.

(٤) المصدر السابق ، ص١٤٢.



.. فأين ذلك من آيات الله سبحانه وتعالى في القرآن العظيم : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ [(١)] .



المؤرخون اختلفوا في تحديد الزمن الذي ظهر فيه التشيع [(٢)] بالمعنى الاصطلاحي المعروف إلى اليوم ، أي تولي علياً ر وأهل بيته [(٣)] ، والثابت أنها ظهرت على يد عبدالله بن سبأ اليهودي ، الذي تظاهر بالإسلام وبجهود من ورثه في حركته السرية الهدامة ، المناهضة للفرق الإسلامية الأخرى مستغلة

---

(١) ق ، آية:١٦ .

(٢) انظر: ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، ج٢ ، ص٦٥ ، الشهرستاني ، ج١ ، ص٢٩٠ ، البلاذري – أنساب الأشراف – ج٣ ، ص٥٤.

(٣) مقدمة ابن خلدون ، ص١٩٦.

الشعور الإسلامي تجاه بيت النبوة ، فكوّن ابن سبأ فرقة شيعية ارتبطت بحب آل البيت والتشيع لها بإدخال الآراء والفلسفات التي تتلاعب بالأفكار والمشاعر مستغلة التناقضات بين المسلمين وقتئذٍ ، فاكتسبت الشيعة مفهوماً خاصاً استوعب كل التناقضات الفكرية والاجتماعية والسياسية في دار الإسلام ، ووضعت الروايات المؤيدة لمذهبهم ، حتى أن بعضهم أرجع التشيع إلى العهد المكي ، وقد أيدهم كثير من المؤرخين والمستشرقين وخاصة " جورجي زيدان " [1] معتمداً على الحادثة التالية:

عندما عمل الرسول ﷺ وليمة ودعا إليها عشيرته قال: " ما أعلم إنساناً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، فقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرني في هذا الأمر ، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم " فظلوا ساكتين ، وجل سكوتهم استخفافاً ، فتقدّم علي ابن عمه وقال: " أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليهم "، فأخذ النبي ز برقبته ، وقال: " هذا أخي ووصيي ، وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا "، فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب :" قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعه " ثم انصرفوا [2] .

والواقع أن من تظاهر بالإسلام من أهل الكتاب سلل أفكار الشيعة إلى المسلمين ، ولا يمنع أن يكون أصل التشيع عربياً مادام ابن سبأ من يهود اليمن من قبائل همذان ، وهي متبلة كانت منها يهودية ونصرانية قبل الإسلام ، فسرّب ابن سبأ لبعض من أسلم منهم فكرة التشيع فأمنوا بها ثم نقلوها إلى من أسلم حديثاً من العرب والموالي ، فيكون أهل الكتاب هم أصل فكرة التشيع في الإسلام ، حيث استغلوا مسألة الخلافة التي شغلت المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ فجعلت الشيعة محور عقائدها ترتكز على

---

(١) انظر: التمدن الإسلامي ، ج١ ، ص٤٤.

(٢) والرواية بينة الوضع دون شك ، انظر: الطبري ، ج٢ ، ص٣٢١ ، وابن تيمية " منهاج السنة "

نظـرتهم في الإمامـة وفي الوراثـة الـشرعية لمـن اصـطفاهم الله مـن ذريـة آل البيت[1] .

ولا توجد فكرة من أفكار الشيعة إلا ولها في ذهن من ابتدعها جذور من أفكار أهل الكتاب ، وتصوراتهم وعقائدهم ، وفيما يلي أهم الأفكار التي تبنتها فرق الشيعة:

١) الإمامـة بـالنص : حيث ادعوا أن الإمامـة لعلـي بـن أبـي طالـب بـالنص الظـاهر، والتعيين الصادق ، واستدلوا بروايات ضعيفة ، واستغلوا حادثة (غدير خم) فادعوا أنه في الثامن عشر من ذي الحجة في العام العاشر من الهجرة وبعد العودة من حجة الوداع ، نزل ﷺ بالغدير وآخى بين الصحابة ولم يؤاخ بين علي وبين أحد منهم ، فرأى النبي ﷺ منه انكساراً ، فضمه إليـه ، وقال: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ، والتفت إلى أصحابه ،وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه " [2] .

ويرد(ابن تيمية) في فتاواه أن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار أول قدومـه للمدينـة ولـيس في عـام ١٠هـ ، كمـا أنـه لم يـؤاخ بـين مهـاجر ومهـاجر ، وبـين أنـصاري وأنـصاري [3] ، كمـا أن الحـديث الـسابق حـديث صـحيح [4] ولا يفهـم منـه أبـداً إقامـة علـى ، فهـارون عليـه الـسلام لم يكـن

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص١٩٦.

(٢) الملل والنحل ، ج٢ ، ص٣- صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤١٧ ، ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٤ ، ص٨١.

(٣) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج٣٥ ، ص٩٣ ، وانظر: تفصيل المؤاخاة عند ابن هشام " السيرة" ج٢ ، ص١٢٣/١٢٧.

(٤) صحيح البخاري ومسلم والترمزي وأبو داوود وابن ماجه والنسائي وأحمد ، وانظر: فتح الباري، ج٧ ، ص٦٠.

(٤) انظر: منهاج السنة ج٤، ص٨١ .

خليفة موسى عليه السلام ، وتوفي قبله ، وإنما خلفه في أهله ، وكذلك خلف عليّ المسلمين في المدينة عند ذهاب النبي ﷺ والصحابة إلى غزوة تبوك[٤] . وكذلك أحاديث الموالاة لا دليل فيها على إمامة علي [٥] .

٢) **عصمة الأئمة** : وقد نتجت هذه الفكرة من الفكرة السابقة وأعقبتها ، فقد اعتقد الشيعة عصمة الأئمة من الخطأ والخطيئة والنسيان ، وقد بنت الشيعة فكرتها في عصمة الأئمة – علي وأولاده – على حديث الكساء ، أو العباءة ، أو المرط ، الذي فيه أن النبي ﷺ قد غطى به علياً وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، ثم قال: " اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فاذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا "، والحديث صحيح رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة [١].

أن النصرانية اعتبرت البابا معصوماً من الغلط حين يتكلم من منصة التعليم وأن قراراته غير قابلة للتعديل ، وأن عصمة البابا تفترض عصمة الكنيسة ، وهذا يبين أن من تظاهر من اليهود والنصارى بالإسلام سلّل فكرة العصمة، بالتركيز على ميراث النبي ﷺ ، وأن علياً هو الذي كان يجب أن يخلفه ، وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية في آل علي ، وهذا ما فعله عبدالله بن سبأ اليهودي في فكرته أن علياً وصى محمد ﷺ .

٣) **فكرة المهدي**: وكلمة المهدي في الأصل اسم مفعول من هدى يهدي ، فكل من هداه الله فهو مهدي [٢] ، ولم ترد في عصر رسول الله ﷺ

---

(٥) انظر تفصيل ذلك في " اتحاف ذوي النجابة " لمحمد بن العربي بن التبان ، ص١٤١ و ما بعدها .

(٥) حديث عائشة رضي الله عنها في مسلم ، ٨٨٣/٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، وحديث أم سلمة في سنن الترمزي ، ٣٠/٥ ، كتاب التفسير سورة الأحزاب ، ٣٢٨/٥ ، ويقول ابن تيمية رحمه الله :" أن هذا التطهير مما أمروا به ، لا مما أخبروا بوقوعه ، حيث قال تعالى: " إنما يريد الله " ، وهذا دليل على أن الآية لم تخبر بوقوع ذلك ، كما أن النبي ﷺ دعا لهم فحسب ،(ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٤ ، ص٢٢ ، جزء ٥ ، ص ١٣).

(٢) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج٣ ، ص٢٣٧.

والخلفاء الراشدين بغير هذا المعنى – معناها اللغوي المحض – بدليل خلو صحيحي البخاري ومسلم منها ، كما لاحظ (أحمد أمين) [1] ، وعلى هذا النحو جاءت في أحاديث المهدي الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، وهذه الأحاديث تدل على حقيقة ثابتة بلا شك ، هي حصول مقتضاها في آخر الزمان ، ولا صلة لها البتة مع عقيدة الشيعة ، يقول ابن خلدون في مقدمته : " يشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم إلى الآن ينتظرونه " [2].

وقد أثرت فكرة المهدي على عقائد بعض الفرق الإسلامية ، وتسربت إليها ، فظهرت فكرة القحطاني المنتظر ، وادّعاها اليمنيون ، وقيل إن عبدالرحمن بن الأشعث ادعى بأنه ذلك القحطاني المنتظر ، وأنه سيعيد الملك لليمانية ، كما ظهرت فكرة السفياني المنتظر، ويقال إن الذي وضع فكرته هو خالد بن يزيد بن معاوية الموصوف بالعلم ، والعقل ، والشجاعة ، والولع بالكيمياء [3].

٤) **فكرة الرجعة** : وتعنى عندهم عودة الميت ، أو المختفي إلى الظهور ، أو الحياة من جديد في الدور الأخير ، دور الاحتضار لهذا الكون [4] ، وقد تمكن (ابن سبأ) أن يسلل هذه الفكرة ، فقال برجعة محمد ﷺ أولاً مؤولاً معنى الآية : ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ** ﴾ [5] ، ثم أضافها إلى علي بن أبي طالب بعد وفاته ، فقال: (لو أتيتمونا بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت

---

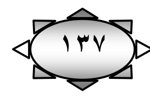
(١) المصدر السابق ، ص٢٣٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص٢٢٠.

(٣) المصدر السابق ، ص٢٣٨.

(٤) سعيد محمد حسن ، المهدية ، ص٨٨.

(٥) القصص ، آية: ٨٥.



جوراً [(١)] ، وهذا القول أضيف لابن سبأ بعد وفاته ، ولكنه بلا شك واضع جذور الفكرة التي لصقت بمحمد بن الحنفية ، الذي لقبه شيعته بالمهدي ، ثم زعمت أنه لم يمت ، وأنه بجبل رضوى مختبئ عنده عسل وماء [(٢)] ، وقد دخلت هذه الفكرة اليهودية والنصرانية جميع فرق الشيعة ما عدا الزيدية ، وأصبحت ركناً من أركان التشيع ، بل ديناً ، وسيصبح الإمام الثاني عشر بعد ذلك عند الإمامة الاثنى عشرية هو الذي غاب ، وأنه سيخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً [(٣)] .

٥) التقية : وهم يعدونها أصلاً من أصول الدين ، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة ، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم ، فمن تركها قبل خروجه ، فقد خرج عن دين الله تعالى ، وعن دين الإمامية ، كما يستدلون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **إلا أن تتقوا منهم تقاه** ﴾ ، وينسبون إلى على أبي جعفر (محمد الباقر) الإمام الخامس قوله : (التقية ديني ودين آبائي ، ولا إيمان لمن لا تقيه له) [(٢)] .

وليس من شك أن هذه الفكرة مخالفة للآية السابقة ، وقد تسربت من أهل الكتاب خصوصاً اليهود الفريسيين الذين لهم طقوس معينة ، ومذاهب سرية خاصة بهم ، ويعتبرونها أسراراً لا تفشى إلا لأعضاء الجماعة، وبعد إنضمامهم لها بوقت طويل ، واختبارهم اختباراً عنيفاً ، وهذه هي الماسونية التي ابتدعها اليهود في العصر الحديث [(٤)]، وقالوا في

---

(١) العيني ، عقد الجمان ، ج٩ ، ص١٦٨.

(٢) الذهبي ، العبر في خبر من عبر ، ج١ ، ص٩٣.

(٦) المسعودي ، ١٩٧٣ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٣٢٤.

(٢) الجهني ، ص١٤١٨ .

(٣) النشار ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٧٦.

تلمودهم :" على اليهودي أن يؤدي عشرين يميناً كاذبة ، ولا يعرِّض أحد إخوانه اليهود لضرر ما " ، كما أنه غير مصرح لليهودي أن يوجِّه السلام إلى الكافر إلا إذا كان يخشى ضرره ، أو عدوانه ، والنفاق جائز ، ولا بأس من إدعاء محبة الكافر إذا خاف اليهودي من أذاه [1] .

وقد حاول المتسللون إلى الإسلام من أهل الكتاب أن يرجعوا الفكرة إلى علي بن أبي طالب ﷺ وألصقوا به القول : " إنه تنبأ بأنه سيطلب إلى شيعته سبَّه والبراءة منه ، فقال: أما السبُّ فسبوني ، فإنه لي زكاة ، ولكم نجاة ، وأما البراءة فلا تتبرأوا مني ، فإني ولدت على الفطرة ، وسبقت إلى الإيمان والهجرة [2] .

٦) تأليه الإمام : وقد ظهرت هذه الفكرة عند الفرق الغالية من فرق الشيعة ، وقد بدأها عبدالله بن سبأ [3] إذ كانت آراؤه جرثومة لهذا الرأي ، وهذا النهج هو نفس نهج أهل الكتاب الذين تسللوا إلى الإسلام ، ويشبه النهج الذي اتفق عليه أحبار اليهود عندما رشوا بولس وأمروه بإظهار دين عيسى عليه السلام ، وأن يضل أتباعهم ، ويدخلهم إلى القول بألوهيته ، وقالوا نحن نتحمل إثمك في هذا ، ففعل ، وقالوا بألوهيته [4] .

وكانت رسائل بولس هذه أقدم كتب قبلتها الكنيسة ، ودعا فيها المسيح ابن الله – نبوّة حقيقية لا مجازية [5] .

وقد اعتمدت فكرة ألوهية الإمام على فكرة الحلول والتناسخ ، حيث اتفق غلاة الشيعة عليهما ، وقد تلقوها من المجوس، والمزدكية ،

---

(٤) الفاروقي ، سياسة الاستعمار والصهيونية ، ص٧- ٩.

(٢) المصري ، مصدر سابق ، ص١٦٩.

(٣) أحمد أمين ، مصدر سابق ن ص٢٧٦.

(٤) البغدادي ، الفرق ، ص٢٢٣.

(٥) ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج٢ ، ص٤٠٥.

والهندية البرهمية ، ومن الفلاسفة والعامة ، ومذهبهم أن الله تعالى قائم بكل مكان ، ناطق بكل لسان ، وقد يكون الحلول بجزء ، وقد يكون بكل ، والحلول بجزء يكون كإشراق الشمس في كوّة أو كإشراقها على البللور ، وأما الحلول بكل فهو كظهور ملك بشخص ، أو شيطان بحيوان[1].

وقال بالتناسخ الهنود والفرس ، وقبلهم فلاسفة اليونان كسقراط وأفلاطون ، وقال اليهود بالتناسخ ، وانتقلت الفكرة إلى النصارى ، وقال نسطور صاحب المذهب النسطوري عند النصارى إن في المسيح شخصين ، مقابل الطبيعتين متحدتين ، فالإنسان المسيح ليس الله ، بل فقط حامل الله، والتجسد ليس سوى سكنى الكلمة ، الإلهي في الإنسان يسوع المسيح، كسكنى الله في الأبرار لا غيره [2].

وقد تسللت فكرة الحلول والتناسخ عبر المتظاهرين بالإسلام من أهل الكتاب والمجوس إلى الإسلام بخبث إلى من أسلم منهم ، حيث وجدوا فيهم مرتعاً للتستر ومحاربة الدولة الأموية [3] ، وأفكار النصارى في هذه الفكرة واضحة بنسبة الإمام إلى الله مثلما نسبوا المسيح إليه ، حيث قالوا : " إن اللاهوت اتحد بالناسوت ، في الإمام ، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي [4].

ويؤكد (ابن خلدون) [5] أن من الشيعة طوائف يسمون الغلاة ، تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية الأئمة ، إما على أنهم بشر

---

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص١٣.

(٢) المصري ، مصدر سابق ، ص١٧٣.

(٣) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٦٢.

(٤) أحمد أمين ، مصدر سابق ، ص٢٧٧.

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص١٩٨.

اتصفوا بصفات الألوهية ، أو أن الإله حلَّ في ذات الإمام البشرية ، وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه.

وقد قال أتباع ابن سبأ بعد مقتل علي رضي الله عنه : " إن المقتول لم يكن علياً ، وإنما كان شيطاناً " ، وقالوا أيضاً :" كما كذبت اليهود والنصارى في دعوى قتل عيسى ، كذلك كذبت الخوارج في دعواها قتل عليّ ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبهوه بعيسى ، كذلك القائلون بقتل عليّ ، رأوا قتيلاً يشبه علياً ، فظنوا [1] أنه عليّ ، وإن علياً صعد إلى السماء، كما صعد إليها المسيح عليه السلام .

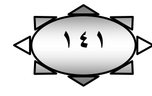
ويؤكد بعض الباحثين على [2] أن فكرة الحلول أدت إلى فكرة التشبيه التي وردت في النص السابق ، أي : " شُبِّه على الرائي " ، وهي التي ستقود إلى علم الباطن، وظهور الشيعة الباطنية فيما بعد كالإسماعيلية ، والقرمطية ، والنصيرية ، والدرزية ، وقد قادت هذه الفكرة أيضاً إلى " أن المعرفة هي معرفة الإمام فقط ، ومتى عُرِفَ سقطت عنه التكاليف الشرعية " وهي فكرة نصرانية بالفعل ، فبمعرفة الإمام يتم الإيمان مقولة تشبه مقولة يوضا الدمشقي : " بالإيمان نعرف سر الثالوث الأقدس " ، وكما فضّل النصارى أحبارهم على الأنبياء وأطلقوا عليهم اسم الرسل ، فكذلك الشيعة فضّلت الأئمة على الأنبياء.

وجدير أن نلفت الانتباه إلى أن هذه الفكرة يمكن أن تتسلل إلى فكرة المتصوفة المسلمين ، وتتطور تطوراً غريباً ، حيث يتم إسقاط التكاليف الشرعية بمعرفة الشيخ ، ويتم تقييد إرادة الإنسان المسلم ، وشل حركته ، رغبة في الدفع بالمجتمع المسلم إلى مزيد من الانحراف الفكري المؤدي ، ولا شك إلى التأخر والجمود.

---

(١) ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، ج٤ ، ص١٨٧.

(٢) المصري ، مصدر سابق ن ص١٧٤.



٧) التجسيم : وهي مرتبطة بفكرة الحلول والتناسخ ، وقد حاول اليهود إدخاله إلى المسلمين في أول عهد الرسول ﷺ فأتاه رهط منهم فقالوا : " يا محمد هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى أُنتقع [١] لونه ، ثم ساروهم [٢] غضباً لربه ، فجاءه جبريل عليه السلام فسكَّنه ، فقال : خفّض عليك يا محمد : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ فلما تلاها عليهم قالوا : فصف لنا يا محمد كيف خَلْقه ، كيف ذراعه ، كيف عضده ؟ فغضب رسول الله ﷺ ، أشد من غضبه الأول وساورهم ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له مثل ما قال له أول مرة ، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عه ، يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [٣].

وقال ﷺ : " يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ، فإذا قالوا ذلك ، فقولوا : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** *........................﴾ ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثاً وليستعذ الله من الشيطان الرجيم [٤].

(١) انتقع ، تغيّر وتقال بالميم امتقع.

(٢) ساورهم : باطشهم وواثبهم

(٣) الزمر ، آية: ٦٧.

(٤) ابن هشام " السيرة " ج٢ ، ص٢٠٢.



المطلب الخامس

الصوفية

التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعوا إلى الزهد والتعبد كرد فعل مضاد للانغماس في اللهو والترف الحضاري ، ثم تطورت حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية ، وهم يسعون إلى تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق إتباع الوسائل الشرعية وجنحوا

حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية والهندية والفارسية واليونانية [(١)]

.

وإذا كان المذهب الشيعي قد دار فيه الغلو الفكري حول علي بن أبي طالب ﷺ والأئمة من ذريته ، فإن الغلو الفكري عند الصوفية قد دار حول النبي ﷺ والأولياء من بعده ، أو بتعبيرهم حول الحقيقة المحمدية ، والأولياء من بعد [(٢)] .

وإذا وجد في غلاة الشيعة من قال إن روح الإله قد حلت في النبي ﷺ ثم في علي ﷺ ، وأولاده من بعده ، فقد وجد في الصوفية من يقول بالحلول كالحلاج مثلاً [(٣)] ، وقد أجمع كثيرٌ من المؤرخين والعلماء أن الفكر الفلسفي اليوناني والمصري لدى الاسماعيلية القرامطة أصحاب رسائل إخوان الصفا ، كان هو المعبر الرئيسي لانتقال العقائد الباطلة إلى الصوفية [(٤)] .

وكدأب أي انحراف يبدأ صغيراً ، ثم ما يلبث أن يتسع مع مرور الأيام ، فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال : إبراهيم ابن أدهم ، مالك بن دينار ، رابعة العدوية ، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من تعذيب للنفس بترك الطعام ، وتحريم تناول اللحوم ، والسياحة في البراري والصحاري ، وترك الزواج [(٥)] .

وقد قسم العلماء التصوف والمتصوفين إلى ثلاث طبقات:

---

(١) المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٥٣.

(٢) ابن درع ، " ظاهرة الغلو في الدين " ، ص٢٥٧.

(٣)المصدر السابق ، ص٢٥٧.

(٤)المصدر السابق ، ص٢٥٧.

(٥) الجهني ، الموسوعة الميسرة ، ج١ ، ص٢٥٤.

- الطبقة الأولى: وهي التي مثلت تيار الصدق في الزهد ، والبعد عن الدنيا ، والانحراف في السلوك والعبادة على وجه يخالف ما كان عليه الصدر الأول ، وظهرت إدعاءات الكشف ، والخوارق والمقولات الكلامية(١).

- الطبقة الثانية: وقد خلطت الزهد بعبارات الباطنية ، وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة ، وسمُّوا أنفسهم بأهل الباطن ، و غيرهم بأهل الظاهر .

- الطبقة الثالثة: وفيها اختلط التصوف بالفلسفة اليونانية ، وظهرت أفكار الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود ، وأن الموجود الحق هو الله ، وما عداه فإنها صور زائفة وأوهام وخيالات ، وهذه الطبقة هي من أهم فرق الصوفية ، وكان أشهرهم الحلاج (٢) الذي ادعى أن روح الله حلّت فيه كما حلّت في الأنبياء من قبل –حسب زعمه - ، وكان يكتب إلى أتباعه واصفاً نفسه بالألوهية ، وأن الله قد حل في آدم فصار بذلك الإنسان الإلهي، الذي حلت فيه روح الله ، والمقصود بآدم عند الحلاج هو النوع الإنساني ابتداءً بآدم واستمراراً في الأنبياء حتى محمد ﷺ والأولياء من بعده (٣).

وأما محي الدين بن عربي فيعتبر نفسه خاتم الأنبياء ، وقد طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه جميع الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله (٤).

---

(١) المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٥٨.

(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٦٠.

(٣) ابن درع ، ظاهرة الغلو في الدين ، ص٢٦٥.

(٤) الجهني ، الموسوعة الميسرة ، ج١ ، ص٢٦٤.

وكانت أهم مصادر التلقي عندهم : الكشف : حيث يعتمدون على الكشف مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف ، بل تحقيق غاية عبادتهم ويدخل تحت الكشف الصوفي جمله من الأمور الشرعية والكونية منها :

- النبي : ويقصدون النبي ﷺ ، ويأخذون عنه يقظة ومناماً.

- الخضر عليه السلام : قد كثرت حكاياتهم عن تقواه ، والأخذ عنه أحكاماً شرعية وعلوماً دينية ، وكذلك الأوراد والأذكار .

- الإلهام : سواء من الله تعالى مباشرة ، حيث يعتبرون الولي هو الذي يأخذ العلم مباشرة من الله تعالى.

- الفراسة : والتي تختص بمعرفة خواطر النفوس وأحاديثها .
- الهواتف : من سماع الخطاب من الله تعالى ، أو من الملائكة أو الجن الصالح ، أو من أحد الأولياء ، أو من الخضر ، أو إبليس.
- الإسراءات والمعارج : ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي ، وجولاتها هناك ، والإتيان بشتى العلوم والأسرار .
- الرؤى والمنامات : وهي من أكثر المصادر اعتماداً عليها عندهم ، حيث يزعمون أنهم يتلقون فيها عن الله تعالى ، أو عن النبي ﷺ ، أو عن أحد شيوخهم [1] .

والخلاصة أن التصوف عبر تاريخه الطويل هو انحراف عن منهج الزهد الذي يدعو إليه الإسلام ، وقد زاد هذا الانحراف عندما اختلط التصوف بالفلسفات الهندية واليونانية والرهبانية النصرانية ، وتفاقم الأمر عندما صارت الصوفية تجارة للمشعوذين والدجالين ممن قلت بضاعتهم في العلم وقصر سعيهم عن الكسب الحلال [2] .

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ، ج١ ، ص٢٦٦ وما بعدها.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة ، ج١ ، ص٢٧٦ وما بعدها.

هـذا ، وقـد تفرعـت مـن الـصوفية طـرق متعـددة أهمهـا الـشاذلية والتيجانيـة ، والـسنوسية ، الختميـة ، البريلويـة ، والديوبنديـة ، والمهديـة ، وجماعة التبليغ والدعوة [1].

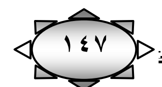


الأشاعرة

وهي فكرة كلامية إسلامية ، تنتسب لأبي الحسن الأشعري الذي خـرج عـن المعتزلـة ، وقـد اتخـذت الأشـاعرة الـبراهين العقليـة والـدلائل الكلاميـة وسـيلة في محاجـة خـصومها مـن المعتزلـة والفلاسـفة وغيرهـم ، لإثبات حق الدين والعقيدة الإسلامية [2].

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ، ج١ ، ص٣٠٨ ، وما بعدها.

(٢) الجهني ، " الموسوعة الميسرة " ج١ ، ص٨٧.



ومن أبرز أئمتهم : القاضي أبو بكر الباقلاني ، وأبو إسحاق الفيروزآبادي الشيرازي ، وأبو حامد الغزالي ، وأبو إسحاق الأنوابيني، والإمام الفخر الرازي [1] ، وكانت أهم أفكارهم ومعتقداتهم:

١. عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة لأنها لا تفيد العلم اليقيني ، ولا مانع من الاحتجاج بها في مسائل السمعيات أو فيما لا يعارض القانون العقلي ، والمتواتر منها يجب تأويله ، وهذا مخالف لما كان عليه السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة ومن سار على نهجهم [2].

٢. مصدر التلقي عندهم الكتاب والسنة على مقتضى قواعد علم الكلام، ولذلك فهم يقدمون العقل على النقل عند التعارض.

٣. يقسّم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام:

أ - قسم مصدره العقل وحده ، لأن العقل يحكم بوجوبه دون توقف على الوحي عندهم.

ب- قسم مصدره العقل والنقل معاً كالرؤية .

جـ- قسم مصدره النقل وحده وهو السمعيات ذات المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراط والميزان [3].

والحاصل أنهم في صفات الله جعلوا العقل حاكماً ، وفي إثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلاً ، وفي الرؤية جعلوه مساوياً ، بعكس أهل السنة والجماعة ، فلا منافاة بين العقل والنقل أصلاً ، ولا تقديم للعقل في جانب وإهماله في جانب ، وإنما البدء بتقديم النقل على العقل [4].

---

(١) المصدر السابق ، ص٩٠.

(٢) المصدر السابق ، ص٩٠.

(٣) المصدر السابق ، ص٩١.

(٤) المصدر السابق ، ص٩١.

٤. التوحيد عندهم هو نفي التثنية والتعدد ، فيقولون: (إن اللّه واحد في ذاته لا قسيم له ، واحد في صفاته لا شبيه له ، واحد في أفعاله لا شريك له) وأنكروا صفات الوجه واليدين والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم ، وهو مخالف لمعتقد لأهل السنة والجماعة [(١)].

٥. في الإيمان هم بين المرجئة التي تقول يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان ، وبين الجهمية التي تقول يكفي التصديق القلبي ، بعكس أهل السنة والجماعة الذين يقولون: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد [(٢)].

٦. قولهم بأن القرآن ليس كلام اللّه على الحقيقة ، ولكنه كلام اللّه النفسي وأن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة.

٧. الإيمان والطاعة بتوفيق اللّه ، والكفر والمعصية بخذلانه [(٣)].

٨. مدرسة الأشعري الفكرية لا تزال مهيمنة على الحياة الدينية في العالم الإسلامي ، ولكنها فقدت حيويتها ونشاطها الفكري لأن التقليد طغى على تلاميذ هذه المدرسة وأصبح علم الكلام لديهم علماً متناقلاً " دون تجديد في الأسلوب [(٤)].

وإجمالاً فإن الأشاعرة أثبتوا بالعقل الصفات العقلية السبع فقط للّه تعالى،(الحياة – العلم – القدرة – الإرادة – السمع – البصر – الكلام) واختلفوا في صفة البقاء ، أما الصفات الاختيارية والمتعلقة بالمشيئة من

---

(١) المصدر السابق ، ص٩٢.

(٢) الجهني ، الموسوعة الميسرة ، ج١ ، ص٩٤.

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص٩٤.

(٤) المصدر السابق ، ج١ ،ص٩٥.

الرضا والغضب والفرح والمجيء والنزول فقد نفوها ، وأوّلوا جميع الصفات الخبرية لله تعالى [1].

ويؤمن بعض الأشاعرة المتأخرين ببعض الأفكار المنحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة والتي تصدى لها شيخ الإسلام ابن تيمية لا سيما في مجال العقيدة [2].

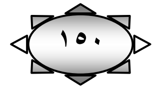


العلمانية

العلمانية : تأتي لمعان منها : العالمية ، ومنها اللادينية ، ومنها فصل الدين عن الدولة وعن السياسة أو عن الحياة . وكلمة (العلمانية) اصطلاح جاهلي غربي يشير إلى انتصار (العلم) على الكنيسة النصرانية التي حاربت التطور باسم الدين.

(١) المصدر السابق ، ج١ ، ص٩٦.

(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص٩٧.



إذن فالعلمانية في اصطلاح الغربيين تعني : فصل الدين عن شئون الحياة ، وعزله في الضمير وفي الكنيسة.

والعلمانية بمفهومها هذا ، تعتبر في ميزان الإسلام مفهوماً جاهلياً إذ تعني (عزل الدين عن شئون الحياة) وذلك أن الإسلام دين متكامل جاء لينظم الحياة بجميع نشاطاتها ويوجه الناس إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة . وإبعاد الدين عن الحياة وعن شئون الدنيا ، وعزله عن السياسة والاقتصاد والأسرة والمجتمع والتعليم وغيرها إنما يعني في الإسلام الكفر وحكم الجاهلية والصد عن سبيل الله ، وتعطيل حدوده ، لذلك ينبغي أن نطلق على العلمانية (الجاهلية الحديثة).

كما أن اسم (العلمانية) يوحي بأن العلم والدين ضدان وأن الصراع قائم بينهما ، كما يوحي بأن الدين لا علاقة له بالدنيا ، وأن التمسك به يعني التأخر والجهل ، وهذا خطأ فاحش ، لأن الدين – الذي هو الإسلام- هو دين العلم والسعادة والتقدم ، ولا يخفى على الغربيين أنفسهم – فضلاً عن المسلمين – أن الإسلام هو الذي فتح لهم آفاق العلم والاختراع والتقدم .

والسبب الأول في تسمية (الجاهلية) علمانية ، هو ما فعله رجال الكنيسة النصرانية الذين وقفوا ضد التحضر والتقدم في الغرب زاعمين أن الدين – دينهم المحرف – يحرِّم العمل التجريبي والاختراعات والاكتشافات الناتجة عنه.

العلمانية كما ذكرنا فكرة غربية خالصة وتاريخها جزء من التاريخ الغربي.

بدأت فكرة العلمانية تغزو العالم الإسلامي منذ أكثر من قرن لكنها لم تتمكن إلا في بداية القرن (العشرين الميلادي) حين طبقت على مستوى الدولة على أنقاض الخلافة العثمانية ثم سرت إلى بقية العالم

الإسلامي وكانت هناك عدة عوامل رئيسية ساعدت على ظهور (الجاهلية الحديثة) بين المسلمين أهمها :

١- انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة السليمة وكثرة البدع والأهواء وقلة الفقه في الدين بينهم.

٢- الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي ، فقد حرص الغربيون على إبعاد الإسلام من واقع الحياة وسياسة الدولة ، واستبدلوا به مناهج علمانية غربية (إلحادية).

٣- الأقليات غير المسلمة كالنصاري واليهود والشيوعيين وأصحاب الاتجاهات المنحرفة من جمعيات وأحزاب ونحوهم ، وكل هؤلاء لا ينعمون بضلالهم وانحرافهم وفسادهم إلا تحت شعار كشعار ما يسمى بالعلمانية ، لذلك تضافرت جهودهم على نشرها وبثها والدعاية لها حتى انخدع بذلك كثيرون من السذج وأنصاف المتعلمين من أبناء المسلمين.

٤- تقدُّم الغرب الهائل في مضمار العلم المادي والقوة العسكرية جعل كثيرين من المسلمين ينبهرون بذلك التقدم ويعزونه إلى الاتجاه الجاهلي الحديث (العلماني) ، وصدَّقوا دون تفكير مزاعم الكفار بأن الدين معوِّق للعلم ، وظنوا أن بلادهم لا تتقدم حتى تفصل الدين- الإسلام – عن الدولة والحياة . وهذا لا شك جهل بالإسلام جنى ثماره النكدة جميع المسلمين.

٥- تمكن عملاء الغرب والمخدوعين به وأصحاب الاتجاهات والمذاهب المنحرفة من الحكم والسلطة في أكثر بلاد المسلمين بدعم من أسيادهم.

أما العلمانية من الجانب التشريعي فإنها تعني : فصل الدين عن الدولة أو عن الحياة كلها ، وهذا يعني الحكم بغير ما أنزل الله ، وقد فصّل علماء العقيدة الحكم بهذا على النحو التالي:

١- إذا وقع الحكم بغير ما أنزل الله تعالى والحاكم (سواء كان فرداً أو مجموعة) يرى أن حكم الله غير صالح أو غير جدير أو أن الحكم البشري أصلح وأكمل من حكم الله فهذا كفر.

٢- وإذا وقع ذلك عن جهل أو ضعف مع اعتقاد أن حكم الله أصلح وأحق وأجدر فهذا فسق وظلم ويجب على المسلم أن يتوب منه وأن يرجع إلى الله.

فالعلمانية من الجانب العقدي تعني: الإلحاد أو التنكر للدين وعدم الإيمان به ، وترك العمل بأحكامه وحدوده وهذا هو الكفر الصريح.

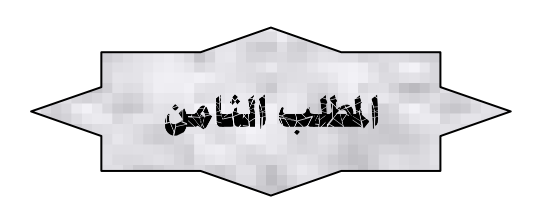
أما العلمانية من الجانب الأخلاقي فإنها تعني : الانقلاب والفوضى في إشاعة الفاحشة والرذيلة والشذوذ ، والاستهانة بالدين والفضيلة وسنن الهدى وهذا ضلال مبين وفساد في الأرض.

والعلمانيون في العالم الإسلامي يُعرفون بالاستهانة بالدين والتهكم والاستهزاء بالمتمسكين به ، كما يُعرفون بظهور المعاصي على سلوكهم ومظاهرهم وألسنتهم.

كما يُعرفون بإثارة الشبهات ، وإشاعة الفواحش (كالسكر والتبرج والاختلاط المحرم) ونشر الرذيلة ومحاربة الحشمة والفضيلة والحدود الشرعية والاستهانة بالسنن.

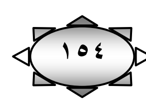
كما يُعرفون أيضاً بحب الفسّاق و (الكفّار) والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها.

\



الديمقراطية

" الديمقراطية ": كلمة مأخوذة عن اللفظة اليونانية: " Democracy " وهي مشتقة من لفظتين يونانيتين هما : " Kratos " بمعنى الشعب ، و " Demos " بمعنى سلطة . والكلمة في جملتها تعني حكم الشعب



لنفسه ، وهذه اللفظة تطلق ويراد بها : النظام الذي يتولى فيه الشعب اختيار حاكمه ، ويتولى كذلك وضع القوانين والتشريعات التي تحكمه ، ويتولى الرقابة على الحكومة ، وكل ذلك إن لم يكن بنفسه مباشرة ، فعن طريق ممثليه الذين يختارهم لينوبوا عنه فيما يسمى بالمجالس النيابية .

أما عن نشأة هذا النظام الذي يسمى الديمقراطية ، فقد عُرِف أوّلَ ما عرف لدى اليونان القدماء قبل الميلاد بعدة قرون .. ولقد ظلت هذه الصورة القديمة للنظام السياسي الذي يقوم على اختيار الشعب للحكام الذين يحكمونه ، والقوانين التي تطبق عليه ، ظلت هذه الصورة أُمنية عزيزة للشعوب الغربية النصرانية التي ظلت تُحكْمَ قرابة ألف عام حكماً استبدادياً ظالماً تحت طغيان الملوك والأباطرة من جانب ، وفساد رجال الكنيسة الذين مالأُوا الملوك من جانب آخر. ولقد ظلت الديموقراطية هي النظام الأمثل والأكثر ملاءمة للشعوب النصرانية ، وذلك لأمور:

أولاً : أن هذه الشعوب النصرانية ليس لديها دين صحيح تحكم به.

ثانياً : أن النصرانية الباطلة التي تدين بها تلك الشعوب ليس بها أحكام تشريعية مقررة وثابتة يمكن تطبيقها، ولكن الأمر فيها متروك لما يسمى عندهم : بالمجامع النصرانية التي تجتمع وتقرر الأحكام التي يرتضيها رجال الدين النصارى ، وهذه المجامع تقرر أموراً في مجمع ، ثم تأتي فتنقض هذه الأمور في مجمع آخر، وقراراتها في كلتا الحالين لا يمليها إلا أهواؤهم ونزواتهم.

ثالثاً: أن النصرانية ليس فيها ما يلزم المتدينين بها بتطبيق أحكام بعينها ، بل هي تَركت من يدين بها يطبق من الأحكام ما شاء.

رابعاً: أن رجال الدين النصارى قد رضوا لأنفسهم ولدينهم أن ينعزلوا داخل جدران الكنائس ، ويتركوا الناس في المجتمعات الغربية النصرانية يشرِّعوا لأنفسهم ورجالهم.

خامساً: يضاف إلى ذلك أن تاريخ الكنيسة ورجالها مع المجتمعات الغربية تاريخ مخزٍ و فاضح ، فلطالما وضع رجال الدين النصارى أيديهم في أيدي الطغاة من الملوك والأباطرة الذين عاملوا شعوبهم الغربية معاملة العبيد، وأذاقوهم الذُّلَّ والمهانة ، وكانت الكنيسة ورجالها شَرَّ مُعين للأباطرة على استذلال شعوبهم ، ولذلك كانت هذه الشعوب ومازالت تمقت الكنيسة ورجالها ، وتحتفظ لهم بأسوء ذكريات يحتفظ بها بَشَرٌ لرجال دينهم.

وإذا كان هذا حال الدول الغربية النصرانية ؛ فماذا عنا نحن الأمة المسلمة ، التي تدين بدين الله الحق الإسلام ؟ والتي أنزل الله – تعالى – عليها الشريعة الحقة التي كمَّل بها دين الله الحق وتمَّت بها نعمة الهداية إلى ذلك الدين .

ماذا عنا نحن الأمة الإسلامية التي تؤمن بأن الحاكمية لله ، وأن التشريع لا يكون إلا من الله – سبحانه - ، وأنه لا يحق لأحد من الخلق أن يشرِّع لنفسه ، فضلاً عن أن يشرِّع لغيره ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال فإنه يحسن أن نتوجه إلى" الديمقراطية " بنظرة فاحصة تبين لنا حقائقها ، وتكشف لنا عن دقائقها ، وسيبين ذلك - بحول الله - في أمور:

أولاً: الديمقراطية نظام شامل لحياة الناس بجميع جوانبها ، فهي ليست نظاماً سياسياً فقط – كما قد يبدو – ولكنها نظام سياسي ، واقتصادي واجتماعي .

ثانياً: تقوم الديموقراطية على أن الحاكمية للناس أو للشعوب ، وأن التشريع حق لهم ، فالناس هم الحاكمون ، وهم المشرِّعون ، وهم المنفِّذون لما يَشْرَعون .

ثالثاً: الأحكام والتشريعات في الديمقراطية غير ثابتة ، لأنها من تشريع البشر ، فما يشرعون اليوم يظهر فساده غداً فيغيرونه ، وكل التشريعات كذلك لا يستثنى منها شيء.

وهذا مما جعل الحرية عندهم تجنح عن الاعتدال إلى التطرف ، حتى صار لائقاً بها أن تسمى " فوضى حيوانية " انفلتت عن كل ضابط ، وتأبّت على كل ميزان أو رابط.

هذه هي أهمُّ سمات " الديمقراطية " فما ملاحظاتنا عليها – نحن المسلمين - ؟ إن أول ما يلاحظ المسلم على الديمقراطية أنها نظام يجعل الحاكمية لغير الله – سبحانه – ويجعل حق التشريع كذلك – لغير الله- ويترتب علي ذلك أن الديمقراطية تجعل الطاعة والانقياد لغير الله . وإذا كانت هذه الأمور الثلاثة: " الحاكمية – والتشريع – والطاعة " هي حقاً خالصاً لله – سبحانه – ومن مقتضيات الربوبية والألوهية ؛ فهذا يعني أن الديمقراطية تسلب صفة الربوبية المتمثلة في حق الحاكمية وحق التشريع، وتعطيه للناس أو للشعوب ، وتسلب – كذلك – حق الألوهية المتمثل في السمع والطاعة والانقياد ، وتعطيه للناس أو الشعوب ، وبذلك يتقرر أن الديموقراطية صورة من صور الشرك القديمة تلبست شكلاً حديثاً، وتَسمَّت باسم عصري لتلبِّس على الناس دينهم وتفسد عقائدهم.

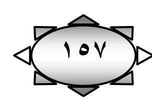
كذلك يلاحظ المسلم على الديمقراطية أنها تركز على ما يسمى بالحرية ، وأن الحرية فيها بلا ضوابط ولا حدود ، وهذا نراه واضحاً في تطبيقات الحرية عندهم.

فهي حرية الكفر والإلحاد.

وهي حرية الزنا والدعارة.

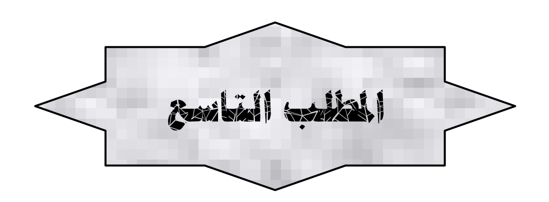
وهي حرية المسكرات والمخدرات.

وهي حرية الشذوذ الذي وصل إلى حد أن تعقد إحدى الكنائس زواجاً بين رجل ورجل ، ويعلن القس بعد ذلك أنه عقد شرعي.



ولذا تقرر القول عن يقين : أن الديموقراطية هي إحدى صور الشرك الحديثة حيث تعطي حق الحاكمية للبشر وهو حق خالص لله – تعالى – يقول سبحانه : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للَّهِ** ﴾[1] ، كما تعطي حق التشريع للبشر ، وهو حق خالص لله – تعالى – يقول سبحانه – : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾[2] .

من المحزن المخزي أن ينخدع الكثيرون من المسلمين أفراداً وجماعات وأنظمة بهذه الديموقراطية ، وليس لنا معهم إلا أن نذكرهم بكلام الله تعالى فيهم وفي أمثالهم: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[3] [4] .



(١) سورة الأنعام ، آية: ٥٧ .

(٢) سورة النساء ، آية: ٦٥ .

(٣) سورة المائدة ، آية: ٥٠ .

(٤) د. محمود محمد مزروعة ، التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها – بتصرف – ص١٦٥ وما بعدها.

الحداثة

الحداثة مذهب إلحادي فكري علماني يستلهم أُسُسَه ويستمد جذوره من المذاهب الإلحادية مثل الداروينية ، والشيوعية ، والوجودية ، وغير ذلك من مذاهب قامت على معاداة الدين والقيم واللغة وكل ما هو حق وثابت في حياة الأمة.

أما عن نشأة الحداثة هذه فقد نشأت في الغرب نتيجة عوامل القلق والحيرة والاضطراب ، ففي الغرب عقب تخلص الشعوب الأوربية من طغيان الكنيسة وجبروت الملوك ، أصيب الناس بالفوضى والتخبط في كل شئون الحياة تقريباً ، وفي مجال الفكر ظهر هذا التخبط بوضوح ، حيث توالت المذاهب الفكرية ينقض بعضها بعضاً .

ولقد جاءت مدارس الحداثة فأوغلت في الرمزية حتى أفرغت المباني اللغوية من معانيها التي تواضع عليها أهل اللغة ، واعتدت على محتواها الوجداني وتأثيرها النفسي ، ومن المعلوم أن ألفاظ اللغة وتراكيبها تحتوي على معان عقلية ، وشحنات وجدانية ، وأن مجموع الأمرين هو ما يريد المتكلم إيصاله إلى الآخر ، أو إلى المخاطب ، فإذا جاء تيار الحداثة وزبانيته فأفسدوا من المباني اللغوية باختراع أو نحت مبان جديدة غير مستعملة ولا مفهومة ، أو باستعمالها في غير ما وضعت له ، أو اخترعوا تركيبات جديدة لإفساد معاني اللغة وإشاعة الغموض والإبهام فيها ، فإنهم بذلك يصلون إلى ما يهدفون إليه من فساد اللغة ، واللغة هي وعاء الدين ، ووعاء القيم والأخلاق ، ووسيلة التواصل بين الناس ، فإذا ما تم إفسادها بالعبث بمبانيها ومعانيها ، فإن ذلك يعني الإساءة إلى كل ما تعبر عنه اللغة وتنطق به ، وبخاصة كتاب الله – تعالى – القرآن المجيد ، وسنة النبي B المطهرة الذين هما مصدر الإسلام ، دين الله الحق ،والذين جاءا باللغة العربية ، ولا يمكن أن يفهما إلا بها.

ونستطيع أن نبين أهم أهداف الحداثيين من خلال كتاباتهم فيما يلي:

أولاً: إعلان الحرب على الله عز وجل ورسله – صلوات الله عليهم – وذلك برفض القرآن والسنة واللغة ، وبالتالي رفض الشريعة الإسلامية وأحكامها رفضاً تامًّا.

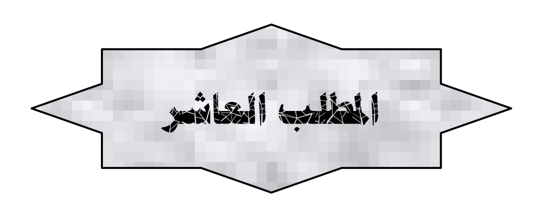
ثانياً: الثورة على كل ما يتصل بالدين من قيم وأخلاق ، ورفض كل ثقافة ناشئة عن الدين كالتفسير والحديث والفقه وأصوله وغير ذلك.

ثالثاً: اللغة العربية عندهم قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف المتراكم الفاسد ، لذا يجب القضاء عليها لتأتي على أنقاضها لغة الحداثة.

رابعاً: بدأ الحداثيون في نشر أفكارهم على استحياء ثم أخذوا يتبجحون بها في وضوح .

وأخيراً فلعله قد بان لنا ماذا تريد هذه الحركة الإلحادية التي تمجد الشيوعية وتدعوها إلى أن تزلزل الجبال في بلاد الإسلام ، وتلهم الجبال.

والمحزن دعوة الأجيال أن تستلهم القرآن المجيد والسنة النبوية وأن تزلزل بهما جبال الكفر والإلحاد والزندقة [(١)].



(١) محمود محمد مزروعة ، مرجع سابق ، ص١٧١- ١٧٣.



حركة تحرير المرأة

حركة تحرير المرأة ، حركة علمانية ، نشأت في مصر في بادئ الأمر ، ثم انتشرت في أرجاء البلاد العربية والإسلامية ، تدعو إلى تحرير المرأة من الآداب الإسلامية والأحكام الشرعية الخاصة بها مثل الحجاب ، وتقييد الطلاق ، ومنع تعدد الزوجات، والمساواة في الميراث، وتقليد المرأة الغربية في كل أمر ، ونشرت دعوتها من خلال الجمعيات والاتحادات النسائية في العالم الغربي.

و قبل أن تتبلور الحركة بشكل دعوة منظَّمة لتحرير المرأة ضمن جمعية تسمى الاتحاد النسائي كان هناك تأسيس نظري فكري لها . ظهر من خلال كتب ثلاثة ومجلة صدرت في مصر.

و سبق سفور المرأة المصرية، اشتراك النساء بقيادة هدى شعراوي (زوجة علي شعراوي) في ثورة سنة ١٩١٩م ، فقد دخلن غمار الثورة بأنفسهن ، وبدأت حركتهن السياسية بالمظاهرة التي قمن بها في صباح يوم ٢٠ مارس سنة ١٩١٩م.

وأول مرحلة للسفور كانت عندما دعا سعد زغلول النساء اللواتي يحضرن خطبه أن يزحن النقاب عن وجوههن ، وهو الذي نزع الحجاب عن وجه نور الهدى محمد سلطان التي اشتهرت باسم : هدى شعراوي مكوِّنة الاتحاد النسائي المصري وذلك عند استقباله في الإسكندرية بعد عودته من المنفَّى ، واتَّبعتها النساء فنزعن الحجاب بعد ذلك في مشهد يشبه التمثيل المعدّ له مسبقاً .

و قد تأسس الاتحاد النسائي في نيسان ١٩٢٤م ، بعد عودة مؤسِّسته هدى شعراوي من مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما عام ١٩٢٢م .. ونادى بجميع المبادئ التي نادى بها من قبل مرقص فهمي المحامي وقاسم أمين.

ولعلنا أن نجمل أفكار ومعتقدات أنصار حركة تحرير المرأة فيما يلي:

١/ تحرير المرأة من كل الآداب والشرائع الإسلامية وذلك عن طريق:

أ - الدعوة إلى السفور والقضاء على الحجاب الإسلامي.

ب- الدعوة إلى اختلاط الرجال مع النساء في كل المجالات في (المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية ، والأسواق).

ج- تقييد الطلاق ، والاكتفاء بزوجة واحدة.

د- المساواة في الميراث مع الرجل.

هـ- الدعوة إلى العلمانية الغربية أو اللادينية بحيث لا يتحكم الدين في مجال الحياة الاجتماعية خاصة.

و- المطالبة بالحقوق الاجتماعية والسياسية.

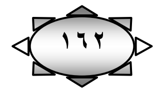
ز- أوروبا والغرب عامة هم القدوة في كل الأمور التي تتعلق بالحياة الاجتماعية للمرأة : (كالعمل ، والحرية الجنسية ، ومجالات الأنشطة الرياضية والثقافية).

ويتضح مما سبق : أن حركة تحرير المرأة هي حركة علمانية ، نشأت في مصر ، ومنها نُشرت في أرجاء البلاد العربية والإسلامية ، وهدفها هو قطع صلة المرأة بالآداب الإسلامية والأحكام الشرعية الخاصة بها كالحجاب ، وتقييد الطلاق ،ومنع تعدد الزوجات ،والمساواة في الميراث، وتقليد المرأة الغربية في كل شيء ، ويعتبر كتاب المرأة في الشرق لمرقص فهمي المحامي وتحرير المرأة والمرأة الجديدة لقاسم أمين من أهم الكتب التي تدعوا إلى السفور والخروج على الدين ، وتمتد أهداف هذه الحركة لتصل إلى جعل العلمانية اللادينية أساس حركة المرأة والمجتمع [1] .



القومية العربية

(١) محمد فهمي عبدالوهاب ، الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار – بتصرف .
وانظر: قضية تحرير المرأة لمؤلفه / محمد قطب.



حركة سياسية فكرية متعصبة ، تدعو إلى تمجيد العرب ، وإقامة دولة موحدة لهم ، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ ، وإحلالها محل رابطة الدين ، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا.

ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراً لها ، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٢م.

هذا وقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة ، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها ، ولم تصبح تياراً شعبياً عاماً إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر حين سخر لها أجهزة إعلامه ، وإمكانيات دولته . ويمكن أن يقال إنها الآن تعيش فترة انحسار أو جمود على الأقل.

و يعد ساطع الحصري ١٨٨٠- ١٩٦٨م داعية القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعاتها ، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي يقوم عليه فكرة القومية العربية.

و يعلي الفكر القومي من شأن رابطة القربى والدم على حساب رابطة الدين ، وإذا كان بعض كتاب القومية العربية يسكتون عن الدين ، فإن بعضهم الآخر يصر على إبعاده إبعاداً تاماً عن الروابط التي تقوم عليها الأمة ، بحجة أن ذلك يمزق الأمة بسبب وجود غير المسلمين فيها ويرون أن رابطة اللغة والجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين.

و حيث إن أساس القومية العربية هو : إبعاد الدين الإسلامي عن معترك حياة العرب السياسية والاجتماعية والتربوية والتشريعية فإنها تعد ردة

إلى الجاهلية ، وضرباً من ضروب الغزو الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي ، لأنها في حقيقتها صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوروبا.

و لذا يصفها سماحة الشيخ ابن باز بأنها : " دعوة جاهلية إلحادية تهدف إلى محاربة الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه " ، ويقول عنها : " وقد أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول .، فاعتنقها كثير من العرب أعداء الإسلام واغترّ بها كثير من الأغمار ومن قلدهم من الجهال وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان ، ويقول أيضاً : " هي دعوة باطلة وخطأ عظيم ومكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله ".

و يرى دعاة الفكر القومي – على اختلاف بينهم في ترتيب مقومات هذا الفكر – أن أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية هي : اللغة ، والدم ، والتاريخ ، والأرض ، والآلام والآمال المشتركة.

ويرون أن العرب أمة واحدة لها مقومات الأمة وأنها تعيش على أرض واحدة هي الوطن العربي الواحد الذي يمتد من الخليج إلى المحيط.

كما يرون أن الحدود بين أجزاء هذا الوطن هي حدود طارئة ، ينبغي أن تزول وينبغي أن تكون للعرب دولة واحدة ، وحكومة واحدة ، تقوم على أساس من الفكر العلماني.

و يدعو الفكر القومي إلى تحرير الإنسان العربي من الخرافات والغيبيات والأديان كما يزعمون.

لذلك يتبنى شعار : (الدين لله والوطن للجميع) ، والهدف من هذا الشعار ، إقصاء الإسلام عن أن يكون له أي وجود فعلي من ناحية ، وجعل أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين من ناحية أخرى.

و يرى الفكر القومي أن الأديان والأقليات والتقاليد المتوارثة عقبات ينبغي التخلص منها من أجل بناء مستقبل الأمة .

و قد قال عدد من قادة هذا الفكر : نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

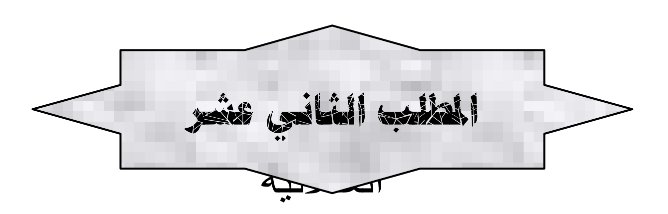
ويقرر الفكر القومي أن الوحدة العربية حقيقة ، أما الوحدة الإسلامية فهي حلم ، وأن فكرة القومية العربية من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية ، لا من الآراء الاصطناعية التي يستطيع أن يبدعها الأفراد.

و يرى دعاة الفكر القومي أن من الإجرام أن يتخلى العربي عن قوميته، ويتجاوزها إلى الإيمان بفكرة عالمية أو أممية ، مع أن إبعاد الإسلام عن معترك حياة العرب ينهي وجودهم .

و قد قال بعض مفكري القومية العربية : إذا كان لكل عصر نبوته المقدسة ، فإن القومية العربية نبوة هذا العصر.

ويقول بعضهم الآخر : إن العروبة هي ديننا نحن العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين ، لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية، ويجب أن نغار عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي والمسيحيون على إنجيل المسيح.

ويقرر بعضهم الآخر أن المرحلة القومية في حياة الأمة ، مرحلة حتمية، وهي آخر مراحل التطور كما أنها أعلى درجات التفكير الإنساني [(١)]



العقلانية مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي

---

(١) مصطفى الشهابي ، القومية العربية تاريخها وقوامها بتصرف.

وانظر: حقيقة القومية العربية لمؤلفه / محمد الغزالي.

وانظر: فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام لمؤلفه / صالح عبدالله العبود.

أو التجربة البشرية ، وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.

ويحاول المذهب إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدها من التجربة العملية الحياتية ، أيّ إن الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد.

والعقلانية مذهب قديم جديد بنفس الوقت ، برز في الفلسفة اليونانية على يد سقراط وأرسطو ، وبرز في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي فلاسفة أثَّروا كثيراً في الفكر البشري.

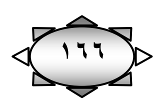
وفي المجتمع الإسلامي نجد المعتزلة تقترب من العقلانية جزئيَّاً ، إذ اعتمدوا على العقل وجعلوه أساس تفكيرهم ودفعهم هذا المنهج إلى تأويل النصوص من الكتاب والسنة التي تخالف رأيهم ، ولعل أهم مقولة لهم قولهم بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ولو لم يرد بها شيء ، ونقل المعتزلة الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية وذلك لتأثرهم بالفلسفة اليونانية.

وقد فنَّد علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم ، ومنهم الإمام أحمد ابن حنبل ثم جاء بعد ذلك ابن تيمية وردَّ عليهم ردَّاً قويَّاً في كتابه " درء تعارض العقل والنقل " ، وبيّن أن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل ، وهناك من يحاول اليوم إحياء فكر المعتزلة إذ يعدونهم أهل الحرية الفكرية في الإسلام ، ولا يخفى ما وراء هذه الدعوة من حرب على العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وإن لبست ثوب التجديد في الإسلام أحياناً.

وتعتمد العقلانية على عدد من المبادئ الأساسية هي:

١ - العقل لا الوحي هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود.

٢ - يمكن الوصول إلى المعرفة عن طريق الاستدلال العقلي وبدون لجوء إلى أية مقدمات تجريبية.



٣ - عدم الإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات.

٤ - العقائد الدينية ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي.

وقد كانت العقلانية اليونانية لوناً من عبادة العقل وتأليهه وإعطائه حجماً أكبر بكثير من حقيقته . كما كانت في الوقت نفسه لوناً من تحويل الوجد إلى قضايا تجريدية.

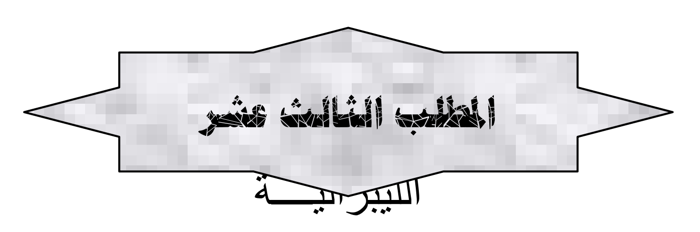
وفي القرون الوسطى سيطرت الكنيسة على الفلسفة الأوروبية ، حيث سخَّرت العقل لإخراج تحريفها للوحي الإلهي في فلسفة عقلية مسلَّمة لا يقبل مناقشتها.

وفي ظل الإرهاب الفكري الذي مارسته الكنيسة انكمش نشاط العقل الأوروبي ، وانحصر فيما تمليه الكنيسة والمجامع المقدسة ، واستمرت على ذلك عشرة قرون.

وفي عصر النهضة ، ونتيجة احتكاك أوروبا بالمسلمين – في الحروب الصليبية والاتصال بمراكز الثقافة في الأندلس وصقلية والشمال الإفريقي- أصبح العقل في شوق شديد لاسترداد حريته في التفكير ، ولكنه عاد إلى الجاهلية الإغريقية ونفر من الدين الكنسي ، وسُخِّر العقل للبعد عن الله ، وأصبح التفكير الحر معناه الإلحاد ، وذلك أن التفكير الديني معناه عندهم الخضوع للقيد الذي قيدت به الكنيسة العقل وحجرت عليه أن يفكر.

و يتضح مما سبق:أن العقلانية مذهب فكري فلسفي يزعم أن الاستدلال العقلي هو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود ، بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية ، وأنه لا مجال للإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات ، كما أن العقائد الدينية

يمكن ، بل ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي ، وهنا تكمن علله التي تجعله مناوئاً ليس فقط للفكر الإسلامي ، بل أيضاً لكل دين سماوي صحيح [(١)] .



الليبرالية

الليبرالية لها مفاهيم متعددة بحسب ما تضاف إليه ، ويجمعها الاهتمام المفرط بالحرية ، وتحقيق الفرد لذاته ، واعتبار الحرية هدفاً وغاية .

(١) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة – بتصرف .



فالليبرالية هي " نظيرة الحرية " ، وهي نظرية ذات أطياف متعددة وجوانب مختلفة ، وبمقادير متفاوتة ، والحرية – مفهوم عام يمكن أن يعني به الحرية المطلقة دون معنى محدد ، وقد يريد به البعض معنا محدداً معيناً.

والليبرالية تعارض المؤسسات السياسية والدينية التي تحد من الحرية الفردية ، وتطالب بحقه في حرية التعبير وتكافؤ الفرص والثقافة الواسعة[1].

والحقيقة أن التعريف الدقيق لهذا المصطلح هو تعريفه بحسب المجال الذي يعرف من خلاله ، نعرفها على النحو التالي : ليبرالية السياسة ، وليبرالية الاقتصاد ، وليبرالية الأخلاق ... وهكذا . وهذا ما قامت به موسوعة لالاند الفلسفيّة.

وأمثال هذه المصطلحات التي تدل على مفاهيم عقائدية ليس لها مدلول واحد محدد عند الأوربيين . لهذا تفسر في بلد بما لا تفسر به في بلد آخر ، وتفهم عند فيلسوف بما لا تفهم به عند غيره ، وتطبق في مرحلة بما لا تطبق به في أخرى.

ومن هنا كان اختلاف التعريفات لهذه المفاهيم ، وكانت الصعوبة في وضع تعريف منطقي جامع مانع يحدد مدلولها بدقة . حتى اشتقاق كلمة "ليبرالي" نفسها اختلفوا فيه : هل هي مأخوذة من (ليبرتي) التي معناها الحرية كما هو مشهور أم هي مأخوذة من أصل أسباني ؟ [2].

ولكن لليبرالية جوهر أساسي يتفق عليه جميع الليبراليين في كافة العصور مع اختلاف توجهاتهم وكيفية تطبيقها كوسيلة من وسائل الإصلاح والإنتاج.

---

(١) منير البعلبكي ، موسوعة المورد العربية ، ٢/١٠٥٠.

(٢)د. يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة ، ص٥٠- ٥١.

هذا الجوهر هو : " أن الليبرالية تعتبر الحرية المبدأ والمنتهى ، الباعث والهدف ، الأصل والنتيجة في حياة الإنسان ، وهي المنظومة الفكرية الوحيدة التي لا تطمع في شيء سوى وصف النشاط البشري الحر وشرح أوجهه والتعليق عليه " [١].

وإذا كان لليبرالية من جوهر فهو التركيز على أهمية الفرد وضرورة تحرره من كل نوع من أنواع السيطرة والاستبداد ، فالليبرالي يصبو على نحو خاص إلى التحرر من التسلط بنوعيه : تسلط الدولة (الاستبداد السياسي) ، وتسلط الجماعة (الاستبداد الاجتماعي) ، لذلك نجد الجذور التاريخية لليبرالية في الحركات التي جعلت الفرد غاية بذاته ، معارضة في كثير من الأحيان التقاليد والأعراف والسلطة رافضة جعل إرادة الفرد مجرد امتداد لإرادة الجماعة [٢].

وأهم ما يميز الأدبيات الليبرالية الكلاسيكية المعاصرة هو اهتمامها المفرط بمبدأ الحرية ، حيث يفترض الفكر الليبرالي أن الحرية هي الغاية الأولى والرئيسية التي يتطلع لها الفرد بطبيعته.

وأنه لا يوجد - في الليبرالية - إجابة مطلقة للسؤال الفلسفي المشهور : " ما هي الحياة المثلى للإنسان ؟ " لأن لكل فرد الحق والحرية في اختيار أسلوب الحياة الذي يناسبه [٣].

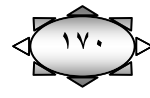
إذاً : مبدأ الحرية وتحقيق الفرد لذاته تمثل نقطة انطلاق في الفكر الليبرالي بكل أطيافه ، وفي كل المجالات المختلفة.

---

(١)عبدالله العروي ،مفهوم الحرية ، ص٣٩.

(٢) وضاح نصر ،.الموسوعة الفلسفية العربية (المجلد الثاني – القسم الثاني – ١١٥٥).

(٣) مقال في صحيفة الأهرام ، العدد (١٣٢) أبريل ١٩٩٨م : الليبرالية : نظرة نقدية ، دينا سماته ، ص٤٧.



المبحث الثاني

التيارات الفكرية المنحرفة الخارجية

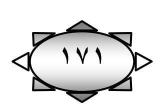
ويشتمل على المطالب الآتية:

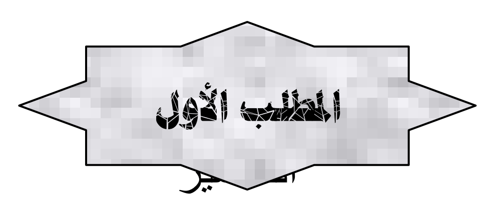
المطلـــــــب الأول : التنصيـــر.

المطلـــب الثانـــي : التغريـب.

المطلـــب الثالـــث : الاستشراق.

المطلـــب الرابـــع : الماسونية.





التنصير

التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب. ويساعدهم في ذلك ثلاثة عوامل:

١- انتشار الفقر والجهل والمرض في معظم بلدان العالم الإسلامي.

٢- النفـــوذ الغربـــي في كـــثير مـــن بلـــدان المـــسلمين.

٣- ضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكتون عنهم أو ييسرون لهم السبل رغباً ورهباً أو نفاقاً لهم.

الأفكار والمعتقدات:

١- محاربة الوحدة الإسلامية، يقول القس سيمون: "إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التخلص من السيطرة الأوروبية،

والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية".

ويقول مستر بلس: "إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا".

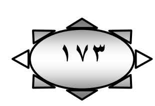
٢- لقد دأب المنصرون على بث الأكاذيب والأباطيل بين أتباعهم ليمنعوهم من دخول الإسلام وليشوهوا جمال هذا الدين.

يقول هنري جسب : المنصر الأمريكي: "المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها، إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون، وإن (التبشير) سيعمل على تمدينهم".

وقال صموئيل زويمر كذلك في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م: "... لكن مهمة (التبشير) التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها".

ويقول أيضاً : "... إنكم أعددتم نَشْئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهرة وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهرة يجود بكل شيء".

وقد كتب أحد المنصرين في بداية هذا القرن الميلادي يقول: "سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها كل محاولات التبشير ما دام للمسلمين هذه الدعائم الأربع: القرآن والأزهر واجتماع الجمعة الأسبوعي ومؤتمر الحج السنوي العام".



٣- طبع الإنجيل بشكل أنيق وبأعداد هائلة وتوزيعه مجاناً وإرساله بالبريد لمن يطلبه وأحياناً لمن لا يطلبه أيضاً.

٤- توزيع أشرطة الفيديو والكاسيت المسجل عليها ما يصرف المسلم عن دينه واستخدام الموجات الإذاعية والتليفزيونية التي تبث سمومها وتصل إلى المسلمين في مخادعهم وتعتمد على التمثيليات والبرامج الترفيهية والثقافية والرياضية من أجل خدمة أهدافهم الخبيثة.

ومن وسائلهم :

٥- تقديم الخدمات الطبية بهدف استغلال هذه المهنة في التنصير.

٦- إنهم يضعون كل ثقلهم في استغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أهدافهم التنصيرية.

٧- إنشاء المدارس والكليات والجامعات والمعاهد العليا ، وكذلك إنشاء دور للحضانة ورياض للأطفال واستقبال الطلبة في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

٨- يعملون على تشجيع الحروب والفتن وذلك لإضعاف الشعوب الإسلامية.

٩- إثارة الاضطرابات المختلفة بإذكاء نار العداوة والبغضاء وإيقاظ روح القوميات الإقليمية الطائفية الضيقة كالفرعونية في مصر والفينيقية في الشام وفلسطين ولبنان، والآشورية في العراق ، والبربرية في شمال إفريقيا ، واستغلال جميع ذلك في التنصير.

هذا ويبلغ عدد المنصرين في أنحاء العالم ما يزيد على ٢٢٠ ألف منهم ١٣٨٠٠٠ كاثوليكي ، والباقي وعددهم ٨٢٠٠٠ من البروتستانت.

و يتضح مما سبق أن التنصير حركة سياسية استعمارية تستهدف نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة وبين المسلمين على وجه الخصوص ، ويستغل زعماؤها انتشار الجهل والفقر والمرض للتغلغل بين شعوب تلك الأمم متوسلين بوسائل الإعلام التقليدية من كتب ومطبوعات وإذاعة وتلفاز وأشرطة سمعية ومرئية فضلاً عن المخيمات والتعليم والطب ،

إلى جانب الأنشطة الاجتماعية الإنسانية و الإغاثية الموجهة لمنكوبي الفتن والحروب ، وغفلة وتساهل حكام بعض الدول الإسلامية ، وتعتمد تلك الحركة في تحقيق أهدافها على تشويه صورة الإسلام وكتابه ورسوله مسخرين إمكاناتهم الضخمة لتحقيق مآربهم [١] .



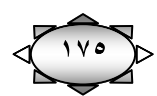
التغريب

التغريب هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية.

يقول لورنس براون: "إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي"؛ ولهذا فلابد من الدعوة إلى أن يطبع العالم الإسلامي بطابع الغرب الحضاري.

ومن أفكارهم ومعتقداتهم:

(١) ال



١- تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربية ، ومحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية بغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب وبين العالم الإسلامي خدمة لمصالحه.

٢- الدعوة إلى الوطنية ودراسة التاريخ القديم والدعوة إلى الحرية باعتبارها أساس نهضة الأمة مع عرض النظم الاقتصادية الغربية عرضاً مصحوباً بالإعجاب، وتكرار الكلام حول تعدد الزوجات في الإسلام وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين.

٣- نشر فكرة العالمية والإنسانية التي يزعم أصحابها بأن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد تزول معه الخلافات الدينية والعنصرية لإحلال السلام في العالم، ولتصبح الأرض وطناً واحداً يدين بدين واحد ويتكلم بلغة واحدة وثقافة مشتركة، بغية تذويب الفكر الإسلامي واحتوائه في بوتقة الأقوياء المسيطرين أصحاب النفوذ العالمي.

٤- إن نشر الفكر القومي كان خطوة على طريق التغريب في القرن التاسع عشر وقد انتقل من أوروبا إلى العرب والإيرانيين والترك والأندونيسيين والهنود، بغية تمزيق الكتل الكبيرة إلى كيانات جزئية تقوم على رابط جغرافي يجمع أناساً ينتمون إلى أصول عرقية مشتركة.

٥- إن كلاً من الاستعمار، والاستشراق، والشيوعية، والماسونية وفروعها، والصهيونية، ودعاة التوفيق بين الأديان" وحدة الأديان "، قد تآزروا جميعاً في دعم حركة التغريب ، وتأييدها بهدف تطويق العالم الإسلامي وتطويعه ليكون أداة لينة بأيديهم.

٦- نشر المذاهب الهدامة كالفرويدية، والداروينية، والماركسية، والقول بتطور الأخلاق (ليفي بريل) ، وبتطور المجتمع (دور كايم) والتركيز على الفكر الوجودي والعلماني، والتحرري، والدراسات عن التصوف الإسلامي، والدعوة إلى القومية والأقليمية والوطنية، والفصل بين الدين والمجتمع، وحملة الانتقاص من الدين، ومهاجمة القرآن والنبوة والوحي

والتاريخ الإسلامي، والتشكيك في القيم الإسلامية، والدعوة إلى التخلي عن الأصالة والتميز، والتخويف من الموت أو الفقر وذلك لإقعاد المسلمين عن فكرة الجهاد، وإشاعة فكرة أن سبب تأخر العرب والمسلمين إنما هو الإسلام.

٧- اعتبار القرآن فيضاً من العقل الباطن مع الإشادة بعبقرية النبي محمدﷺ وألمعيته وصفاء ذهنه ووصف ذلك بالإشراق(❖) الروحي تمهيداً لإزالة صفة النبوة عنه.

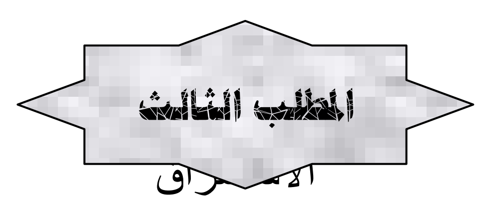
لقد استطاعت حركة التغريب أن تتغلغل في كل بلاد العالم الإسلامي، وإلى كل البلاد المشرقية على أمل بسط بصمات الحضارة الغربية المادية الحديثة على هذه البلاد وربطها بالغرب فكراً وسلوكاً.

لقد تفاوت تأثير حركة التغريب إذ أنه قد ظهر بوضوح في مصر، وبلاد الشام، وتركيا، وأندونيسيا والمغرب العربي، وتتدرج بعد ذلك في البلاد الإسلامية الأقل فالأقل، ولم يخل بلد إسلامي أو مشرقي من آثار وبصمات هذه الحركة.

ويتضح مما سبق:

أن التغريب تيار معاد هدَّام يهدف إلى نقض عرى الإسلام والتحلل من التزاماته وقيمه واستقلاليته، والدعوة إلى التبعية للغرب في كل توجهاته وممارساته. ومن واجب قادة الفكر الإسلامي كشف مخططاته والوقوف بصلابة أمام سمومه ومفترياته، التي تبثها الآن شخصيات مسلمة، وصحافة ذات باع طويل في محاولات التغريب، وأجهزة وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية، والماسونية الدولية. وقد استطاع هذا التيار استقطاب كثير من المفكرين العرب، فمسخوا هويتهم، وحاولوا قطع صلتهم بدينهم، والذهاب

بولائهم وانتمائهم لأمتهم الإسلامية، من خلال موالاة الغرب والزهو بكل ما هو غربي، وهي أمور ذات خطر عظيم على الشباب المسلم [١] .



المطلب الثالث

الاستشراق

الاستشراق: هو اشتغال طائفة من الباحثين الغربيين بدراسة علوم الشرق وحضارته وأديانه . وقد غلب إطلاق اسم المستشرقين على الكُتَّاب الغربيين ، الذين يكتبون عن الإسلام وعقيدته وتاريخه وحضارته، وحركة الاستشراق حركة قديمة ، ولدت في أحضان الكنيسة ، ونشأت برعاية اليهود والنصارى ، ووظِّفت لخدمة الاستعمار ، وهي حركة ظاهرها العلم والبحث ، وباطنها المكر والخبث ، والمستشرقون جزء من مخطط كبير هو المخطط الصهيوني الصليبي ، والذي يهدف إلى تخريج أجيال من

---

(١)



أبناء المسلمين ، لا تعرف من الإسلام إلا الشبهات ، ثم الانتقاء من هذه الأجيال من هم أقرب إلى تحقيق أهدافهم ليصلوا بهم إلى مراكز السلطة في بلاد الإسلام لمحاربة الإسلام في عقر داره [1] .

وفي كتاب الله العظيم آيات كثيرة تنبهنا إلى حقيقة قائمة إلى يوم القيامة وهي أن العلاقة بيننا وبين اليهود والنصارى ستبقى صراعاً مريراً بين إيمان وكفر ، وسيبذلون كل ما يستطيعون لتدميرنا وإخضاعنا لهم وإتباعنا لملتهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [2].

وحركة الاستشراق هي إحدى وسائلهم للكيد للإسلام والمسلمين [3].

ومن أهم وسائل المستشرقين للوصول إلى أغراضهم ما يلي:

١- قاموا بتأليف الكتب ، وإصدار المجلات ، وإلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية عن الإسلام ، والقرآن العظيم ، والسنة المطهرة وتاريخ المسلمين وتراثهم ، وتسللوا إلى الجامعات ، والمجامع العلمية في العالم الإسلامي.
٢- أنشأوا الجمعيات والمراكز التي تخدمهم في تحقيق أغراضهم.
٣- استطاع المستشرقون شراء عدد من الصحف المحلية في بلاد المسلمين ، بالإضافة إلى المجلات التي يصدرونها في بلادهم.

---

(١) ناصر القفاري ، وناصر العقل ، مرجع سابق ، ص١٠٣- ١١١ – بتصرف يسير.
وانظر: العلمانية ، نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة لمؤلفه د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي.

(٢) سورة البقرة ، آية: ١٢٠.

(٣) هذا هو الأصل العام في حركة الاستشراق ، وهو لا ينفي وجود فئة قليلة معتدلة منصفة من المستشرقين ومنهم أفراد اهتدوا للإسلام ، وهناك فئة ثالثة تتظاهر بالاعتدال من باب دس السم في العسل لخداع الأغرار والبسطاء ، فهي تمدح الإسلام لتخدير القارئ ثم تنفث شرها من خلال ذلك.

٤- عقد المؤتمرات لإحكام خططهم في الحقيقة ، وإن كان ظاهرها البحث العلمي.

٥- إنشاء موسوعة " دائرة المعارف الإسلامية " وهي من أخطر ما قام به المستشرقون ومصدر هذه الخطورة هي أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة ، وحشدوا لها كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام ، ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين في دراساتهم مع ما فيها من خلط وتحريف وتعصب ضد الإسلام والمسلمين وهذا من مظاهر الجهل بالثقافة الإسلامية ، وعقدة النقص عند أولئك المثقفين .

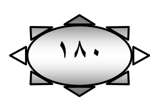
٦- إرسال البعثات ، وإنشاء الكليات والمراكز في العالم الإسلامي متسترة باسم العلم والخدمات الإنسانية وهي في حقيقتها لخدمة الاستعمار والكيد للمسلمين ، وإنشاء مراكز في ديار الغرب لتدريس أبناء المسلمين واتخاذ من يختارون منهم صنائع لهم في ديار الإسلام يروجون لأفكار المستشرقين ويخدمون أغراضهم.

والسبب الرئيس المباشر الذي دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى ، فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار مرة عميقة ، ومن جهة أخرى رغب النصارى في الدعوة إلى دينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي.

أهم آثار الاستشراق الخطيرة:

١- أثار المستشرقون كثيراً من الشبهات وتلقفها تلاميذهم من أهل التبعية والتغريب والشعوبية ، وهذا واضح في كثير من الشبهات كالدعوة إلى العامية ، وكالدعوة إلى الإقليميات والقوميات الضيقة كالفرعونية والفينيقية .

٢- كما تبدو خطورة الاستشراق في آثاره الخطيرة التي يفرضها تلامذة المستشرقين على مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الإسلامي



حتى أصبحت ثمار الاستشراق الأوروبي والأمريكي النكدة تظهر في كل مكان بما في ذلك الكتب والصحف العربية.

٣- تدخُّل الاتجاه الاستشراقي الحاقد في رسم سياسة دول الغرب تجاه الدول الإسلامية ، بحيث ظل الاستشراق يلعب دوره في تبرير سياسة التسلط وفي التخطيط لهذا التسلط ، وفي دراسة أحوال المسلمين الفكرية واتجاهاتهم الدينية ومقاومتها بكل الوسائل [١] .



الماسونية

هي منظمة يهودية سرية ، تعمل في خفاء على تحقيق مصالح اليهود الكبرى ، وتمهد لقيام دولة إسرائيل العظمى.

والماسونية – هي كلمة خداعة توهم السامعين بأنها مهنة شريفة – نسبة إلى مؤسسي هذه المنظمة ، واسم الواحد منهم باللغة الأجنبية (Free Mason) فري ماسون أي : (البنّاء الحر) والذي يزعمون أنه سيبني هيكل سليمان وهو رمز سيطرة اليهود – بزعمهم – على مقاليد العالم.

(١) ناصر القفاري ، ناصر العقل ، مرجع سابق ، ص١٧٣ وما بعدها – بتصرف يسير.



وإمعاناً من الماسونية في إخفاء أهدافها اليهودية ، تظهر شعاراً خداعاً وهو (الحرية ، الإخاء ، المساواة).

وتحت شعار الحرية : تحارب الأديان (غير اليهودية) وتنشر الفساد والفوضى.

وتحت شعار الإخاء : تحاول التخفيف من كراهية الشعوب الأخرى لليهود.

وتحت شعار المساواة : تنشر الفوضى الاقتصادية والسياسية ، وتحرض على اغتصاب حقوق الناس وأموالهم وأعراضهم . وتروج للشيوعية والاشتراكية.

أول ما ظهرت الماسونية في القرن الأول الميلادي ظهرت تحت اسم (القوة الخفية) وكان هدفها الرئيس القضاء على الديانة النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام ومطاردة أتباعها.

وقد بذلت في سبيل ذلك كل الوسائل من تحريف الأناجيل وتغيير المعتقدات النصرانية ، والشريعة التي جاء بها عيسى عليه السلام ، إلى التنكيل بأصحابها وأتباعها بالقتل والطرد والحبس ، إلى غير ذلك من الأساليب المعروفة عن اليهود وذلك طيلة القرون الأربعة الميلادية الأولى.

ثم ما لبثت أن اختفت أخبارها من الأحداث التاريخية ، وإن لم ينقطع نشاطها.

وفي أول الإسلام لم نجد للماسونية شكلاً معروفاً كما هو اليوم أو كما هو في أول ظهور النصرانية، إلا أن لها آثاراً بدت في نشاط اليهود في محاولة الكيد للإسلام والمسلمين كما فعل عبدالله بن سبأ . حيث أظهر بدعة الغلو في علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وكما حاول بيان بن سمعان وطالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي ترويج بعض الأفكار العقدية المخالفة للإسلام والتي تبنتها فرقتا المعتزلة والجهمية أيضاً.

إضافة إلى إثارة اليهود للشبهات والشكوك في عقيدة الإسلام حول الوحي والنبوة والقدر.

ثم ظهرت آثار النشاط الماسوني اليهودي أيضاً فيما بعد القرن الثالث الهجري ، حين نشطت الفرق التي نشأت على الأفكار والدسائس اليهودية كالإمامية الرافضة، والقرامطة ، والفاطمية ، والإسماعيلية ،وسائر الفرق الباطنية ، والاتجاهات الفلسفية ، والطرق الصوفية الغالية.

وفي القرون المتأخرة ظهرت الماسونية ، بشكل واضح حين غيرت شكلها وأساليبها ، بما يساير التغير الفكري والسياسي والأخلاقي الذي طرأ على العالم حين ضعف المسلمون (مع الأسف) بتخليهم عن دينهم ، وقوي غيرهم بالأخذ بأسباب الحياة المادية ، ففي ظل الظروف المستجدة ظهرت الماسونية الحديثة عام ١٧٧٠م.

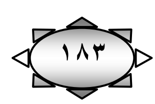
ومنذ هذا التاريخ رسم اليهود للماسونية الحديثة مخططها وأساليبها الجديدة التي تناسب المتغيرات الجديدة للأمم والشعوب وتنسجم مع الأهداف اليهودية المرسومة حديثاً.

والماسونية مؤسسة يهودية عالمية تخدم المصالح الكبرى لليهود ـ كما ذكرنا ـ وذلك على النحو التالي:

١- تأسيس جمهوريات عالمية لا دينية : تكون تحت تحكم اليهود ليسهل تقويضها عندما يحين موعد قيام (إسرائيل الكبرى).

٢- محاربة الأديان القائمة : (غير اليهودية) وتشجيع وحماية الدول الإلحادية ، ويقصدون بالأديان هنا الإسلام والنصرانية فحسب ، أما الديانات الأخرى فهم لا يأبهون بها.

٣- والهدف النهائي : إقامة دولة إسرائيل الكبرى (مملكة إسرائيل العظمى) وتتويج ملك لليهود في القدس يكون من نسل داود عليه



السلام ثم التحكم بالعالم وتسخيره لما يسمونه (شعب الله المختار) اليهود.

ولن يمنعهم من تحقيق أهدافهم إلا الله ثم يقظة المسلمين وتمسكهم بدينهم واعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ واجتماعهم تحت راية التوحيد وعلم الجهاد في سبيل الله كما كانوا فيما مضى يوم هزموا اليهود وأذلوهم وأخرجوهم من جزيرة العرب.

إن من أهم الوسائل والمخططات التي تسلكها الماسونية في تحقيق أهدافها والتي أعلنتها في محافلها ومؤتمراتها ونشراتها أكثر من مرة على مرأى ومسمع من العالم ما يلي:

١- تجنيد الشباب – في كل العالم – لخدمة مصالح اليهود ، وذلك بتوفير أسباب اللهو والعبث لهم والانغماس في الشهوات من خلال نشاطات الجمعيات الرياضية والموسيقية واستغلال وسائل النشر والإعلام ودور اللهو ، والخمر ، ونشر المخدرات ، وبيوت الدعارة .. إلخ.

٢- الدخول في الأحزاب السياسية لتسيير الاتجاهات السياسية في العالم حسب المصالح اليهودية ، أو على الأقل لتضمن عدم مقاومتها لليهود ، أو اعتراض مصالحهم.

٣- تأسيس وتشجيع النظريات والاتجاهات والجمعيات التي تنادي بالحرية لأنها أسرع وسيلة لنشر الفوضى الخلقية ، وتقويض البناء الأسري والعائلي للأمم.

٤- تأسيس وتشجيع النظريات والاتجاهات والجمعيات التي تساعد على تقويض البناء الاقتصادي العالمي ، سواء أكانت رأسمالية ربوية أم اشتراكية شيوعية [١] .



الصهيونية

هي منظمة يهودية تنفيذية ، مهمتها تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائيل (اليهود) وبناء هيكل سليمان ، ثم إقامة مملكة إسرائيل ثم السيطرة من خلالها على العالم تحت ملك (ملك يهوذا) المنتظر.

---

(١) ناصر عبدالله القفاري ، وناصر عبدالكريم العقل ، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص٤٧- ٥٣ – بتصرف يسير.

وانظر: أسرار الماسونية لمؤلفه/ جواد رفعت ، والماسونية لمؤلفه / أحمد عبدالغفور عطار.

سميت بذلك : نسبة إلى (صهيون) جبل يقع جنوب بيت المقدس يقدسه اليهود.

و الصهيونية قرينة للماسونية إلا أن الصهيونية يهودية بحتة في شكلها وأسلوبها ومضمونها وأشخاصها ، في حين أن الماسونية يهودية مبطنة، تظهر شعارات إنسانية عامة ، وقد ينطوي تحت لوائها غير اليهود من المخدوعين والنفعيين.

كما إن الصهيونية حركة دينية سياسية معلنة تخدم اليهود بطريق مباشر ، فهي الجهاز التنفيذي الشرعي والرسمي لليهودية العالمية.

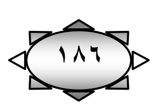
في حين أن الماسونية حركة علمانية إلحادية سرية تخدم اليهود بطريق غير مباشر ، فهي القوة الخفية التي تهيء الظروف والأوضاع لليهود.

و الصهيونية كالماسونية ليست وليدة هذا العصر ، فقد مرت بمراحل كثيرة منذ القرون الأولى قبل ظهور المسيحية وبعدها وقبل ظهور الإسلام وبعده ، وكانت مراحلها الأولى مهمتها تحريض اليهود على الانتفاض والعودة إلى أرض فلسطين وبناء هيكل سليمان ، وتأسيس مملكة إسرائيل الكبرى ، وحوك المؤامرات والمكائد ضد الأمم والشعوب الأخرى.

أما الصهيونية الحديثة : فقد بدأت نواتها الأولى عام ١٨٠٦م حين اجتمع المجلس الأعلى لليهود بدعوة من نابليون (لاستغلال أطماع اليهود وتحريضهم على مساعدته) ثم حركة (هرتزل) اليهودي التي تمخضت عن المؤتمر اليهودي العالمي في بال بسويسرا عام ١٨٩٧م والذي قرر فيه أقطاب اليهود ما يسمى بـ (بروتوكولات حكماء صهيون) وهو المخطط اليهودي الجديد للاستيلاء على العالم . ومن هذا المؤتمر انبثقت المنظمة الصهيونية الحديثة التي نتحدث عنها هنا.

وقد ذكرنا أن الصهيونية حركة يهودية خالصة . أما أهدافها فهي ذات جانبين : ديني وسياسي :

أما الجانب الديني فيتلخص فيما يلي:



١- إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة (أرض فلسطين).
٢- حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.
٣- إثارة الروح القتالية بين اليهود ، والعصبية الدينية والقومية لهم للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى.

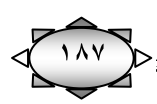
أما الجانب السياسي فيتلخص فيما يلي:

١- محاولة تهويد فلسطين (أي جعلها يهودية داخلياً) وذلك بتشجيع اليهود في جميع أنحاء العالم على الهجرة إلى فلسطين وتنظيم هجرتهم وتمويلها ، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكني.
٢- تدويل الكيان الإسرائيلي في فلسطين عالمياً . وذلك بانتزاع اعتراف أكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل في فلسطين وشرعيتها وضمان تحقيق الحماية الدولية لها ، وفرضها على العالم ، وعلى المسلمين على وجه الخصوص.
٣- متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالمية والسياسية والاقتصادية خطوة بخطوة.
٤- توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع العالم أفراداً وجماعات ومؤسسات ومنظمات [١] .



العولمة

(١) ناصر القفاري ، وناصر العقل ، مرجع سابق، ص٥٨- ٦٢ – بتصرف يسير.
وانظر: الصهيونية بين الدين والسياسة لمؤلفه / عبدالسميع سالم الهراوي.



على تعدّد الشروح وتنوّع التفسيرات التي حاول بها مفكرو العصر من المشتغلين بالفكر السياسي في اتجاهاته الثقافية والاجتماعية فهم العولمة وتفسيرها، فإنَّ أجمع شرح للعولمة وأعمق تفسير لدلالاتها ومضامينها، لا يخرجان عن اعتبار العولمة - في دلالتها اللغوية أولاً - هي جعل الشيء عالمياً، بما يعني ذلك من جعل العالم كلِّه وكأنه في منظومة واحدة متكاملة. وهذا هو المعنى الذي حدّده المفكرون باللغات الأوروبية للعولمة GLOBALIZATION في الإنجليزية والألمانية، وعبروا عن ذلك بالفرنسية بمصطلح MONDIALISATION، ووضعت كلمة (العولمة) في اللغة العربية مقابلاً حديثاً للدلالة على هذا المفهوم الجديد.

ومهما تعدّدت السياقات التي ترد فيها (العولمة)، فإن المفهوم الذي يعبّر عنه الجميع، في اللغات الحيّة كافة، هو الاِتجاه نحو السيطرة على العالم وجعله في نسق واحد. ومن هنا جاء قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة بإجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً.

لقد رجعت إلى المعجم العالمي الشهير (ويبسترز WEBSTERصS)، فوجدت فيه أن العولمة (GLOBALIZATION) هي إكسابُ الشيء طابعَ العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء، أو تطبيقه، عالمياً. ولكني ألفيتُ أن هذا المعنى شديد البراءة بالغُ الحيدة، لا ينسجم في عمقه مع دلالة اللفظ ومفهوم المصطلح، كما يُشاع ويتردد في العالم اليوم. ولذلك فإن المفهومَ السياسيَّ والثقافيَّ والاِقتصاديَّ للعولمة، لا يتحدّد بالقدر اللازم، إلا إذا نظرنا إليه من خلال رؤية عامة تدخل في نطاقها جميعُ المتغيّرات السياسية والثقافية والاِقتصادية التي يعيشها العالم منذ مطلع تسعينيات القرن العشرين.

فهل العولمة خطر؟ وهل العولمة شرٌّ كلُّها؟، وهل يوجد مجالٌ للاختيار أمام تيار العولمة الجارف المدعم بالنفوذ السياسي الضاغط والهيمنة الاِقتصادية القاهرة؟.

لقد اعتنى المفكرون، من شتى المشارب، سواء من العالم الإسلامي، أو من مختلف أنحاء العالم، بالتأصيل والتقعيد والتنظير للعولمة. وحسبنا أن نقول إن العولمة نظام عالميّ آخذ في الغزو والإكتساح، وهو بهذا الإعتبار حقيقةٌ من حقائق هذه المرحلة من التاريخ.

ولعلَّ أبرز ملامح العولمة هي ما يتبدَّى لنا من خلال التطورات المدهشة التي تعرفها مجالات الإتصال والتواصل عبر الأقمار الصناعية والحاسوب والأنترنيت، وذلك على النحو التالي :

- عمق التأثير في الثقافات وفي السلوك الاجتماعي وفي أنماط المعيشة.
- اتساع دائرة الخيارات الإقتصادية من خلال حركة الإستثمارات الدولية والأسواق المفتوحة، وتضييق دائرة الخيارات السياسية من حيث تضاؤل القدرة على الإكتفاء الذاتي اقتصادياً، ومن حيث تزايد معطيات التداخل الإستقلالي سياسياً.
- نموُّ ما أصبح يُعرف باسم القطيع الإلكتروني (ELECTRONIC HERD) من مؤسسات متعددة الجنسيات، وحتى من أفراد يبحثون عن الربح ويؤثّرون في قرارات الدول وفي مصائر شعوبها.
- تسخير أدوات العولمة بكيفية تمكّن منتجي هذه الأدوات من الطغيان على المستهلكين والمتلقين بحيث تؤثر في إلغاء لغاتهم الخاصة وفي طمس هوياتهم الوطنية.

وبذلك يكون للعولمة قدرات استثنائية للتغلغل وبالتالي للتأثير. ومن الشهادات التي تؤكد هيمنة العولمة على مقدرات الحكومات والشعوب، ما جاء في كلمة للرئيس الفرنسي جاك شيراك، ألقاها بمناسبة اليوم الوطني الفرنسي (١٤ يوليو ٢٠٠٠)، حيث قال : "إن العولمة بحاجة إلى ضبط، لأنها تنتج شروخاً اجتماعية كبيرة، وهي وإن كانت عاملَ تقدُّمٍ، فهي تثير أيضاً مخاطر جدّية ينبغي التفكير فيها جيداً، ومن هذه المخاطر ثلاثة : أولها أنها

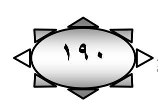
تزيد ظاهرة الإقصاء الاجتماعي، وثانيها أنها تنمي الجريمة العالمية، وثالثها أنها تهدد أنظمتنا الاقتصادية" (٤)

والواقع أن العولمة جزءٌ من نظام عالمي تخضع له الشعوب والحكومات، ولا يملك أحدٌ منها أن يقف بمنأى عنه. ولذلك فإن العامل النفسي هو الذي يجعلنا نتردد، ونرتاب، ونرتعب أيضاً، ونقف مشدوهين مبهورين لا نريم. فإذا عالجنا الآثار النفسية المترتبة على الموقف الذي نتخذه إزاء ما يعجُّ به عالمنا اليوم، بمنتهى الحكمة، وبقدرٍ كبيرٍ من الرشد الحضاري والوعي الإنساني، أمكننا أن نواجه الواقع كما هو في حقيقته وبطبيعته، لا كما نتوقعه، أو نتوهمه.

إن الصدق مع النفس، هو الخطوة الأولى نحو امتلاك أدوات التحكّم في الآثار المدمرة للعولمة الثقافية. ومن الصدق مع النفس، أن نعترف ونقرّ بأننا، كأمة إسلامية، وفي هذه المرحلة التاريخية، لا نمتلك القدرات الكافية لكسر موجات العولمة، وللتحكّم في اتجاهات الرياح التي تهبُّ بها. ولا ينبغي أن يفتَّ هذا الموقفُ الصادقُ في عضدنا، أو أن يُقعدنا عن القيام بما يتعيّن علينا القيام به، من عملٍ دؤوب للتخفيف من وطأة آثار العولمة، ولردّ هجماتها، وللتقليل من الخسائر الناجمة عن هذا الغزو ما أمكننا ذلك، وما استطعنا أن نسلك من سبيل إلى القيام بما يستوجبه الموقفُ [1].

الفصل الثالث

[1] العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي، عبدالعزيز التويجري بتصرف



التجريم والعقاب على الانحراف الفكري في الشريعة الإسلامية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تجريم الانحراف الفكري.

المبحث الثاني : عقوبة الانحراف الفكري.

المبحث الثالث : أثر التجريم والعقاب في الوقاية من الانحراف الفكري.

المبحث الأول

تجريم الانحراف الفكري

تمهيـــد:

إن أي فعل أو أي ترك لا يكون جريمة إلا إذا توافرت فيه عناصر أساسية ، فإذا لم تتوافر فيه لا يعتبر الفعل جريمة .

وطالما أن الجريمة محظور شرعي ، فمن المهم أن نعرف متى تعتبر الشريعة الإسلامية فعلاً ما جريمة ، وما القيود والضوابط التي وضعتها لاعتبار هذا الفعل أو ذاك جريمة ، وعلى هذا فقد اتفق فقهاء التشريع الجنائي الإسلامي أن للجريمة ثلاثة أركان لابد من توافرها لاعتبار الفعل جُرماً [(١)] .

الأول : الركن الشرعي: وهو النص الشرعي المبيِّن للجريمة ، ويُحرِّم ارتكابها ، ويحدد عقوبتها المترتبة عليها وقت صدور الفعل ، وعليه تكون القاعدة الشرعية لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص شرعي .

وبالتالي فالعقوبة لا تكون إلا على قول أو فعل سبق تحريمه ، وتم إنذار صاحبه بالعقوبة.

الثاني : الركن المادي: والمقصود به إتيان الفعل أو القول المحرَّم شرعاً والمعاقب عليه بحد أو تعزير ، سواء أكان فعلاً أو امتناعاً ، ومن هنا فالجريمة تمر بثلاث مراحل كالتالي:

١- مرحلة التفكير.

٢- مرحلة التحضير.

٣- مرحلة التنفيذ (الشروع) [(٢)] .

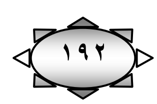
الثالث : الركن المعنوي (الأدبي) : وهو ما يتعلق بالجاني فلا يعتبر الفعل جريمة إلا إذا كان الجاني مكلَّفاً[(٣)] ، وبالتالي فلا تثبت الجريمة في الشريعة الإسلامية إلا على العاقل البالغ المتمتع بالحرية والاختيار والإدراك

---

(١) عوده ، مصدر سابق ، ص٣٥.

(٢) عوده ، مصدر سابق ، ص٣٤٦ ، أبو زهرة ، مصدر سابق ، ص٣٥٣.

(٣) خلاف ، علم أصول الفقه ، ص١٥٢..



الصحيح قاصداً النتائج التي يسعى إليها ، ولذلك يخرج منها الصغير والمجنون والمعتوه والنائم والمكره ، وإن كان يتحمل بمقدار مقصده وإدراكه لهذه النتائج[1].

ومصطلح (جُرْم) و (جريمة) في اللغة يعني القطع والذنب والكسب ،[2] واستعملت بمعنى الذنب والتعدي والحمل على الفعل حملاً آثماً ، وفيه يقول تعالى: ﴿ **وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾[3] ، وتعارف العرب منذ القدم على أن الجريمة هي الكسب غير المستحسن ، أو المكروه ، وفي الإسلام صار معناها : الحمل على فعلٍ حملاً آثماً[4] – كما سبق – يقول تعالى : ﴿ **وَيَاقَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَاأَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ** ﴾[5].

واصطلاحاً: هي محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير[6] ، أو هي إتيان فعل منهي عنه ، أو ترك فعل مأمور به ، وكونها شرعية أي أن الفعل محرم شرعاً[7].

وسبق أن أوضحت الدراسة في الفصل السابق كيف أن تاريخنا الإسلامي قد مر بألوان مختلفة من فقدان الإحساس بالأمن الفكري ، وعانى كذلك من انحرافات فكرية كثيرة ومؤثرة . ولا أحد ينكر أن البشرية قد مرت بالكثير من الآراء الفاسدة ، وظاهرة الفكر المنحرف

---

(١) عوده ، مصدر سابق ، ص٣٨١ ، أبو زهرة ، مصدر سابق ، ص٣٦٦.

(٢) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٤٣.

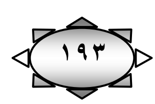
(٣) سورة المائدة ، آية: ٨.

(٤) شريف فوزي ، مبادئ التشريع الجنائي الإسلامي ، ص٤٩.

(٥) سورة هود ، آية: ٨٩.

(٦) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢١٩.

(٧) عودة ، مصدر سابق ، ص٦٧.



الذي واجه جميع رسالات الأنبياء عبر التاريخ الطويل للبشرية على وجه الأرض خير شاهد على ذلك .

ولكن الملة الحنيفة ما فتأت تتصدى لهذه الظاهرة بمختلف ألوانها ، سواء ما كان ناشئاً عن غلو ، أو ناشئاً عن تقصير ، ولذا فقد نهى ﷺ عن التنطع والغلو في الدين في قوله : { هلك المتنطعون } [(١)].

وإذا كان العقل هو مناط التكليف الذي تميّز به البشر عن سائر المخلوقات، فإذا كان الإتلاف الحسي للعقل يترتب عليه ما يترتب على الجناية الدنيوية ، فإن الإتلاف الفكري له اعتبار جناية لا تقل خطورتها عن جناية الإتلاف الحسي [(٢)].

وسوف تستعرض الدراسة الآن نماذج متعددة من الجرائم التي أُسيء استخدام العقل فيها ، وبالتالي ترى الدراسة أنها جرائم فكرية تستحق وتستوجب العقوبة.

١- **الشرك**: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده ، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئا من المخلوقات في جميع الأمور ، فمن عبد غيره ، أو توكل عليه فهو مشرك به .." [(٣)].

ويقول أيضاً : " والشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهوالشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿ **تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ❖ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [(٤)] مع إقرارهم بأن الله

(١) رواه أبو داوود ، رقم الحديث (٤٦١٢).

(٢)المطيري ، الجناية على العقل ، ص٩٦.

(٣)ابن تيمية ، الاستقامة ، ج١ ، ص٣٤٤.

(٤)سورة الشعراء ، آية: ٩٨/٩٧.

وحده خالق كل شيء ، وربه ومليكه ، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ، ولا تحيي ولا تميت ، وإنما كانت التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة [١].

والشرك ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

(أ) شرك أكبر (ب) شرك أصغر (ج) شرك خفي [٢]

وذهب العلامة ابن القيم إلى أن الشرك نوعان : أكبر وأصغر [٣].

والشرك الأكبر كما سلف لا يغفره الله إلا بالتوبة ، وإن لقي الله بدونها فهو خالد في النار أبد الآبدين ، يقول تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ **فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ [٤] ، ويقول تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [٥] .

ولذلك فالشر كله عائد بحذافيره إلى الإشراك بالله جل وعلا ، والشرك الأكبر أنواعه كثيرة مدارها على أربعة أنواع [٦] :

❖ النوع الأول: شرك الدعوة : ودليله قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾ [٧] فإذا دخل الشرك في العبادة ؛ فسدت ؛ كالحدث إذا دخل في الطهارة ، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها ، وأحبط العمل ، وصار صاحبه

---

(١) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج١ ، ص٣٣٩.

(٢) محمد بن عبدالوهاب ، التبيان ، ص٧.

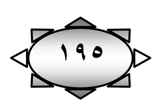
(٣) ابن القيم ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٣٦٤.

(٤) سورة الحج ، آية: ٣١.

(٥) سورة النساء ، آية: ٤٨.

(٦) محمد بن عبدالوهاب ، مجموعة التوحيد ، ص٥.

(٧) سورة العنكبوت ، آية: ٦٥.



من الخالدين في النار ؛ عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ؛ لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة ، وهي الشرك بالله "[1] .

❖ النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد: والدليل قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ❖ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ **فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[2] .

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ: " أما الشرك في الإرادات والنيات؛ فذلك البحر الذي لا ساحل له ، وقلَّ من ينجو منه ، من أراد بعمله غير وجه الله ، ونوى شيئاً غير التقرب إليه ، وطلب الجزاء منه ، فقد أشرك في نيته وإرادته "[3] .

❖ **النوع الثالث: شرك الطاعة** : وهي طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله تعالى ، كما قال سبحانه: ﴿ **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ** اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ **سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[4] .

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله - : " وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله هم على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله ، فيتبعونهم على التبديل .. مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل ، فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله ﷺ شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون ، فكان من اتبع غيره في

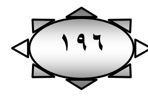
---

(١) محمد بن عبدالوهاب ، التباين ، ص٩.

(٢) سورة هود ، آية: ١٥- ١٦.

(٣) انظر : التباين ، ص١٠.

(٤) سورة التوبة ، آية: ٣١.



خلاف الدين - مع علمه أنه خلاف الدين- واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً ، لكنهم أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم بفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ ، فهؤلاء لهم حُكم أمثالهم من أهل الذنوب"[1].

❖ **النوع الرابع: شرك المحبة**: والدليل قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** ﴾ [2] فالمشرك – لجهله بربه – تجده يحب الآلهة من الأصنام وغيرها كحب الله وأعظم من ذلك ، تجده إذا انتهكت يغضب له أعظم مما يغضب لله ، ويستبشر لها مالا يستبشر لله ، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ [3]

وقال ابن تيمية- رحمه الله - : " وها هنا أربعة أنواع من المحبة ، يجب التفريق بينها ، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها:

أحدهما: محبة الله ، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه ، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيهم يحبون الله.

ثانيها: محبة ما يحب الله ، وهذه هي التي تدخله في الإسلام ، وتخرجه من الكفر ، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

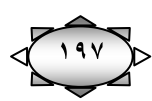
والثالث: الحب لله وفيه : وهي من لوازم محبة ما يحب ، ولا تستقيم محبة ما يحب إلا فيه وله.

---

(١)ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٧، ص٧٠..

(٢) سورة البقرة ، آية: ١٦٥.

(٣) سورة الزمر ، آية: ٤٥.



الرابع: المحبة مع اللّه ، وهي المحبة الشركية ، وكل من أحب شيئاً مع اللّه ، لا للّه ، ولا من أجله ، ولا فيه ، فقد اتخذ نداً من دون اللّه ، وهذه محبة المشركين "[١] .

(ب) **الشرك الأصغر**: وصاحبه إن لقي اللّه به فهو تحت المشيئة على القول الصحيح إن شاء اللّه عفا عنه ، وإن شاء عذبه ، ومنه الحلف بغير اللّه إن لم يقصد تعظيم المحلوف به ، وإلا صار شركاً أكبر ، ومنه يسير الرياء والتصنع للخلق .

ولا يسلم المسلم من الشرك إلا بالإخلاص للّه وبتجريد المتابعة للرسول ﷺ ، كما أن العمل لغير اللّه من الشرك الأصغر ، وله حالات:

- الأولى: أن يكون رياءً محضاً ، فلا يريد صاحبه إلا الدنيا.
- الثاني: أن يكون العمل للّه ، ويشاركه الرياء.

٢- الكفـــر:

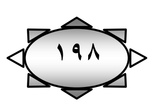
لغة: تغطية الشيء ، وسمي الفّلاح كافراً لتغطيته الحب ، وسمي الليل كافراً لتغطيته كل شيء ، والكفر جحود النعمة ، وهو نقيض الشكر ، وكفّره بالتشديد نسبة إلى الكفر ، أو قال له كفرت باللّه ، وأكفره إكفاراً: حكم بكفره [٢] ، قال تعالى: ﴿ **كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ** ﴾ [٣] .

---

(١) انظر: البيان ، ص١٣.

(٢) لسان العرب،١٤٤/٥، والمصباح المنير ،ص٦٤٧- ٦٤٨ ،والمفردات للأصفهاني ،ص٦٥٣ ، صد٦٥٥.

(٣) سورة الحديد ، آية: ٢٠.



وأما تعريفه اصطلاحاً: فيقول ابن تيمية : " الكفر: عدم الإيمان ، باتفاق المسلمين ، سواء اعتقد نقيضه أو تكلم به ، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم[1] .

ويقول – رحمه الله - : " الكفر عدم الإيمان بالله ورسله ، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب ، بل شك وريب ، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً ، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة [2] .

ولاشك أن الكفر متعلق بالرسالة ، فتكذيب الرسول ﷺ كفر ، وبغضه وسبه وعداوته ، مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة ، والتابعين، والتابعين لهم بإحسان ، وأئمة العلم ، إلا الجهم بن صفوان ومن وافقه كالصالحي والأشعري ، وغيرهم[3] .

ويقول – رحمه الله - : " إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم [4].

ومن خلال ما ورد من كلام ابن تيمية – رحمه الله – نستخلص أن الكفر – وهو نقيض الإيمان – قد يكون تكذيباً في القلب ، فهو مناقض لقول القلب ، وقد يكون الكفر عملاً قلبياً كبغض الله تعالى ، أو آياته ، أو رسوله ﷺ ، والذي يناقض الحب الإيماني ، وهو آكد أعمال القلوب وأهمها ، كما أن الكفر يكون قولاً ظاهراً يناقض قول اللسان ، وتارة يكون عملاً ظاهراً كالإعراض عن دين الله ، والتولي عن طاعة رسوله ﷺ ،

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ٢٠/٨٦.

(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ١٢/٣٣٥.

(٣) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٥ ، ص٢٥١.

(٤) ابن تيمية ، درء تعارض العقل مع النقل، ج١ ، ص٢٤٢.

وهو بهذا يناقض عمل الجوارح القائم على الانقياد والخضوع والقبول لدين الله تعالى.

ويعرِّف ابن حزم الكفر فيقول: " هو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه ، أو بلسانه دون قلبه ، أو بهما معاً ، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مُخرج له بذلك عن اسم الإيمان[1] .

ويقول ابن القيم في بيان معنى الكفر: " الكفر جحد[2] ماعلم أن الرسول جاء به ، سواء أكان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية ، فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ بعد معرفته بأنه جاء به ، فهو كافر في دق الدين وجله[3].

ومن خلال النصوص السابقة ، ندرك معنى الكفر الذي لا يجامع الإيمان ، بأنه اعتقادات ، وأقوال ، وأفعال حكم الشارع بأنها تناقض الإيمان .

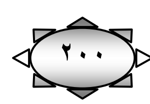
وإذا كان الإيمان قولاً وعملاً ، فكذا الكفر يكون قولاً وعملاً ، فهو رأي الكفر – قول القلب (التكذيب) - ، كما أنه أعمال قلبية – كالبغض – تناقض الإيمان ، وهو قول باللسان ، كما أنه أعمال ظاهرة بالجوارح تنقل عن الملة ، فالكفر قد يكون تكذيباً في القلب ، وهذا الكفر قليل في الكفر – كما يقول ابن القيم - [4] لأن الله تعالى أيد

(1) ابن حزم ، الأحكام ، ج1 ، ص45 ، والفصل في الملل والنحل ، ج3 ، ص252.

(2) الفعل" جحد " في اللغة بمعنى أنكر بلسانه ما تستيقنه النفس ، والجحد هنا المراد به التكذيب المنافي للتصديق (انظر كتاب الصلاة لابن القيم ، ص44).

(3) ابن القيم ، مختصر الصواعق المرسلة ، ج2 ، ص421.

(4) انظر مدارج السالكين ، ج1 ، ص337.



رسله ، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة ، وأزال به المعذرة .

وقد يكون الكفر قولاً باللسان ، وإن كان القلب مصدقاً ، أو غير معتقد بهذا الكفر القولي ، يقول أبو ثور: " ولو قال : المسيح هو الله ، وجحد أمر الإسلام ، وقال: لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك ، وليس بمؤمن[(١)] .

إن الكفر قد يكون عملاً قلبياً ، والأعمال القلبية مثل الحب والتوكل والخوف .... لابد منها في الإيمان ، فلو صدّق الله ورسوله ﷺ ، ولم يكن محباً لله ورسوله لم يكن مؤمناً ، وكذا الكفر ، فقد يكون الشخص مصدقاً بالله ورسوله ، ولكنه يبغض الله أو رسوله ، ومن ثم فهو كافر لذلك.

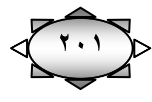
ويقول ابن تيمية – رحمه الله - : " فمن صدّق الرسول ، وأبغضه ، وعاداه بقلبه وبدنه ، فهو كافر قطعاً بالضرورة ، والقلب إذا لم يكن فيه بغض ما يكرهه الله من المنكرات كان عادماً للإيمان .[(٢)]

ويؤكد بن القيم – رحمه الله – أن الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر ، والحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان[(٣)] .

(١) الألكائي ، أصول اعتقاد أهل السنة ، ج٤ ، ص٨٤٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ، ج٧ ، ص٥٥٦ ، ج٧ ، ص٥٥٧.

(٣) ابن القيم ، كتاب الصلاة ، ص٥٣.



ويؤكد أيضاً : " وها هنا أصل آخر ، وهو أن الكفر نوعان : كفر عمل ، وكفر جحود وعناد ، فكفر الجحود : أنه يكفر بما علم أن الرسولﷺ جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه ، وهذا الكفر يعتاد الإيمان من كل وجه ، وأما كفر العمل ، فينقسم إلى ما يضاد الإيمان ، وإلى ما لا يضاده ، فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف ، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان [1] .

وإن للكفر فروعاً ، دون أصله ، لا تنقل صاحبه عن ملة الإسلام ، كما أن للإيمان من جهة العمل فروعاً للأصل ، لا ينقل تركه عن ملة الإسلام ، ويقول ابن تيمية – رحمه الله – فرق بين الكفر المعرّف باللام ، وبين كفر منكَّر في الإثبات ، وفرق أيضاً بين معنى الاسم المطلق ، إذا قيل: كافر . أو مؤمن ، وبين المعنى المطلق للإسم في جميع موارده ، وإذا تقرر معنى الكفر ، وأنه اعتقادات ، وأقوال ، وأعمال تنافي الإيمان ، وأنه على شعب ، ومراتب متفاوته ، فسندرك ما يلي:

❖ أن المرجئة قد أخطأوا في قولهم إن الكفر هو التكذيب من وجهين:

الأول: قولهم كل من كفّره الشارع فإنما كفّره لانتفاء تصديق القلب بالرب تبارك وتعالى ، فحصروا الكفر في مجرد التكذيب فقط[2] .

الثاني: قولهم : " إن التكذيب يقوم بالباطن ، بحيث ينتفي التصديق عن الكافر ، مع أن كفر إبليس وفرعون واليهود ، بل وغالب الأمم الكافرة لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم ، فإن إبليس مثلاً لم يخبره أحد بخبر ، بل أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر ، وكان من الكافرين ، فكفّره الإباء والاستكبار[3] .

---

(١) ابن القيم ، كتاب الصلاة ، ص٥٥.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج٣٦٤/٧ ، وأيضاً ج٥٥٧/٧- ٥٥٨.

(٣) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ٥٣٤/٧.

ويؤكد ابن القيم – رحمه الله – أن أكثر المتكلمين – الذين تحدثنا عنهم في مبحث التيارات الفكرية المنحرفة – قد أنكروا كفر الجحود والعناد ، وكفر الإعراض ولا يثبتون من الكفر إلا الأول (كفر التكذيب أو الجهل) ويجعلون (كفر الجحود ، وكفر الإعراض) ، كفراً لدلالته على الأول لا لأنه في ذاته ، فليس عندهم الكفر إلا مجرد الجهل ، ومن يتأمل القرآن والسنة و سير الأنبياء في أممهم وما جرى لهم معهم يجزم بخطأ أهل الكلام فيما قالوه ، وعلم أن عامة كفر الأمم عن تيقن وعلم ، ومعرفة بصدق أنبيائهم (١) .

وقد أخطأ المرجئة عندما ظنوا أن ترك العمل بالكلية ، وعدم الالتزام بالشريعة ليس كفراً ، ما لم يكن عن تكذيب ، فكما أنه لا يكفي لتحقيق الإيمان مجرد الالتزام المجمل بالشريعة دون التصديق ، فكذلك لا يكفي مجرد التصديق دون تحقيق الالتزام الإجمالي (٢) .

وخطأ المبتدعة وعموماً- في دعواهم أن الكفر خصلة واحدة – بناءً على ظنهم أن الإيمان شيء واحد ، أو شعبة واحدة ، مع أن النصوص الشرعية – كما سبق – تدل على أن الكفر شعب متفاوتة ، فهناك كفر أكبر ، وهناك كفر دون كفر ..... وهكذا.

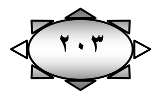
٣- النفاق :

والنفاق لغة : من نفق البيع أي راج ونفقت السوق أي قامت ، والنفق : سرب في الأرض له مخلص إلى مكان ، أي مختفي عن الأعين ، ونفق بمعنى ستر وأخفى ونافق في الدين : ستر كفره وأظهر إسلامه.

وشرعاً : هو من ستر كفره وأخفاه وأظهر إيمانه ، ويتضمن تعريف الإيمان : قول القلب وعمله ، فأما قول القلب فهو الاعتقاد والتصديق ،

(١) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ج١ ، ص٩٤.

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة ، للالكائي ، ج٤ ، ص٨٥٠.



فلابد من تصديق الرسل عليهم السلام فيما أخبروا به ، فإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء [(١)].

كما يتضمن الإيمان : عمل القلب مثل الإخلاص ، والحب ، والخوف، والرجاء ، والتعظيم ، والانقياد ، والتوكل ، وغيرها من أعمال القلوب [(٢)].

ويقول ابن تيمية : " إن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن ،الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة ، فإن المنافقين الذين قالوا : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [(٣)] ، هم في الظاهر مؤمنون ، يُصلّون مع الناس ويصومون ويحجون ، ويغزون ، والمسلمون يناكحوهم ، ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ ، ولم يحكم النبي ﷺ في المنافقين بحكم الكفار المظهرين الكفر [(٤)].

ثم قال: " فيجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا ، وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب [(٥)].

ويقول الإمام الشافعي – رحمه الله - : " أخبر الله عز وجل عن المنافقين بالكفر ، وحكم فيهم بعلمه من أسرار خلقه مالا يعلمه غيره بأنهم في الدرك الأسفل من النار ، وأنهم كاذبون بإيمانهم ، وحكم فيه سبحانه بأن ما أظهروا من الإيمان وإن كانوا كاذبين لهم جُنَّة من القتل – وهم المسرون الكفر المظهرون الإيمان وبين رسول الله ﷺ - إذ حقن الله تعالى دماء من أظهر الإيمان بعد الكفر أن لهم حكم المسلمين من الموارثة

---

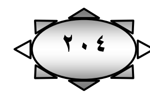
(١) ابن القيم ، الصلاة ، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق ، ص٥٤.

(٣) سورة البقرة ، آي: ٨.

(٤) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٧ ، ص٢١٠.

(٥) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٧ ، ص٢١٥ ، ج٧ ، ص٤٢.



والمناكحة ، وغير ذلك من أحكام المسلمين ، فكان مبيّناً في حكم الله عز وجل في المنافقين ، ثم حكم رسوله ﷺ أن ليس لأحد أن يحكم على أحد بخلاف ما أظهر من نفسه ، وأن الله عز وجل إنما جعل للعباد الحكم على ما أظهر ، لأن أحداً لا يعلم ما غاب إلا ما علمه الله عز وجل [(١)].

ومن الآيات التي نزلت في المنافقين وتجرّم أفعالهم وتتوعدهم بالعقاب قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ - إلى قوله تعالى - وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[(٢)]. وقوله تعالى﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخصام - إلى قوله - فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[(٣)].

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[(٤)].

وقوله تعالى : **﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾**(٥).

٤- الإساءة إلى النبي ﷺ:

فإننا سنتعرض إلى الحديث عن سب النبي ﷺ ، وبيان معنى السب وضابطه ، والخلاصة أن السب هو الشتم ، وهو كلام قبيح يوجب الإهانة والنقص والاستخفاف ، وأما حده فهو العرف ، كما قرر ذلك ابن تيمية عندما قال :" وإذا لم يكن للسب حد معروف في اللغة ، ولا في الشرع ،

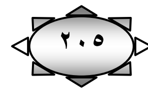
(١) الإمام الشافعي ، الأم ، ج٦، ص١٥٧.

(٢) سورة البقرة ، آية: ٨- ١٠.

(٣) سورة البقرة ، آية: ٢٠٤- ٢٠٦.

(٤) سورة لأحزاب ، آية: ٦٠.

(٥) سورة النساء ، آية: ١٤٥.



فالمرجع فيه إلى عرف الناس ، فما كان في العرف سباً فهو الذي يجب أن ننزل عليه كلام الصحابة والعلماء ، وما لا فلا [1].

ويقول أيضاً في أنواع السب وصوره :

" التكلم في تمثيل سب الرسول ﷺ وذكر صفته ، وذلك مما يثقل على القلب واللسان ، ونحن نتعاظم أن نتفوه بذلك .

وكذلك كل ما عده الناس شتماً أو سباً أو تنقصاً فإنه يجب به القتل، كالتسمية باسم الحمار أو الكلب ،أو وصفه بالمسكنة والخزي والمهانة ، أو الإخبار بأنه في العذاب ، أو أن عليه آثام الخلائق ونحو ذلك ، وكذلك إظهار التكذيب على وجه الطعن في المكذب مثل وصفه بأنه ساحر خادع، محتال ، وأنه يضر من اتبعه، وأن ما جاء به زور وباطل ونحو ذلك [2].

يقول القاضي عياض رحمه الله [3] : " دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على تعظيم الرسول ﷺ وتوقيره واحترامه وإكرامه ، ومن ثم حرّم الله تعالى أذاه في كتابه الكريم ، وأجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين وسابّه ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً** ﴾[4] ، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُواْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً** ﴾ [5].

وهناك الكثير من آيات الكتاب الكريم تدل على كفر شاتم الرسول ﷺ منها ، قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**

(١) ابن تيمية ، الصارم المسلول ، ص٤٧٧.

(٢) ابن تيمية ، الصارم المسلول ، ص٤٧٥ – ٤٧٧ باختصار.

(٣) القاضي عياض ، الشفا ، ج٢ ، ص٩٢٦- ٩٢٧ باختصار.

(٤) سورة الأحزاب ، آية: ٥٧.

(٥) سورة الأحزاب ، آية: ٥٣.

قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ❖ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ❖ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [1].

وأما الحديث عن تفصيل عقوبة سابّ الرسول ﷺ فسوف تتناولها الدراسة في مبحث العقوبة إن شاء الله تعالى.

٥- بغض ما جاء به الرسول ﷺ :

بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ سواء كان من الأقوال أو الأفعال نوع من أنواع النفاق الإعتقادي الذي صاحبه في الدرك الأسفل من النار ، فمن أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر قال ﷺ : { من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ؛ دخل الجنة } [2] ، فقوله : " خالصاً من قلبه " خرج بذلك المنافق لأنه لم يقلها خالصة من قلبه ، إنما قالها ليعصم دمه وماله.

قال تعالى حاكماً بكفر من كره ما أنزل على رسوله ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ❖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[3].

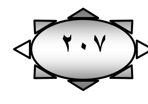
٦- الاستهزاء ببعض ما جاء به الرسول ﷺ:

---

(١) سورة التوبة ، آية: ٦١- ٦٣.

(٢) رواه أحمد (٢٣٦/٥) ، وابن حبان (٤٢٩/١) عن طريق سفيان عن عمرو بن دنيا عن جابر بن عبدالله ، وسنده صحيح.

(٣) سورة محمد ، آية: ٨- ٩.



قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب [(١)] : " من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ ، أو ثوابه ، أو عقابه ، كفر ، والدليل قوله تعالى : ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ❖ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [(٢)]

والاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول كفر بإجماع المسلمين ، وإن لم يقصد حقيقة الاستهزاء ، كما لو هزل مازحاً.

وقد روى ابن جرير ، وابن أبي حاتم وغيرهم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه ، قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء : أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء ، فقال رجل في المجلس : كذبت ! ولكنك منافق ، لأخبرنّ رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن . قال عبدالله : فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله ! إنما كنا نخوض ونلعب ، والنبي ﷺ يقول: ﴿**أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ**﴾ [(٣)].

والقول: " إنما كنا نخوض ونلعب " أي : إننا لم نقصد حقيقة الاستهزاء وإنما قصدنا الخوض واللعب ، نقطع به عناء الطريق ، كما في بعض روايات الحديث ، ومع ذلك كفَّرهم الله سبحانه ؛ لأن هذا الباب لا يدخله الخوض واللعب ، فهم كفروا بهذا الكلام ، مع أنهم كانوا من قبل مؤمنين [(٤)].

وقد قسّم بعض العلماء الاستهزاء إلى نوعين:

(أ) الاستهزاء الصريح : كالذي نزلت فيه الآية السابقة.

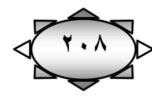
---

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، التبيان ، ص٤٥.

(٢) سورة التوبة ، آية: ٦٥- ٦٦.

(٣) سورة التوبة ، آية: ٦٥.

(٤) الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، المصدر السابق ، نفس الصفحة.



(ب) الاستهزاء غير الصريح: وهو البحر الذي لا ساحل له ، مثل: الرمز بالعين ، وإخراج اللسان ، ومد الشفة ، والغمزة باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول ﷺ ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [1].

٧- الغلـــو:

الغلو الذي نهى عنه النبي ﷺ بقوله : (أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[٣].

إن الغلو ليس نوعاً واحداً ، بل يتنوع باختلاف متعلقه من أفعال العباد ، فهو على نوعين: اعتقادي و عملي [٤].

وتكتفي الدراسة بالحديث عن النوع الأول لقربه لموضوع الدراسة والخاص بالانحرافات الفكرية.

والمراد بالغلو الاعتقادي ما كان متعلقاً بكليات الشريعة الإسلامية ، وأمهات مسائلها ، والمراد بالاعتقادي ما كان متعلقاً بباب العقائد ، فهو محصور في الجانب الاعتقادي الذي يكون منتجاً للعمل بالجوارح ، وأمثلة هذا النوع كثيرة منها الغلو في الأئمة ، وادعاء العصمة لهم ، أو الغلو في البراءة من المجتمع العاصي ، وتكفير أفراده واعتزالهم.

ويدخل في الغلو الكلي الاعتقادي ، الغلو في فروع كثيرة ، إذ أن المعارضة الحاصلة به للشرع مماثلة لتلك المعارضة الحاصلة بالغلو في أمر كلي [٣].

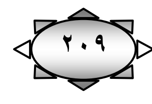
---

(١) المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(٣) رواه مسلم ، كتاب ، (٩٤٤/٢).

(٤) ينظر: شيخ الإسلام ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص٢٨٩.

(٣) الشاطبي ، الاعتصام ، ج٢ ، ص٢٠١.



والغلو الاعتقادي أشد خطراً ، و أعظم ضرراً من الغلو العملي ، إذ الغلو الكلي الاعتقادي هو المؤدي إلى الانشقاقات ، وهو المظهر للفرد والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم ، ذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين ، وقاعدة من قواعد الشريعة ، لا في جزئي من الجزئيات ؛ إذ الجزئي أو الفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً ، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية (1).

إن من الحقائق التي تظهر لكل من تتبع تاريخ دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، أن الأمم تتفاوت في مقدار الاستجابة، وتتفاوت درجات المدعوين في سلوك طريق الحق :

١- فمن الناس المتمسك بالحق ، المستقيم على طريقه.
٢- ومنهم المفرِّط الزائغ المضيِّع لحدود الله .
٣- ومنه الغالي الذي تجاوز حدود الله.

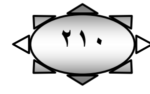
ولذا فقد جاءت النصوص الشرعية بالتحذير من سلوك طرق المغضوب عليهم والضالين ، المضيعين لحدود الله ، والمجاوزين لها ، وجاءت داعية إلى الاستقامة بأساليب عدة منها:

١- تعليم المسلمين أن يدعو الله أن يسلّمهم من كلي الانحرافين ، وتشريع ذلك لهم في كل صلاة مرات متعددة : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ❖ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلاَ الضَّآلِّينَ﴾ (2) ،و هذا بيّن أن العبد يُخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقتين.

---

(1) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٠٠.

(2) سورة الفاتحة ، آية: ٧.



٢- التحذير من تعدي الحدود ، والأمر بلزومها : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[(١)]

إن هذا التعدي هو الهدف الذي يسعى إليه الشيطان ، إذ أن مجمل ما يريده تحقيق أحد الانحرافين: الغلو أو التقصير : " فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغان : إما تفريط وإضاعة ، وإما إلى إفراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين ، والهدى بين ظلالتين "[(٢)].

٣- الدعوة إلى الاستقامة ولزوم الأمر ، وعدم الغلو والزيادة : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣).

٤- بيان مصير الغالي وعاقبته: حيث وردت أحاديث تبين مآل من غلا وأنه صائر إلى الهلاك ، بل يرد ذلك مكرراً ثلاث مرات في حديث واحد ، مما يفيد عظيم الأمر وخطره ، فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { هلك المتنطعون } قالها ثلاثاً [(٤)] ،وقال النووي : "هلك المتنطعون أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[(٥)] ، وهذا دليل أكيد على تحريم الغلو والتنطع ، وبالتالي الغالين والمتنطعين.

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: { لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها

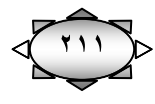
(١) سورة البقرة ، آية: ٢٢٩.

(٢) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٢ ،ص٥١٧.

(٣) سورة هود ، آية: ١١٢.

(٤)رواه مسلم (٢٠٥٥/٤) باب هلك المتنطعون.

(٥) شرح مسلم ، ج١٦ ، ص٢٢٠.



عليهم } [١] ، وهذا أيضاً تجريم للغلو فلولا أنه جريمة ما كان العقاب المهلك الذي أوقعه الله سبحانه وتعالى عليهم .

٨- الغلو في الرسول ﷺ.-

و نهى رسول الله ﷺ عن الغلو فيه خاصة ورفعه فوق منزلته عليه الصلاة والسلام كما فعلت النصارى بعيسى عليه السلام فقد روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)[٢]

قوله (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) الإطراء : مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه قاله أبو السعادات وقال غيره لا تطرون بضم التاء وسكون الطاء المهملة من الإطراء أي لا تمدحوني بالباطل أو لا تجاوزوا الحد في مدحي .

قوله (إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله) أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية وإنما أنا عبد الله فصفوني بذلك كما وصفني به ربي وقولوا عبدالله ورسوله

وإنما أكد النبي ﷺ على هذا النهي في أكثر من موضع ومقام لما علمه في هذا الإطراء من وسيلة وطريق للغلو .

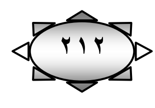
ويعد الغلو في تعظيم الرسول ﷺ وتمجيده إلى ما يزيد عن البشرية الكاملة أمر يفضي بصاحبه إلى الكفر ، فقد اعتقد النصارى أن عيسى عليه السلام ابن الله ، أو هو الله ، وقضية الإيمان بالله لا تحتمل إلا صورة واحدة هي صورة الحق ، والزيادة عليها باطل والانقاص منها باطل[٢] .

---

(١) أخرجه أبو داوود ، (٤٩٠٤) كتاب الأدب ، باب الحسد.

(٢) الجامع الصحيح ، كتاب الأنبياء ، باب واذكر في الكتاب مريم ، ١٤٢/٤

(٢) الميداني ، الوسطية في الإسلام ، ص٩٥.



ولما كان الغلو النصراني في عيسى عليه السلام عدواناً على قضية الإيمان بالله عز وجل كان هذا الغلو كفراً ، ولذا قال الله عز وجل : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ❖ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ❖ أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (1)

ونظير هذا الغلو ما ذهب إله غلاة الشيعة بشأن علي ﷺ وذريته واعتقاد الجزء الرباني فيهم ، أو إعطائهم صفة العصمة التشريعية ، وقد استجاب غلاة الشيعة للدعوة الباطنية ، فغلوا في عليّ وذريته غلو النصارى في عيسى عليه السلام ، ثم انسلخوا من الدين ، وسقطوا في حبائل اليهود الذين دبروا مكائدهم لإفساد الإسلام(2) .

والملاحظ أن الآيتين السابقتين قد تصدرهما قول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ ﴾ وتجريم هذا الانحراف واضح من سياق الآيات ، وآيات آخرى كثيرة.

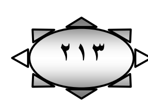
٩- الابتـــــداع:

يُعرِّف شيخ الإسلام ابن تيمية البدعة بقوله : البدعة هي الدين الذي لم يأمر الله به ولا رسوله فمن دان دينا لم يأمر الله به ورسوله فهو مبتدع "(1)

(١) سورة المائدة ، آية: ٧٢- ٧٤.

(٢) الميداني ، مصدر سابق ، ص٩٧- ٩٨.

(١) الاستقامة (٥/١)



ومازال الابتداع في الدين من أهم أسباب الغلو ، إن لم يكن أشدها على الأمة ، وكان من العوامل التي قضت على وحدة الأمة الإسلامية ، وشتت شملها ، وحادت بسببه فرق كثيرة عن الجماعة.

يقول الشاطبي : " ثم استمر تزايد الإسلام ، واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ ، ومن بعد موته ، وأكثر قرن الصحابة رضوان الله عليهم ، إلى أن نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة ، وأصغوا إلى البدع المضلة [٢] .

ومما لا شك فيه أن لا شيء أعظم فساداً للدين ، وأشد تقويضاً لبنيانه، وأكثر تفريقاً لشمل الأمة من البدع ، فهي تفتك به فتك الذئب بالغنم ، وتنخر فيه نخر السوس في الحب ، وتسري في كيانه سريان السرطان في الدم ، أو النار في الهشيم [٣].

وتكمن خطورة البدع في ثلاثة أمور [٤] :

الأول: القول بلسان المقال ، أو بلسان الحال أن الدين ناقص ، وفي هذا معارضة لقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلاَمَ دِيناً ﴾[٥].

الثاني: أن الابتداع يستلزم القدح في إبلاغ رسول الله ﷺ رسالة ربه ، فلقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ، وأمره بإبلاغ الرسالة ، فقال تعالى : ﴿ يَـأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [٥].

---

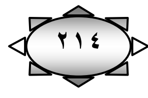
(٢) الاعتصام ، (٢٢/١).

(٣) السحيمي ، تنبيه أولى الأبصار ، ص٢٤.

(٤) السحيمي ، البدع وأثرها في انحراف التصور الإسلامي .

(٥) سورة المائدة ، آية: ٣.

(٥) سورة المائدة ، آية: ٦٧.



الثالث: وبالتالي فالابتداع مخالفة صريحة لأوامر رسول الله ﷺ فإنه قد حث الأمة على التمسك بالسُنة ، وحذرهم من الابتداع في الدين.

الرابع : ما يصيب الأمة التي دخلت البدع دينها ، وهو إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام ، يقول شيخ الإسلام : " والبدعة مقرونة بالفرقة ، كما أن السنة مقرونة بالجماعة "[1] .

لذلك نجد الأدلة قد تضافرت وتوارثت في ذم البدع ، والمبتدعة ، أو في الوعيد الذي يلحقهم ، وفي سوء عاقبتهم ، وفي الأمر بهجرهم وزجرهم ، وهذه بعض الأدلة من الكتاب والسنة ، وكلام السلف الصالح في تجريم الابتداع والمبتدعين:

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[4] .

قال ابن عباس ﷺ : " تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة "[5].

وقال سبحانه ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [1] .

---

(١) ابن تيمية ، الاستقامة ، (٤٢/١).

(٢) سورة الأنعام ، آية: ١٥٣.

(٣) سورة النساء ، آية: ١١٥.

(٤) سورة آل عمران ، آية: ١٠٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ، (٣٩٠/١).

(١) سورة الشورى ، آية: ٢١.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : { من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد }[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : { من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا }[٣].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال (كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه وعلا صوته ... الحديث وفيه يقول :أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)[٤]

وقال ﷺ (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)[٥]

ولقد صدَّق واقع الأمة قول النبي ﷺ حيث لم يحدث فيها الضلال والانحراف الفكري إلاّ بسبب البدع في الدين ، وكلما ازداد الناس من البدع في الدين ازدادوا ضلالا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

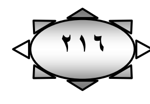
ولم يفسد على الأمة دينها شيء مثلما أفسدته البدع ، ولم تتسع دائرة الانحراف عن الدين الحق إلاّ بسبب البدع "ولهذا قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها ، ومعنى قولهم إن البدعة لا يتاب منها : إن المبتدع الذي

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلح (٢٥٥٠).

(٣) رواه مسلم (٢/٧٠٤- ٧٠٥).

(٤) رواه مسلم ، كتاب الجمعة ، (١٤٣٥).

(٥) رواه الترمذي ، كتاب العلم ، (٢٦٧٦) وقال حسن صحيح.



يتخذ دينا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنا ، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه أو بأنه ترك حسنا مأمورا به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله ، فما دام يرى فعله حسنا وهو سيئ في نفس الأمر فانه لا يتوب

ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق ،كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين "[(١)]

ومما يؤكد خطر البدعة أن تعامل النبي ﷺ مع المبتدعة كان مختلفا عن موقفه من العصاة ، ويوضح ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه (عن عمر بن الخطاب ان رجلا كان يدعى حمارا وكان يشرب الخمر وكان يضحك النبى ﷺ وكان كلما أتى به النبى ﷺ جلده الحد فلعنه رجل مرة وقال لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي ،فقال النبى ﷺ لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) [(٢)] "فهذا رجل كثير الشرب للخمر ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبىﷺ بذلك ونهى عن لعنه .

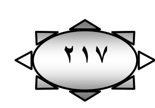
وأما المبتدع فعن على بن أبى طالب وعن أبي سعيد الخدرى وغيرهما أن النبى ﷺ كان يقسم فجاءه رجل ناتىء الجبين كث اللحية محلوق الرأس بين عينيه أثر السجود وقال ما قال فقال النبى ﷺ يخرج من ضئضىء هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وفى رواية لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل ،وفى رواية :شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه) [(١)].

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ١١/ ٤٧٢

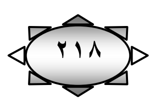
(٢) رواه البخاري ، كتاب الحدود ، (٦٢٨٢) .

(١) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، (٤٠٠٤).



فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي ﷺ بقتلهم وقتلهم علي بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي ﷺ."(٢)

(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ٤٧٣/١١.



المبحث الثاني

عقوبة الانحراف الفكري

من منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة في وقاية المجتمع من الانحراف الفكري بيان العقوبات الإلهية لأهل الضلال في الدنيا والآخرة ، حيث بين الله عز وجل للناس مؤمنهم وكافرهم عقوباته لمن انحرف عن الحق وآثر الضلال على الهدى ، واتبع الباطل وأعرض عن الحق ، وقد ذكر الله في آيات كثيرة من كتابه الكريم أنواع العقوبات التي حاقت بالأمم التي تنكَّبت طريق الحق، وانحرفت نحو الباطل ، وكانت تلك العقوبات أليمة شديدة كما وصفها سبحانه بذلك في قوله ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾[1] .

إن عقوبات الله - عز وجل – لأهل الضلال كثيرة متنوعة في الدنيا والآخرة ، ولقد قص الله علينا في كتابه الكريم ما عاقب به أهل الضلال والانحراف عن الحق من العقوبات العظيمة في الدنيا ، ومن ذلك إغراقه لقوم نوح بسبب ضلالهم وتكذيبهم لنبيهم ، قال تعالى ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية ﴾[2]، وأرسل على عاد ريحا صرصرا عاتية بسبب ضلالهم قال تعالى ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾[3]

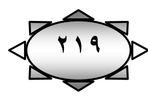
وإنما ذكر الله - تبارك وتعالى - ذلك لخلقه ليتعظوا ويأخذوا العبرة من تلك العقوبات فيجتنبوا أسبابها ،ومن أهم أسبابها الإصرار على المعتقدات الخاطئة المنحرفة ، وذلك أن تلك الأمم التي أهلكها ،جمعت في

---

(١) سورة هود ، آية: ١٠٢.

(٢) سورة الفرقان ، آية: ٣٧.

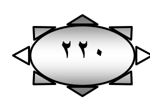
(٣) سورة الحاقة ، آية: ٦.



معتقداتها الباطلة صنوفا من الانحراف " فمن ذلك الإشراك بالله ، و إنكار الرسالات الالهية ، والتكذيب بالبعث ، ودعوى الربوبية في المخلوقات ، كما أن بعض الأمم التي آمنت برسالات بعض الأنبياء قد وقعت في بعض صور الانحراف الفكري ، فعوقبت أيضاً ، كما حصل من بني اسرائيل حين اتخذوا العجل إلهاً ، وطلبوا رؤية الرب تعالى في الدنيا جهره ، وطلبهم من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً غير الله ، ووصف الله عز وجل بما لا يليق كقولهم : " إن الله فقير ونحن أغنياء " ، وقولهم : " يد الله مغلولة " ، فسلط الله تعالى عليهم من أزال ملكهم وشردهم من أوطانهم وسبي ذراريهم كما هي عادته سبحانه وسنته في عباده إذا أعرضوا عن الوحي وتعوضوا عنه بكلام الملاحدة.

وحصل أيضاً عند المنتسبين للإسلام بعض صور الانحراف الفكري ، من جنس التعلق بكلام الفلاسفة في الإلهيات ، وظهور التعلق بالقبور من دون الله في كشف الخطوب وشفاء الأمراض وغير ذلك من صور الانحراف ، فعوقبوا بتسلط الأعداء وقهرهم (1) ، وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله : " كما سلط النصارى على بلاد المغرب لما ظهرت فيها الفلسفة والمنطق واشتغلوا بها ، فاستولت النصارى على أكثر بلادهم وأصاروهم رعية لهم ، وكذلك لما ظهر ذلك ببلاد المشرق سلط عليهم عساكر التتار فأبادوا أكثر البلاد الشرقية واستولوا عليها ، وكذلك في أواخر المائة الثالثة وأول الرابعة لما اشتغل أهل العراق بالفلسفة وعلوم أهل الإلحاد سلط عليهم القرامطة الباطنية فكسروا عسكر الخليفة عدة مرات واستولوا على الحاج واستعرضوهم قتلا وأسرا واشتدت شوكتهم ، واتهم بموافقتهم في الباطن كثير من الأعيان من الوزراء والكتاب والأدباء وغيرهم ، واستولى أهل دعوتهم على بلاد المغرب واستقرت دار مملكتهم بمصر وبنيت في أيامهم

(١) يراجع في هذا المبحث بحث د. عبدالله عبدالعزيز الزايدي ، الانحراف الفكري بتصرف.



القاهرة واستولوا على الشام والحجاز واليمن والمغرب وخطب لهم على منبر بغداد[٢]

والخلاصة أن العقوبات الإلهية لأهل الضلال منها عقوبات كونية كما تبين ومنها عقوبات شرعية دنيوية وعقوبات أخروية ، ومن هذه العقوبات ما سيتم بيانه :

١/عقوبة المرتد:

أما العقوبة الدنيوية التي شرعها الله في حق المرتد فهي القتل حدّاً كما أجمع على ذلك أهل العلم استنادا إلى السنة الصريحة الدالة على ذلك ، وإلى فعل الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - قال ابن قدامة :

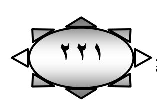
" أجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد[١] ، وروي ذلك عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي و معاذ وأبي موسى وابن عباس وخالد وغيرهم ولم ينكر ذلك فكان إجماعا في حق الرجل المرتد.

وأما المرأة ففي قتلها خلاف ، فقد قيل إنه لا فرق بين الرجال والنساء في وجوب القتل ، روي ذلك عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما وبه قال الحسن والزهري والنخعي ومكحول وحماد ومالك والليث والأزاعي والشافعي وإسحاق .

وقيل إنها : تسترق لا تقتل ، روي ذلك عن علي والحسن وقتادة ، لأن أبا بكر استرق نساء بني حنيفة وذراريهم وأعطى عليا منهم امرأة فولدت له محمد ابن الحنفية وكان هذا بمحضر من الصحابة فلم ينكر فكان إجماعا.

(٢) ابن القيم إغاثة اللهفان ٢٦٩/٢

(١) ينظر : المغني ج: ٩ ص: ١٦ بدائع الصنائع ج: ٧ ص: ١٣٤]الأم ٢٥٧/١



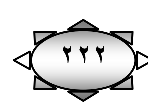
وقال أبوحنيفة تجبر على الإسلام بالحبس والضرب ولا تقتل لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تقتلوا امرأة ولأنها لا تقتل بالكفر الأصلي فلا تقتل بالطارىء كالصبي .

وقد استدل القائلون بقتل المرتدة بقوله عليه السلام (من بدل دينه فاقتلوه)[٢] وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة)[١] ولأنها شخص مكلف بدل دين الحق بالباطل فيقتل كالرجل ، وأما نهي النبي عن قتل المرأة فالمراد به الأصلية فإنه قال ذلك حين رأى امرأة مقتولة وكانت كافرة أصلية ، ولذلك نهى الذين بعثهم إلى ابن أبي الحقيق عن قتل النساء ولم يكن فيهم مرتد ويخالف الكفر الأصلي الطارىء بدليل أن الرجل يقر عليه ولا يقتل أهل الصوامع والشيوخ والمكافيف ولا تجبر المرأة على تركه بضرب ولا حبس والكفر الطارئ بخلافه والصبي غير مكلف بخلاف المرأة وأما بنو حنيفة فلم يثبت أن من استرق منهم تقدم له إسلام ولم يكن بنو حنيفة أسلموا كلهم وإنما أسلم بعضهم والظاهر أن الذين أسلموا كانوا رجالا فمنهم من ثبت على إسلامه منهم ثمامة بن أثال ، ومنهم من ارتد منهم الدجال الحنفي .

إن عقوبة الردة لا تتنافى مع الحرية في وقائع الحياة الشخصية ، لأن حرية العقيدة توجب أن يكون الشخص مؤمناً بما يقول وما يفعل ، وأن يكون له منطق مستقيم في الانتقال من عقيدة إلى عقيدة ، وإعلان ذلك أمام الناس ، فمن ذا الذي يخرج من ديانة التوحيد إلى الوثنية ، وله منطق ، ومن ذا الذي يخرج من دين كل ما فيه يسير مع العقل المستقيم والتفكير المعتدل إلى دين لا يستطيع العقل تسويغ ما فيه ، لا يفعل أحد ذلك وهو ذو

(٢) رواه البخاري ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، (٦٤١١).

(١) رواه البخاري ، كتاب الديات ، (٦٢٧٠).



حرية فكرية حقيقية إنما يخرج منه إتباعاً لهوى ، أو بدعة ، أو جنوحاً إلى المادة يطلبها ، وإلى تضليل يعلنه ، وما كانت محاربة الإسلام اتخاذ الأديان لعباً ولهواً وهزواً وعتباً وتضليلاً إلا حماية حرية الفكر ، وضمان استقامته لا انحرافه [٢].

إنه يكاد لا يوجد من يرتد عن دينه إذا كان أصيلاً في الإسلام ، وإن خرج للاستهواء بالمادة ، أو لفساد في فكره ، وأما الذين يكثر ارتدادهم فهم الذين يدخلون الإسلام لغرض دنيوي كأن يتزوج امرأة فوق امرأة أو يطلق امرأته ، حتى إذا قضوا لذاتهم عادوا إلى دينهم القديم ، ولذلك فمحاربة هذا النوع لا يعد محاربة لحرية الاعتقاد ، ولكنها حماية للاعتقاد من أهل الأهواء والبدع والانحرافات [٢].

٢/ عقوبة المبتدع الداعية لبدعته : وهي ثابتة بنصوص القرآن والسنة وعن سلف الأمة ، ولقتله مقصدان:

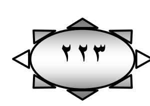
الأول : قتله ردَّةً إذا اعتقد ما يكفر به ، أو صدر عنه قول أو فعل مكفِّر وقامت عليه الحجة ، كمن سبَّ الله تعالى ، أو الرسول ﷺ ، أو استخف بالقرآن ، أو جحد شيئاً منه – كما عليه بعض الزنادقة – فإنه يقتل إجماعاً ، وكذا من قُطِع بكفره وزندقته كبعض الطوائف من أهل البدع كالباطنية على مختلف فرقها ، وأصحاب وحدة الوجود ، والحلولية ، وملاحدة الفلسفة ومن في حكمهم ، وكذلك من حُكم بكفره من أهل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة ، فكل هؤلاء يقتلون لكفرهم وردتهم، وقد دلَّ على ذلك قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري عنه أنه قال: { من بدلَّ دينه فاقتلوه } [٣].

---

(٢) أبو زهرة ، مصدر سابق ، ص٧١.

(٢) المصدر السابق ، ص٧١.

(٣) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، (١٤٩/٦) .



وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: { لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمفارق لدينه التارك للجماعة } [1].

وقد أجمع أهل العلم على قتل المرتد كما نُقل ذلك عن ابن قدامة – رحمه الله – قال: " وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتدين ، وروي ذلك عن أبي بكر وعثمان وعلي ومعاذ وأبي موسى وابن عباس وخالد .. وغيرهم ولم يُنكر ذلك فكان إجماعاً " [2]..

وقتلهم يكون تعزيراً ،يقول شيخ الإسلام – رحمه الله - : " والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات ، وفعل المحرمات كتارك الصلاة ، والزكاة ، والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع ، فلا يُصلى خلفهم ، ولا تُقبل شهادتهم ، ولا يُؤخذ عنهم العلم ، ولا يُناكحون ؛ لأن الداعية أظهر المنكرات ، فاستحق العقوبة ، بخلاف الكاتم ، فإنه ليس شراً من المنافقين الذي كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ، ويعلن سرائرهم إلى الله مع علمه عن كثير منهم ، ولهذا جاء في الحديث أن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ، ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرّت العامة ، وذلك لأن النبي ﷺ قال: { إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه } [3] ، فالمنكرات الظاهرة يجب إنكارها بخلاف الباطنة فإن عقوبتها على صاحبها خاصة " [4].

وإذا ثبت ذلك : فعقوبة أهل البدع ، المظهرين لبدعهم وغيرهم من المجاهرين بالفسق والفجور تكون حسية ومعنوية [5].

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الديات ، (٢٠١/١٢) .

(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج١٢ ، ص٣٦٤.

(٣) رواه الإمام أحمد

(٤) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ،ج٢٨ ، ص٢٠٥.

(٥) الرحيلي ، أهل البدع والأهواء ، ج٢ ، ص٦١٤.

فالمعنوية : مثل ترك الصلاة خلفهم ، وعليهم ، وترك مناكحتهم وعيادتهم، وترك السلام عليهم ومجالستهم ، وعدم قبول روايتهم وشهادتهم، وغيرها من أنواع العقوبات.

وأما الحسية: فهي ما كان تأثيرها مباشراً على البدن أو المال ، وهي كثيرة ومتنوعة ، وهي إما أن تكون بالقتل تارة أو بما دونه من أنواع العقوبات البدنية والمادية تارة أخرى.

وقد جاءت أقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة مصرحة بقتل الزنادقة ومن كفر ببدعته من أهل البدع.

فعن أبي سهيل قال: " كنت مع عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله – فقال لي: ما ترى في هؤلاء القدرية ؟ قال: قلت أرى أن تستتيبهم فإن قبلوا ذلك وإلا عرضتهم على السيف ، فقال عمر بن عبدالعزيز: ذلك هو الرأي ، قلت لمالك: فما رأيك أنت ؟ قال: هو رأيي "[(١)].

وعن مالك ابن أنس – رحمه الله – قال: في معنى حديث النبي ﷺ : { من بدَّل دينه فاقتلوه } ، معنى حديث النبي ﷺ فيما نرى والله أعلم: أنه من خرج من الإسلام إلى غيره مثل الزنادقة وأشباههم ، فإن أولئك يُقتلون ولا يستتابون ، لأنه لا تعرف توبتهم ، وأنهم قد كانوا يسرون الكفر ويعلنون الإسلام ، فلا أرى أن يستتاب هؤلاء ، ولا يقبل قولهم ، وأما من خرج من الإسلام إلى غيره وأظهر ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قُتل.

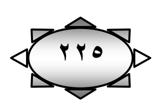
وعن وكيع بن الجراح – رحمه الله – قال: " أما الجهمي فإني أستتيبه فإن تاب وإلا قتلته"[(٢)]. وعنه أيضاً : " من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه مُحْدِث يستتاب فإن تاب وإلا ضربت رقبته "[(٣)].

---

(١) ابن بطة ، الإبانة الصغرى ، ص١٥٢.

(٢)عبدالله بن أحمد في السنة ، ج١ ، ص١٢٧.

(٣)المصدر السابق ، ص١١٥.



وعن سفيان بن عيينه – رحمه الله- قال: " من قال القرآن مخلوق كان محتاجاً أن يصلب .

وهكذا فقد دلت الآثار على اتفاق السلف على قتل كل من كفر بقول ، أو فعل ، أو اعتقاد من أهل البدع وغيرهم من الزنادقة والملحدين ، وإن كانوا قد اختلفوا في أمر استتابتهم من عدمها ، وهل يقتلون من غير استتابة أم لابد من استتابتهم وقتلهم إن أصروا؟

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في ضمن حديثه عن حكم أصحاب وحدة الوجود: " ... وهكذا هؤلاء الاتحادية : فرؤوسهم هي أئمة كفر، يجب قتلهم ، ولا تقبل توبة أحد منهم ، إذا أخذ قبل التوبة ، فإنه من أعظم الزنادقة الذين يظهرون الإسلام ويبطنون أعظم الكفر ، وهم الذين يفهمون قولهم ، ومخالفتهم لدين المسلمين ، ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذب عنهم ، أو أثنى عليهم ، أو عظّم كتبهم ... "[(١)].

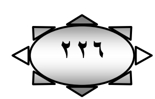
أما حكم الزنديق (المنافق) : " فالزندقة هي إظهار الإيمان وإبطان الكفر ، فمن أسرَّ ديناً من الأديان غير الإسلامِ فإن أتى تائباً قبلت توبته ، وإن أُخذ على دين أخفاه قُتل ولم يستتب ، ونَقل ابن عبدالسلام : " أنه يستتاب كالمرتد ، وهو مذهب جماعة من العلماء[(٢)] ، فظهر بهذا مشروعية قتل الزنادقة ، ومن كفر ببدعته من أهل البدع فإنه يعد مرتداً ، على ما دلت النصوص وإجماع السلف ومباشرة الخلفاء والأمراء من أهل السنة لقتل هؤلاء وتنفيذ حكم الله فيهم.

وهذا هو المقصد الأول لقتل أهل البدع ، وهو قتلهم ردة إن كانوا مظهرين لبدعة مكفرة وثبتت عليهم الحجة بذلك.

---

(١)ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢ ، ص١٣٢.

(٢)ابن فرحون ، تبصرة الحكام ، ج٢ ، ص٢٨٣.



وأما المقصد الثاني فهو قتلهم دفعاً لفسادهم وحماية للناس من فتنتهم وشرهم – إذا لم يمكن دفع شرهم إلا بالقتل.

ويقتل الكافر منهم وغير الكافر مادام أنه داعية لبدعته ويُخشى الافتتان به [1].

وقد اختلف أهل العلم في تكفير أهل الانحراف والأهواء : فمنهم من قال إنهم كفار مخلدون في النار ، ومنهم من لا يبلغ بهم الكفر ، ولا يخرجهم من الإسلام ، إلا أنها أشد المعاصي والفسوق ، ونقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية عن أئمة السلف ، " وأن قتلهم لبعض أهل البدع إما ردة لكفرهم ، وإما لأجل إفسادهم في الأرض بقصد حماية الناس منهم [2].

٣/ عقوبة الساحر :

تعريف السحر : السحر عمل يتقرب به إلى الشيطان وبمعونة منه ، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى ،وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر ورجل ساحر من قوم سحرة[2]

وهو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له ، وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين[3]

والسحر من صور الانحراف الفكري التي قرر لها الشارع الحكيم عقوبة رادعة في الدنيا ووعيدا شديدا في الآخرة ، نظراً لخطره وشدة ضرره

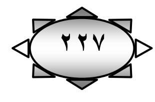
---

(١) الرحيلي ، مصدر سابق ، ص٦٢٤.

(٢) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج١٢ ، ص٥٢٤.

(٢) لسان العرب ، ٤ / ٣٤٨

(٣) ابن قدامة ، المغني ٩ / ٣٤



وكثرة أنواعه وتلبيس أهله على الناس الحق بالباطل وخفاء أمره على الناس حتى اعتقد كثير من الناس أن من صدرت عنه هذه الأمور فهو ممن لهم التصرف التام المطلق في الكون ، وعبد بعضهم السحرة من دون الله .

ومن هذه العقوبات في الدنيا الحكم بقتل الساحر حداً كما جاءت بذلك الأحاديث والآثار .

فعن جندب مرفوعا(حد الساحر ضربه بالسيف)[٤] وفي رواية ضربة بالسيف روي بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة فقالوا يقتل الساحر وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبدالله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبدالعزيز ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر وبه قال ابن المنذر وهو رواية عن أحمد والأول أولى[١] للحديث ولأثر عمر الذي رواه بجالة بن عبدة قال :(كنت كاتبا لجزء من معاوية فأتانا كتاب عمر رضي الله تعالى عنه قبل موته بسنة اقتلوا كل ساحر وساحرة ... الخ)[٢] وعمل به الناس في خلافته من غير نكير فكان إجماعا ، وهو من حجج الجمهور القائلين بأنه يقتل.

٤/ عقوبة الذهاب إلى الكهان :

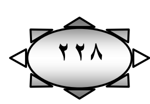
والكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرها " ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب والأصل فيه استراق الجنى السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن والكاهن لفظ يطلق على العراف

---

(٤) رواه الترمذي وقال الصحيح أنه موقوف من طريق اسماعيل ابن مسلم ورواه أيضا الدارقطني ١١٤/٣ .

(١) ا بن قدامة ، المغني (١٢/ ٣٠٢)

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢ / ٩٠) وأخرجه البيقي في باب تكفير الساحر وقتله (١٣٦/٨) وعبد الرزاق في مصنفه في باب قتل الساحر (١٧٩/١٠)



والذي يضرب بالحصى والمنجم ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه ، و الكاهن: القاضي بالغيب والكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه .

والكهانة من صور الخرافة والانحراف في معرفة الحقائق من المصادر الصحيحة ، وهي تفسد العقول ، وتجعلها أسرى لمعظِّمي الكهان وأعمالهم .

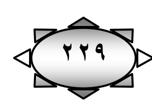
وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصا في العرب لانقطاع النبوة فيهم ، وهي على أصناف منها: ما يتلقونه من الجن فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضا إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين وأرسلت عليهم الشهب فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب)[1]، وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدا كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جدا حتى كاد يضمحل ولله الحمد[2].

وقد جاء تحريم عمل الكهان وتحريم الذهاب إليهم في السنة المطهرة فعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال (من أتى امرأة حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد)[3]

(١) سورة الصافات ، آية: ١٠.

(٢) رواه البخاري ، ٢٢٧/١٠

(٣) رواه النسائي ٣٢٣/٥ وقال المنذري في الترغيب والترهيب إسناده حسن.



وروى مسلم بإسناده عن صفية عن بعض أزواج النبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[(٤)]

٥/ عقوبات مادون القتل :

عقوبة الانحراف والمنحرفين وأهل البدع بما دون القتل ثابت عن السلف ، وهذه العقوبات غير مقدرة لأن الأصل في التعزير أنه غير مقدر لا جنسه ولا صفته ، وإنما يرجع إلى اجتهاد الحاكم ، وولاة الأمر من القضاة وغيرهم ، وهذه القاعدة مقررة عند أهل العلم ، والأدلة عليها كثيرة من الكتاب والسنة وفعل السلف. والتعازير مفردها كلمة عزر من يعزر أي ضرب يضرب ، وفي اللغة تأتي كلمة عزر بمعنى رد أو منع [(٥)] .

و التعزير لغة من أسماء الأضداد لأنه يطلق على التعظيم والتضخيم ، كما يطلق على النصرة بالسيف ، و التعزير يعني التأديب أو الضرب دون بلوغ الحد [(٢)] .

والتعازير شرعاً هي: تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود [(٣)] ، أي هي عقوبة على جرائم لم تضع الشريعة لها عقوبات لأنها عقوبات معينة محددة ، فهو يتفق مع الحدود من وجه وهو أنه تأديب استصلاح وزجر يختلف باختلاف الذنب ، ولكنه يختلف عنها من وجهين :[(٤)]

---

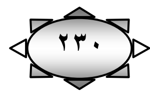
(٤) رواه مسلم ، كتاب السلام ، ١٧٥١/٤

(٥) الفيومي ، المصباح المنير ، ج٢ ، ص٥٤٠٧ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٥٦٣.

(٢) العسقلاني ، فتح الباري ، ج٨ ،ص٣٤٧.

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٠٥.

(٤) المصدر السابق ، ص٢٠٦- ٢٠٧.



أولهما : أن لكل حد عقوبة لا محيص من إيقاعها ، أما في التعزير فهناك مجموعة من العقوبات تبدأ من النصح وتنتهي بالجلد والحبس ، وقد تصل للقتل في الجرائم الخطيرة .

ثانيهما : أن عقوبة الحد لا يجوز لولي الأمر فيها العفو . أما عقوبات التعازير فلولي الأمر العفو عنها كلها أو بعضها.

والتعزير لا يفرض لكل جريمة من جرائم التعازير عقوبة معينة ، كما تفعل القوانين الوضعية ؛ لأن تقييد القاضي بعقوبة معينة يمنع العقوبة أن تُؤدي وظيفتها ، ويجعل العقوبة غير عادلة في كثير من الأحوال لأن ظروف الجرائم والمجرمين تختلف اختلافاً بيناً ، وما قد يُصلح مجرماً بعينه قد يُفسد مجرماً آخر ، وما يردع شخصاً عن جريمته قد لا يردع غيرهَ ، ومن أجل هذا وضَعَت الشريعة لجرائم التعازير عقوبات متعددة مختلفة هي مجموعة كاملة من العقوبات تتسلسل من أخف العقوبات إلى أشدها ، وتركت للقاضي أن يختار من بينها العقوبة التي يراها كفيلة بتأديب الجاني وإصلاحه وبحماية الجماعة من الإجرام ، وللقاضي أن يعاقب بعقوبة واحدة أو بأكثر منها ، وله أن يخفف العقوبة أو يشددها إن كانت العقوبة ذات حدين ، وله أن يوقف تنفيذ العقوبة إن رأى أن ذلك يكفي لتأديب الجاني وردعه وإصلاحه.

والأصل في الشريعة أن التعزير للتأديب ، وأنه يجوز من التعزير ما أمنت عاقبته غالباً فينبغي أن لا تكون عقوبة التعزير مُهلكة ، ومن ثم فلا يجوز في التعزير قتل ولا قطع ، ولكن الكثير من الفقهاء أجازوا استثناءً من هذه القاعدة العامة أن يُعاقب بالفعل تعزيراً إذا اقتضت المصلحة العامة تقرير عقوبة القتل ، أو كان فساد المجرم لا يزول إلا بقتله ، كقتل الجاسوس ، والداعية إلى البدعة ، ومعتاد الجرائم الخطيرة.

ويبيح الحنفية عامة القتل تعزيراً ويسمونه القتل سياسة ، ويرى بعض الحنابلة هذا الرأي وعلى الأخص ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، كما يرى

بعض الحنابلة والمالكية قتل الداعية إلى البدعة تعزيراً بينما يراه غيرهم مرتداً بدعوته للبدعة فيقتل حداً.

وعقوبات التعزير كما يلي :

أ/ **عقوبة الجلد** : وتعتبر هذه العقوبة من العقوبات الأساسية في الشريعة، فهي من عقوبات الحدود ، وهي من عقوبات التعازير ، بل هي العقوبة المفضلة في جرائم التعازير الخطيرة ، ولعل وجه تفضيلها على غيرها أنها أكثر العقوبات ردعاً للمجرمين والمنحرفين وأنها ذات حدين فيمكن أن يجازى بها كل مجرم بالقدْر الذي يلائم جريمته ، ويلائم شخصيته في آن واحد [(١)].

واُختلف في الحد الأعلى للجلد ، والمشهور أنه متروك لولي الأمر ، لأن التعزير يكون بحسب المصلحة ، وعلى قدر الجريمة، فيجتهد فيه ولي الأمر، وعند مالك يُضرب المجرم أكثر من مئة جلدة ، ولو أن أشد الضرب في جرائم الحدود لا يزيد عن مئة جلدة [(٢)].

ويرى أبو حنيفة أن الحد الأعلى للجلد في التعزير تسعة وثلاثون سوطاً ، ويرى البعض أنه خمسة وسبعون ، وأساس هذا الاختلاف ما صح عن قول رسول الله ﷺ : { من بلغ حداً في غير حدٍ فهو من المعتدين } [(٣)] ، وقوله أيضاً : { لا يُجلد أحٌد فوق عشرة أسواط إلا في حدٍ من حدود الله } [(٤)] ، ولكن الذي يعنينا في دراستنا ليس التعرض لهذا الاختلاف وإنما إثبات أن للإمام أن يزيد في التعزير على الحد إذا رأى المصلحة في ذلك شريطة أن

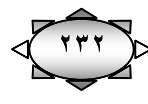
---

(١) عودة ، مصدر سابق ، ص٨٩٠.

(٢) تبصرة الحكام لابن فرحون ، ج٢ ، ص٢٦٢- ٢٦٣.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى ، كتاب الأشربة والحد فيها ،(٣٢٧/٨) .

(٤) رواه البخاري، كتاب المحاربين من أهل الردة والكفر(٢٥١٢/٦)، ومسلم، كتاب الحدود(١٣٣٢/٣) .



يكون مجانباً لهوى النفس ، وأما الاستدلال بالحديث الثاني فهو مردود في مذهب أحمد ، لأنه منسوخ ، أو لأنه مقصور على زمن الرسولﷺ[1] .

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،أن رجلاً يقال له" صبيغ " قدم إلى المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إلى عمر ، وقد أعد له عراجين النخل ، فقال: من أنت؟ قال : أنا عبدالله صبيغ ، فقال عمر: وأنا عبدالله عمر، ثم أخذ عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى أدمى رأسه [2] .

وقد ذكر أن عمر ضربه مئة سوط ، ثم جعله في بيت حتى برأ ثم دعا به فضربه مئة أخرى ، ثم كتب إلى الأمصار بألا يجالسوه حتى تاب وظهر صدقه وتوبته ، والقصة مشهورة رواها غير واحد من الأئمة [3] .

وثبت أيضاً ضرب عمر لقوم كانوا يجتمعون فيدعون للمسلمين ، فلما أحدثوا هذه البدعة كتب عمر رضي الله عنه إلى عامله أن أقبل بهم معك ، وقال للبواب أعد سوطاً ، فلما دخلوا على عمر علا أميرهم ضرباً بالسوط [4] .

وثبت أيضاً ضرب عمر رضي الله عنه (للرجبيين) الذين كانوا يصومون رجب كله، وثبت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ضرب (قاصّاً) بالدرة ، عندما شاهده يقص وحوله ناس كثيرون [5] .

---

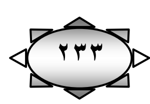
(١) شرح فتح القدير ، ج٤ ، ص٢١٥ ، وتبصرة الحكام ، ج٢ ، ص٢٦٣.

(٢) رواه الأجري في الشريعة ، ص٧٣ ، واللالكائي في أصول الاعتقاد ، ج٤ ، ص٦٣٤ ، نقلاً عن اللويحق ، مصدر سابق ، ص٢١٦.

(٣) نقلاً عن الرحيلي ، مصدر سابق ، ص٦٢٧.

(٤) ابن وضاح ، البدع والنهي عنها ، ص١٩.

(٥) المصدر السابق ، ص١٦/٤٤.



ونُقل أن عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله – أُتي له برجل سب عثمان ﷺ فجلده ثلاثين سوطاً ، وضرب آخر عشرة أسواط ، فلم يزل يسبه حتى ضربه سبعين سوطاً .

ومن أقوال السلف في تقرير عقوبة الجلد أو الضرب في حق أهل الانحراف والبدع ما اشتهر عن الشافعي أنه كان يقول: " حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ الكلام [(١)].

٢/ الحبس : وهو في الشريعة على نوعين ، حبس محدد المدة ، وحبس غير محددة المدة ، وبالنسبة للنوع الأول فالفقهاء يفضلون عقوبة الجلد على غيرها من العقوبات إذا كانت الجرائم خطيرة أو كان المجرمون خطيرين ولا يردعهم إلا الجلد ، وأقل مدة هذا النوع الحبس ليوم واحد ، أما حده الأقصى فغير متفق عليه ، ويرى البعض أن لا يزيد عن ستة أشهر ، ويرى البعض أن لا يصل إلى سنة كاملة ، والبعض الآخر يترك تقدير حده الأعلى لولي الأمر [(٢)] .

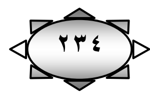
والمثال على الحبس محدد المدة قصة عمر مع صبيغ التي سبق الإشارة إليها، أما النوع الثاني وهو الحبس لمدة غير محددة ويطبق على معتادي الانحراف أو من لا تردعهم العقوبات العادية ، ويظل المجرم محبوساً حتى تظهر توبته ، وينصلح حاله فيطلق سراحه ، وإلا بقي محبوساً مكفوفاً شره عن الجماعة حتى يموت [(٣)] .

---

(١) رواه البغوي في شرح السنة ، ج١ ، ص٢١٨.

(٢) ابن فرحون ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢٨٤ ، ابن قدامة ، المغني ، ج١٠ ، ص٣٤٨ ، والماوردي، مصدر سابق ، ص٢٠٦.

(٣) حاشية ابن عابدين ، ج٣ ، ص٢٦٠ ، تبصرة الحكام ، ج٢ ، ص٢٦٤.



ومن المتفق عليه أن مدة الحبس لا تُحدد مقدّماً ، لأنه حبس لا مدة له ، بل هو حبس حتى الموت ينتهي بموت المحكوم عليه أو توبته قبل ذلك وانصلاح حاله[(١)].

وقد أرشد السلف إلى الحبس في حق أهل البدع تأديباً لهم ، فعن مالك بن أنس – رحمه الله – قال: " القرآن كلام الله عز وجل ، وكان يقول : من قال القرآن مخلوق : يوجع ضرباً ويحبس حتى يموت " [(٢)].

وعن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: " سألت أبي عن رجل ابتدع بدعة يدعو إليها ، وله دعاة عليها ، هل ترى أن يحبس ؟ قال: نعم أرى أن يحبس ، وتكف بدعته عن المسلمين " [(٣)].

٣/ **النفي والتغريب**: وهي عقوبة ثابتة في حق أهل البدع والانحراف والمعاصي بالسنة وبفعل الصحابة ، ومن بعدهم من السلف ، ويرى بعض الفقهاء أنه فيما عدا حد جريمة الزنا فالتغريب يعتبر تعزيراً باتفاق ، كما يرون أن التغريب تعزيراً يجب ألا يزيد عن سنة ، لأن التغريب شرع في الزنا حداً ومدته عام فيجب ألا تصل مدته في التعزير عاماً تحقيقاً لقول الرسول ﷺ : { من بلغ حداً في غير حدٍ فهو من المعتدين }.

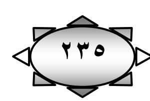
والمحكوم عليه بالتغريب لا يحبس في مكان معين ، ولكن يصح في رأي البعض أن يوضع تحت المراقبة ، وأن تقيد حريته ببعض القيود ، ولكن ليس له اتفاق أن يعود إلى المحل الذي غُرِّب عنه قبل انتهاء مدة التغريب عند

---

(١) عوده ، مصدر سابق ، ص٦٩٧ . وتجدر الإشارة سريعاً إلى أن الحبس غير المحدد المدة عرفته القوانين الوضعية في أواخر القرن التاسع عشر ، فكانت الشريعة الإسلامية سبقت القوانين الوضعية لهذه النظرية بثلاثة عشر قرناً تقريباً .

(٢) الآجري ، الشريعة ، ص٧٩.

(٣) انظر: الرحيلي ، مصدر سابق ن ص٦٢٨.



من يحددون له مدة ، وقبل توبته والإذن له بالعودة عند من لا يحددون للتغريب مدة.

ولقد عاقب رسول الله ﷺ بالتغريب فأمر بإخراج المخنثين من المدينة ، وكذلك فعل أصحابه من بعده ، ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه عاقب "صبيغاً" بالضرب ونفاه إلى البصرة أو الكوفة ، وأمر بهجره فكان لا يكلمه أحد حتى تاب ، وكتب عامل البلد إلى عمر رضي الله عنه يخبره بتوبته فأذن للناس في كلامه.

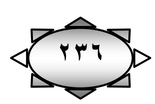
٤/ التعزير بالصلب : والصلب حداً يعاقب به على جريمة الحرابة ، وبعض الفقهاء يرى صلب المحكوم عليه بعد قتله ، والبعض يرى صلبه حياً ثم قتله وهو مصلوب ، وقد كان تقرير الصلب حداً لجريمة قطع الطريق مما دعا الفقهاء للقول بأن الصلب يمكن أن يكون عقوبة تعزيرية ، والصلب للتعزير لا يصحبه القتل ولا يسبقه ، وإنما يُصلب الإنسان حياً ولا يمنع عنه الطعام ولا الشراب ، ولا يمنع من الوضوء ولكنه يصلي إيماءً ، ويشترط الفقهاء ألا تزيد المدة عن ثلاثة أيام [(١)].

ويحتج لمشروعية عقوبة الصلب التعزيرية أن رسول الله ﷺ عزر رجلاً بالصلب وصلبه على جبل يقال له أبو ناب ، وهي هنا عقوبة يقصد منها التأديب والتشهير معاً ، وهي أشبه ما تكون بعقوبة التلاميذ حين يؤمرون بالوقوف وأيديهم مرفوعة إلى أعلى زمناً ما ، أو حين يؤمرون بأن يحثوا على ركبهم زمناً طويلاً أو قصيراً [(٢)].

٥/ عقوبة التشهير : ويقصد به الإعلان عن جريمة المحكوم عليه ، ويكون التشهير في الجرائم التي يعتمد فيها المجرم على ثقة الناس كشهادة

---

(١) عوده ، مصدر سابق ، ص٧٠١.



الزور والغش ، وكان التشهير قديماً بالمناداة على المجرم بذنبه في الأسواق ، وفي عصرنا الحاضر فالتشهير ممكن بإعلان الحكم في الصحف أو لصقه في المحلات العامة ، فيحترز الناس منه كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أتى بشاهد زور فأوقفه للناس يوماً إلى الليل ، فيقول هذا فلان يشهد بزور فاعرفوه ثم حبسه [1].

٦/ **عقوبة الهجر** : وتعتبر من العقوبات التعزيرية ، وقد ورد بها القرآن تعزيراً للمرأة في قوله تعالى : ﴿ ... وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ... ﴾ [2] ، وقد عاقب الرسول ﷺ بالهجر ، فأمر بهجر الثلاثة الذين خُلِّفوا عنه في غزوة تبوك وهم : (كعب بن مالك ، مرارة بن ربيعة العامري ، وهلال بن أمية)، فهُجِروا خمسين يوماً لا يكلمهم أحد حتى نزل قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [3]، وكذلك ما فعل عمر رضي الله عنه مع " صبيغ " ففيها شاهد أيضاً على أن الهجر عقوبة مؤثرة ومجدية لعلاج جرائم الانحراف الفكري.

٧/ **عقوبة الوعظ وما دونها** : ويعتبر الوعظ عقوبة تعزيرية في الشريعة الإسلامية ، ويجوز للقاضي أن يكتفي في عقاب الجاني بوعظه إذا رأى أن في الوعظ ما يكفي لردعه وإصلاحه ، وقد نص القرآن الكريم على أن الوعظ يعتبر تعزيراً في قوله تعالى : ﴿ **وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ** ﴾ [4].

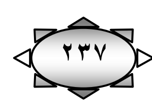
---

(١) انظر: البيهقي ، السنن الكبرى ، ج١٠ ، ص١٤١/١٤٢.

(٢) سورة النساء ، آية: ٣٤.

(٣) سورة التوبة ، آية: ١١٨.

(٤) سورة النساء ، آية: ٣٤.



و من العقوبات التعزيرية ما هو دون الوعظ ، فالفقهاء يعتبرون مجرد إعلان الجاني بجريمته عقوبة تعزيرية ، وفي إحضاره إلى مجلس القضاء عقوبة تعزيرية [١].

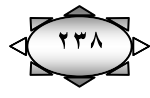
٨/ عقوبة التوبيخ : فإذا رأى القاضي أن التوبيخ يكفي لإصلاح الجاني وتأديبه اكتفى بتوبيخه ، ولقد عزر رسول الله ﷺ بالتوبيخ ، ومن ذلك ما رواه أبو ذر رضي الله عنه ، قال: ساببت رجلاً فعيرته بأمه ، فقال رسول الله ﷺ: { يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية }.

وخاصم عبد من عامة الناس عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ ، فغضب عبدالرحمن وسب العبد قائلاً: " يا ابن السوداء " فغضب النبي ﷺ أشد الغضب ، ورفع يده قائلاً : { ليس لابن بيضاء على ابن سوداء سلطان إلا بالحق} فاستخزى ابن عوف ، ووضع خده على التراب ثم قال للعبد : " طأ عليه حتى ترضى " .

٩/ عقوبة التهديد : والتهديد عقوبة تعزيرية في الشريعة بشرط ألا يكون تهديداً كاذباً ، ومن التهديد أن ينذره القاضي بأنه إذا عاد فسيعاقبه بالجلد أو بالحبس ، ومن التهديد أن يحكم القاضي بالعقوبة ويوقف تنفيذها إلى مدة معينة [٢].

١٠/ عقوبة التعزير بالعقوبات المالية : ومن المسلَّم به أن الشريعة عاقبت على بعض الجرائم التعزيرية بعقوبة الغرامة ، من ذلك أنها عاقبت على سرقة الثمر المعلق بغرامة تساوي ثمن ما سرق مرتين فوق العقوبة التي تلائم السرقة ، وذلك قول الرسول ﷺ : { من خرج بشيء فعليه غرامة مثليه والعقوبة } ومن ذلك عقوبة كاتم الضالة [٣] ، ويشمل التعزير بالعقوبة

(١) عوده ، مصدر سابق ، ص٧٠٢.
(٢) المصدر السابق ، ص٧٠٣.
(٣) عوده ، مصدر سابق ، ص٧٠٥.



المالية الغرامة والمصادرة والإتلاف ونحوها ، والدليل على ذلك حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطعه [1].

١١/ **عقوبة العزل من الوظيفة** : وتطبق على المنحرف فكرياً أو الداعي إلى بدعة من الموظفين المتولين للوظائف العامة سواء أكان أداء الوظيفة بمقابل أو مجاناً.

١٢/ **عقوبة الحرمان**: وتعني حرمان المنحرف من بعض حقوقه المقررة شرعاً كالحرمان من تولي الوظائف ، والحرمان من سهم الغنيمة ، وكإسقاط النفقة للنشوز بالنسبة للمرأة.

١٣/ **عقوبة المصادرة**: ويدخل تحتها مصادرة أدوات الجريمة ، ومصادرة ما حرَّمت حيازته كالكتب الداعية إلى الفتنة أو إلى التكفير وإلى الابتداع [2].

١٤/ **عقوبة الإزالة**: ويدخل تحتها إزالة أثر الجريمة أو العمل المحرم أو الأماكن التي يجتمعون فيها للبدع كبيوتهم ومساجدهم.

يقول ابن القيم في ضمن ذكره لفوائد غزوة تبوك : " ومنها تحريق أمكنة المعصية وهدمها ، كما حرقَّ رسول الله ﷺ مسجد الضرار وأمر بهدمه ، وهو مسجد يصلَّى فيه ويُذكرُ اسمُ الله فيه لَّما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ، ومأوى للمنافقين ، وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله ، إما بهدم وتحريق ، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له [3].

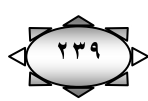
١٥/ **تحريق كتبهم وإتلافها** : فإن فيها تعزير للمبتدعة ، ودرء للمفاسد الحاصلة أو المتوقعة باطلاع الناس عليها وقراءتها ، يقول ابن القيم : " وكل

---

(١) البخاري ، ج٥ ، ص٢٣ ، مسلم ، ج٣ ، ص١٤١- ١٤٢.

(٢) عوده ، مصدر سابق ، ص٧٠٥.

(٣) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٣ ، ص١٧.



هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة غير مأذون فيها ، بل مأذون في محقها وإتلافها ، وما على الأمة أضر منها ، وقد حرَّق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان ﷺ ، لما خافوا على الأمة من الاختلاف فكيف لو رأوا هذه الكتب التي أوقعت الخلاف والتفرق بين الأمة [(١)].

المبحث الثالث

أثر التجريم والعقاب في الوقاية من الانحراف الفكري

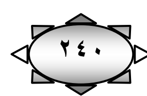
إن معرفة المقاصد الشرعية ، وغايتها مانع من موانع الانحراف ، إذ الجهل بتلك المقاصد يدفع إلى الغلو والانحراف ، وقد وقع المتشددون في هذا الغلو والانحراف لجهلهم بأن التيسير ورفع الحرج من مقاصد الشريعة [(٢)] .

إن استئصال شأفة الغلو والانحراف ، والغالين والمنحرفين ، من ضمن التدابير الواقية ضد من ليست لديهم أهلية ، أو أهليتهم ناقصة كالمختلين عقلياً ، والأحداث المنحرفين ، وذلك برعايتهم وحفظهم ، وإصلاح حال من

---

(١) ابن القيم ، الطرق الحكمي

(٢)اللويحق ، مصدر سابق ، ص٩١٧.



يمكن إصلاحه منهم بالطرق والوسائل المناسبة وهذا ما يعرف بالسياسة الشرعية ، ويقال ساس الأمر سياسة ، بمعنى دبره وقام بأمره ، وسوّسه القوم أي جعلوه يسوسهم ، وهي مصدر ساس الوالي الرعية أي أمرهم ونهاهم وقام على شأنهم [(١)] .

وقد عرَّفها ابن عقيل بقوله: " السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح ، وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ، ولا نزل به الوحي ، ومن قال لا سياسة إلا بما نطق به الشرع فقد غلط ، فقد جرى من الخلفاء الراشدين مالا يجحده عالم بالسنن ، وكفى تحريق عليّ الزنادقة ، وتحريق عثمان المصاحف ، ونفي عمر نصر بن حجاج "[(٢)] .

وعرَّفها بعض الفقهاء بأنها: " تدبير الشئون العامة للأمة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار ، بما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية ، وإن لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين ، وبعبارة أخرى هي متابعة السلف الأول في مراعاة المصالح ومسايرة الأحداث "[(٣)] .

كما فسروا معنى الشئون العامة للدولة الإسلامية بأنها : " كل ما تتطلبه حياتها من نظم سواء أكانت مالية أم تشريعية أم تنفيذية ، وسواء أكانت من شئونها الداخلية أو الخارجية ، فتدبير هذه الشؤون والنظر في أسسها ووضع قواعدها بما يتفق وأصول الشرع هو السياسة الشرعية "[(٤)] .

وفقهاء المسلمين أرادوا بشرحهم وتبيانهم للسياسة الشرعية التوسعة على ولاة الأمر ، في أن يعملوا ما تقتضي به المصلحة العامة بشرط ألا يخالف ذلك أصول الدين الإسلامي ، ووصف تلك السياسة بالشرعية تأكيد

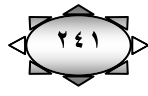
---

(١) الرازي ، مختار الصحاح ، ص١٣٥.

(٢) ابن القيم ، أعلام الموقعين ،ج٣ ص١٦.

(٣) عبدالوهاب خلاف ، السياسة الشرعية ، ص١٦.

(٤) المصدر السابق ، ص١٨.



لوجوب اتفاقها وانسجامها مع مقاصد الشريعة الإسلامية من حيث تحقيق المصالح ودرء المفاسد [1] .

ومن القواعدالشرعية التي نصت عليها الشريعة وطبقتها مؤسساتها العدلية هي:

١- الأصل في الأشياء الإباحة.

٢- لا تكليف قبل ورود الشرع.

٣- لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص.

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿**عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ** ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى** حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ **وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** ﴾ [4] .

والآيات كما هو واضح تبين أن مبدأ الشرعية هو أساس تحريم وتجريم الأفعال من منطلق المصلحة العامة ، كما أنها سياسة صالحة لكل زمان ومكان لأن موجدها الله العالم بما يصلح أحوال البشر ويحقق لهم الخير.

وفيما يخص الجانب الجنائي فقد أنزل الله الحدود وهي عقوبات مقدرة حقاً لله ، أي لا يجوز التغيير والتعديل من البشر فيها لأنها حدود الله لحماية المجتمع من الشر والفساد: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا** ﴾ [5] .

---

(١) علي جريشة ، أركان الشريعة الإسلامية ، ص٧.

(٢) سورة الإسراء ،آية: ١٥.

(٣) سورة المائدة ، آية: ٩٥.

(٤) سورة القصص ، آية: ٥٩.

(٥) سورة البقرة ، آية: ٢٢٩.

وكذلك القصاص والدية وهما حق للعباد ، ففي القصاص عقوبة مقدَّرة ، ولكن لولي الدم الحق في العفو والاكتفاء بالدية ، أو العفو عن الدية أيضاً ، قال تعالى : ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ** ﴾ (١) .

وفيما عدا الحدود والقصاص توجد التعازير وقد تحدثنا عنها في المبحث السابق ، ولم تحدد الشريعة الإسلامية عقوبة لكل جريمة تعزيرية وإنما اكتفت بتقرير مجموعة من العقوبات تبدأ بالأقل كالتأنيب والتوبيخ، وتتدرج في الشدة حتى تصل إلى القتل ، وتقدير ذلك يعود لولي الأمر ، في حدود ما تقتضيه المصلحة العامة ، ودون مخالفة للأحكام الصريحة للشريعة ، وأن تكون العقوبة حاسمة ورادعة ومتناسبة مع حجم الجريمة فلا إسراف في عقاب ولا استهانة بجريمة ، ويلزم فيها المساواة بين الناس جميعاً في التطبيق (٢) .

ومعلوم بالضرورة أن السياسة الشرعية غايتها حماية المصالح الأساسية للمجتمع المسلم ، ولذا يقول ابن القيم : " الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها، ومصالح كلها ، وحكمة كلها "(٣) .

ولذا فالمقاصد التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لحمايتها وحفظها تتمثل في المقاصد الضرورية وهي التي إن فقدت اختلت الحياة في الدنيا، وضاع النعيم في الآخرة ، والضرورات الخمسة منحصرة في :

١- المحافظة على الدين.

---

(١) سورة البقرة ، آية: ١٧٨.

(٢) سلطان الكواري ، منهج الإسلام في مكافحة الإجرام ، الدوحة ، ص٢٤ وما بعدها.

(٣) ابن القيم ، أعلام الموقعين ، ج٣ ، ص١٤.

٢- المحافظة على العقل.

٣- المحافظة على النفس.

٤- المحافظة على النسل.

٥- المحافظة على المال.[(١)]

و هذه المصالح الخمس حفظها واقع في رتبة الضرورات ، فهي أقوى المراتب ، حيث يقضي الشرع بقتل القاتل المضل ، وعقوبة المبتدع الداعي إلى بدعته ؛ فإن هذا يُفوِّت على الخلق دينهم ، وقضاؤه بإيجاب القصاص إذ به حفظ النفوس ، وإيجاب حد الشرب إذ به حفظ العقول التي هي ملاك التكليف ، وإيجاب حد الزنى إذ به حفظ النسب ، وإيجاب زجر النصاب والسراق إذ به حفظ الأموال .. "[(٢)] .

وفي إلمامة سريعة نستطيع أن نستعرض الضرورات الخمس التي هي مناط التجريم والعقاب في قضية الانحراف الفكري الذي هو أساس كل جريمة وكل فعل منحرف والتي لها الأثر البالغ في الوقاية من الانحراف الفكري :

١- **حفظ الدين** : ولإقامة الدين شرعت العبادات لتزكية النفس وتنمية روح التدين ، والمسلم مكلف بشرح الإسلام وتوضيحه للناس كافة ليفهموه ويقتنعوا به ، ومن ثم ينقادوا إلى الله مسلمين طائعين ، ونهى الله سبحانه عن الإكراه أو التعسف لحمل الناس على الدخول في الدين ، كما نهى عن الفتنة في الدين واعتبرها أشد من القتل ، قال تعالى: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾[(٣)] ، وقال تعالى : ﴿ **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾[(٤)] ،

---

(١) الشيخ أبو زهرة ، أصول الفقه ، ص٣٤٨.

(٢) الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، ج٢ ، ص٢٨٨.

(٣) سورة البقرة ، آية: ٢٥٦.

(٤) سورة البقرة ، آية: ١٩١.

ولكن بعد دخول الإنسان في الدين الإسلامي مختاراً فليس له أن يخرج منه وإلا كان جزاؤه القتل ، وقد تعرضنا لهذا في المبحث السابق ، ولعل في تجريم الانحرافات الفكرية بكل درجاتها ومستوياتها ما يردع الذي يفكر في أمر من الأمور السابقة خصوصاً إذا أمعنا النظر في الألفاظ (الإكراه ، الرشد ،الغي ، الفتنة ، الردة) وكلها تدور في إطار الفكر والتفكير.

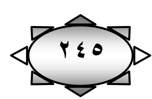
٢- **حفظ العقل** : حيث يمتاز الإنسان عن بقية المخلوقات بالعقل المميز بين الخير والشر والحق والباطل والطيب والخبيث ، وحفظ العقل في مجال دراستنا ينصب على صيانته مما يغيّبه ويدفع الفرد إلى أفكار وتوهمات وانحرافات لا يمكن حصرها ، كما أن الشطط في استخدام العقل والاعتماد عليه في حسم كثير من القضايا متقدماً على النقل يدفع إلى الشطط الفكري والانحراف عن جادة الصواب، وقد استعرضت الدراسة الكثير من مظاهر وأساليب الشطط والانحراف الفكري الذي تأباه الشريعة وتجرّمه وتعاقب عليه.

٣- **حفظ النفس** : فللنفس عند خالقها معزة وكرامة ، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بحفظها وعدم الاعتداء عليها بأي شكل من الأشكال ، سواء بإزهاق الروح أو بالجروح أو بالقتل ، كما أن من أنواع المحافظة على النفس المحافظة على الكرامة الإنسانية ، بمنع القذف والسب واللعن وحماية الحرية الإنسانية والتي تعتبر من مقومات الحياة الحرة الكريمة [(١)] .

٤- **حفظ النسل** : بتنظيم الزواج والدعوة إليه وضرورة الابتعاد عن مواطن الفسق والفجور ، وحفظ الحواس والجوارح من الوقوع في الإثم ، كما نهت الشريعة عن الاعتداء على أعراض الناس سواء أكان ذلك

---

(١) أبو زهرة ، الجريمة في الفقه الإسلامي ، ص٣٥.



بالقذف أم بالفاحشة ، وبينت العقوبة لمن يفعل ذلك ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾[1] .

٥- **حفظ المال** : وقد حث الإسلام على ضرورة السعي في طلب الرزق الحلال ، ونظم المعاملات المالية والتجارية بين الناس ونهى عن تحصيل الرزق بالوسائل غير المشروعة ، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴾[2] ، وقال رسول الله ﷺ : { من غشنا فليس منا }[3] .

وفي ختام هذا المبحث تتضح لنا أهمية السياسة الشرعية القائمة على أسس ومبادئ الشريعة الإسلامية في تدبير وتنظيم الشئون العامة للأمة بما يحقق لها الأمن والسلامة والرخاء ودفع الفساد والانحراف بكافة أشكاله عنهم.

كما يتضح أن هذه السياسة الشرعية سياسة مرنة وصالحة لكل زمان ومكان لأن موجدها هو الله العالم بما يُصلح أحوال الخلق ، ويتضح أيضاً أهمية السياسة الشرعية في حفظ الضرورات الخمس لكي تقوم وتستقيم أمور الدين والدنيا ، ودرء الخلل الذي يمكن أن يقع ، والتأكيد على أهمية الأخلاق الطيبة الكريمة ، والتصدي لكل الانحرافات الفكرية التي من شأنها تهديد أمن وطمأنينة المجتمع المسلم.

---

(١) سورة البقرة ، آية: ٤.

(٢) سورة النساء ، آية: ٢٩.

(٣) رواه مسلم ، كتاب ،(١/ ٦٩).

الفصل الرابع

مواجهة الانحراف الفكري

ويشتمل على:

تمهيــــــــــد :
المبحث الأول : التدابير الواقية من الانحراف الفكري في الشريعة الإسلامية.
المبحث الثاني : دور مؤسسات المجتمع في الوقاية من الانحراف الفكري.

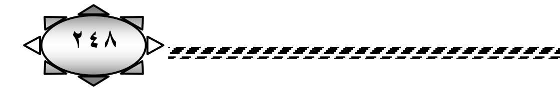
تمهيـد:

إن الدين الإسلامي يعتمد في أساسه على أمر ونهي ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهي ، فالأمر الذي بعث الله به رسوله ﷺ هو الأمر بالمعروف ، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر "[(١)].

والسياسة الشرعية في الإسلام تقوم على أسس تتوافق مع مقاصد الشريعة ومقاصد الشريعة تهدف إلى حفظ نفس الإنسان وحفظ دينه وعرضه وعقله وماله ، وأي تدابير يتم اتخاذها من قبل ولي الأمر للنظر في كل ما يهدد أمن وعقيدة واحتياجات ومتطلبات المسلم ،هادفة إلى إرساء المبدأ الإسلامي الأساس ، وهادفة إلى حماية الحقوق وحفظها على أصحابها ، وتحقيق أمن المجتمع ، وصيانة النظام فيه.

---

(١) ابن تيمية ، الحسبة في الإسلام ، ص١٢.



وقد قام النبي ﷺ بنشر الدعوة المباركة بين الناس في قومه ، و للناس أجمعين ، ولم يشغل نفسه ببناء الجانب الشكلي لهيكل الدولة ، أو القوانين والأنظمة المحددة لسلوك الناس وتصرفاتهم ، ولكنه صرف كل اهتمامه لبناء أسس الالتزام في الإنسان ، فدعا إلى الإيمان بالله الواحد ليحفظهم بالعقيدة وقوة الإيمان واليقين ، وظل ﷺ ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة يؤكد هذا المفهوم وهو الجانب العقدي في شخصية الإنسان المسلم ، وتكوين الضمير الحي القادر على التمييز بين الحق والباطل ، والعدل والظلم ، والصواب والخطأ ، مما كان له الأثر الواسع الكبير في تكوين مجتمع أفراده مؤمنون ، أقوياء ، أنقياء ، أتقياء ،وصدق الله العظيم القائل: ﴿ **يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (١).

وسأسعى في هذا الفصل إلى استعراض الوسائل والطرق التي اتخذتها الشريعة الإسلامية لمواجهة الانحراف الفكري ، وكذلك دور مؤسسات المجتمع في الوقاية من الانحراف الفكري.

---

(١) سورة يونس ، آية:٥٧.

المبحث الأول

التدابير الواقية من الانحراف الفكري في الشريعة الإسلامية

ويشتمل المبحث على خمسة مطالب:

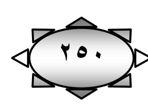
المطلـــــب الأول : مفهوم التدابير الواقية وأساسها الشرعي.

المطلب الثانـــــي : أقسام التدابير الواقية وأهدافها.

المطلب الثالـــث : العقيدة وأثرها في الوقاية من الانحراف الفكري.

المطلب الرابـــــع :العبادات وأثرها في الوقاية من الانحراف الفكري.

المطلب الخامس : الأخلاق وأثرها في الوقاية من الانحراف الفكري.





مفهوم التدابير الواقية وأساسها الشرعي

سبق أن تناولت الدراسة مفهوم التدابير الواقية لغة واصطلاحاً[(١)] ويجدر بها أن تتناول في هذا الموضوع الأساس الشرعي للتدابير الواقية ، حيث يقول الله تعالى: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وقودها الناس والحجارة** ﴾[(٢)]، وقال تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾[(٣)]، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ** ﴾[(٤)]، ومن الواضح أن الآيات السابقة تحمل في طياتها ما يمكن فهمه واستنباطه

(١) مصطلحات الدراسة ص (١١).

(٢) سورة التحريم ، آية: ٦.

(٣) سورة التغابن ، آية: ١٤.

(٤) سورة النساء ، آية: ٧١.

(٥) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، (٢٨/١) ـ ومسلم ، كتاب المساقاة ، (١٢١٩/٣) .

للتدليل على مشروعية التدابير الواقية ،فالله جل وعلى أمر المؤمنين ، ومن أهم الأحاديث التي استدل بها العلماء في هذا الصدد قول الرسول ﷺ : { إن الحلال بيّن،وإن الحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألاوإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب } [1].

ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ : { يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء } [2]،

ومن أمثال هذه الأحاديث يمكن استنباط الدليل الشرعي للتدابير الواقية من خلال الفهم الظاهري لمعانيها ، وهناك مجال واسع للبحث عن الأدلة الشرعية لهذه التدابير الواقية من خلال:

❖ المصلحة : وهي أصل من أصول الشريعة إلى جانب النص والإجماع [3]

❖ سد الذرائع : وهو متصل بسياسة التشريع ، والذرائع تعرف في اللغة بأنها : الوسيلة التي يتوصل بها إلى شيء آخر مطلقاً [4].

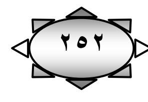
وفي الاصطلاح الشرعي : هو ما يكون وسيلة وطريقة إلى الشيء الممنوع شرعاً وهو بهذا المعنى قد يسد إذا كان طريقاً إلى مفسدة راجحة ،

---

(٢) رواه البخاري ،كتاب النكاح ،(١٩٥٠/٥) ومسلم ، كتاب النكاح ، (١٠١٨/٢) .

(٣) أحمد عبدالرحمن ، التدابير الزجرية والوقائية في التشريع الإسلامي ، ص٣٨٨.

(٤) الرعوجي ، التدابير الواقية من جريمة الرشوة ، ص١٥٥.



وقد يفتح إذا كان طريقاً إلى مصلحة [1]. وقاعدة سد الذرائع مبنية على الموازنة بين مصلحة الفعل ومفسدته ، وبناء على ذلك يتم ترتيب المصالح ، فتقدم المصلحة الضرورية على الحاجية ، والأصلية على المكملة ، والنفس على المال ، والعام على الخاص [2].

ومما يستدل به على سد الذرائع من القرآن الكريم ، قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3]، ولذا نهى الله عن سب آلهة المشركين لأنه ذريعة ووسيلة لسب المشركين لله تبارك وتعالى.

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[4]، حيث النهي واضح عن ضرب الأرض بالقدم فيسمع الرجال بصوت الخلاخيل فيتطلعون إليهن فتتحرك فيهم الشهوة ، وفي هذا مفسدة عظيمة [5]، وقد عرفت الشريعة أنواعاً مختلفة من التدابير الواقية استناداً إلى قاعدة سد الذرائع ، فقد روي أن رجلاً من ثقيف كان مجذوماً ، فأرسل إليه النبي ﷺ { قد بايعناك فارجع } [6].

حيث أكد الفقهاء بناءً على هذا الحديث أن المصاب بمرض معد عليه ألا يغادر مكانه ولا يتحول بين القرى والحواضر إلا لضرورة ، ورأي البعض ألا يحضر الجمعة ، على أن يتم تأمين احتياجاته من بيت المال إذا لم يكن لديه الكافي منه ، وإذا كان المرض المعدي في جماعة [7] فيجب أن

---

(١) رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين ، ج١ ، ص٧٢٢.

(٢) شعبان اسماعيل ، سد الذرائع بين الإلغاء والاعتبار ، ص٣٢٣.

(٣) سورة الأنعام ، آية: ١٠٨.

(٤) سورة النور ، آية: ٣١.

(٥) ابن تيمية ، مصدر سابق ، ص٣١.

(٦) رواه مسلم ، كتاب السلام ،(١٧٥٢/٤) .

(٧) ابن القيم ، الطرق الحكمية ، ص٣٧٤- ٣٧٧.

يخصص لهم موضعاً ، ويمنعوا من الخروج إلى مواضع أخرى ، وتتولى الدولة رعايتهم وهو ما يعرف حالياً بالحجر الصحي.

ويستطيع ولي الأمر في وقت الأزمات والحروب وضع نظم لمنع الاحتكار استناداً لقاعدة سد الذرائع حتى لا يلجأ البعض إلى استغلال المباحات في تحقيق مفاسد للمجتمع [(1)].



أقسام التدابير الواقية وأهدافها

تستخدم الشريعة أنظمة محكمة واقية من الانحراف ، وهذه الأنظمة متداخلة كل منها يؤدي هدفاً معيناً في حماية المجتمع ، وهي عاملة في تناسق متكامل بهدف الوصول إلى نتيجة واحدة خلاصتها تطهير المجتمع المسلم من كل أشكال الانحراف [(2)].

وتستطيع الدراسة أن تسمي هذه الأنظمة كالتالي:

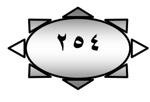
النوع الأول: نظام الحماية:

وهو بمثابة خط الدفاع الأول ضد كل المخاطر المهددة لمقدرات المجتمع ، ويهدف هذا النظام إلى تطهير المجتمع من الانحراف وما ينتج عنه من جرائم متنوعة ، فضلاً عن إعداد الإنسان السوي الذي يتجنب سلوك الجريمة والانحراف [(3)] ، ويستند هذا النظام على معظم تعاليم الإسلام المتمثلة في أركانه الخمسة ، والعقيدة ، والأمر بالمعروف والنهي عن

(1) ابن تيمية ، مصدر سابق ، ص٣١.

(2) عبدالقادر عودة ، التشريع الجنائي الإسلامي ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٦١١.

(3) مناع القطان : أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة ، ص٤٣.



المنكر، والدعوة إلى الله ، والتربية الإسلامية ، فلكل قيمة من القيم السابقة دورها في الوقاية من الانحراف [1].

فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن دخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله في أرضه [2].

وتتجه التكاليف في المحافظة على هذه الضروريات وجهتين هما :

١ـ إقامة هذه الضروريات بتحقيق أركانها وتثبيت قواعدها.

٢ـ درء الخلل الواقع أو المتوقع فيها[3].

وتأتي حماية الدين على رأس قائمة الضروريات الواجب الحفاظ عليها ، حيث تؤكد الشريعة على ضرورة المحافظة على الدين وعدم دخول أي انحراف أو ميل إليه لأنها ترى أن الدين لابد منه للإنسان كي تسمو معانيه الإنسانية على مستوى البهائم والحيوانات ، كما أن التدين خاصة من خواص الإنسان ، ومن أجل هذا شرعت العبادات لتزكية النفس ووقايتها من الانحراف بشتى أنواعه ، وتنمية روح التدين [4]. كما أمر الله بشرح الإسلام وتوضيحه للمؤمنين وللناس كافة كي يفهموه ويقتنعو به ، ومن ثم ينقادوا إلى الله مسلمين ، طائعين مختارين ، ونهى سبحانه عن الإكراه والتعسف لحمل الناس على الدخول في الدين : ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [5].

---

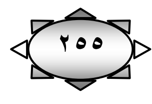
(١) المصدر السابق ، ص٥٥.

(٢) ابن القيم ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ج٣ ، ص١٥.

(٣) عبدالحميد البعلي ، أصول الإجراءات القضائية في الإسلام ، ص٢٩.

(٤) أبو زهرة ، أصول الفقه ، ص٣٤٤.

(٥) سورة البقرة ، آية: ٢٥٦.



وطالما لم يُكره الإسلام أحداً على الدخول فيه ؛ فيصبح من حقها الأخذ على يد المنحرف فكرياً أو سلوكياً الهادف إلى زعزعة عقيدة المسلمين ، فهو – أي الإسلام – طالما لم يُكْرِه أحداً فلا يجب أن يُكْرَه أصحابه على تَحمُّل العابثين بفكره وعقيدته . فقد نهى عن الفتنة في الدين واعتبرها أشد من القتل : ﴿ **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾ [(1)].

والإنسان يمتاز عدا بقية المخلوقات بالعقل الذي أودعه الله فيه كي يستطيع التفريق بين الخير والشر، والحق والباطل ،والطيب والخبيث من الأفكار، وقد أمر سبحانه بحفظ العقل وصونه عما يغيّره أو يذهبه أو يؤثر عليه بأي شكل من أشكال الفساد والانحراف ، وليس على سبيل المثال الفكر المجرد فحسب ، بل أيضاً حرم الله شرب المسكر والمخدر لأنهما يذهبان بالعقل ، ويفقدان الإنسان سيطرته على حواسه وجوارحه ، فقال تعالى : ﴿ **يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [(2)] ، فالخمر تذهب العقل ، وتصد عن سبيل الله ، وهي كما سميت أم الكبائر لأنها تجر صاحبها إلى عظيم المحرمات من الأفعال والأقوال ، وكذلك شأن المخدرات التي هي آفة هذا العصر ، فقد رأى العلماء من قبيل السياسة الشرعية تغليظ العقوبة فيها لعظم ضررها [(3)].

النوع الثاني: نظام العقوبة:

والعقوبة هي: زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر، وترك ما أمر به[(4)] فالعقوبة هي الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة عن عصيان

---

(1) سورة البقرة ، آية: ١٩١.

(2) سورة المائدة ، آية: ٩٠.

(3) أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص٣٦.

(4) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٧٥.

أمر الشارع ، وهي مقررة لإصلاح الأفراد ، ولحماية الجماعة ، وصيانة نظامها ، والغرض من العقوبة هي الوقاية من الجريمة ، وتأديب الجاني ، وإصلاح حاله ، ونظام العقوبة في الشريعة الإسلامية تقوم على مبدأين ، أولهما هو المعني بمحاربة الانحراف و الجريمة والوقاية منها ، والثاني معني بشخصية المجرم المنحرف وإصلاحه وتهذيبه.

ولذا فقد تم تقسيم الجرائم في الشريعة الإسلامية على قسمين هما جرائم الحدود والقصاص وهي جرائم قليلة ومحدودة ، و جرائم التعازير ، ويقصد بها تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود [١].

النوع الثالث: نظام مكارم الأخلاق:

ومفهومه اجتناب مالا تألفه العقول الراجحة إلى الأخذ بمحاسن العادات وما تقتضيه المروءات ، ويجمع ذلك كله مكارم الأخلاق ، فهو نظام متمّم ومحسّن للنظامين السابقين [٢].

وتتمثل التحسينات في الآتي:

١- في العبادات : ضرورة بل وجوب التطهر من النجاسات الحسية والمعنوية ، وستر العورات ، وأخذ الزينة عند المساجد ، لقوله تعالى : ﴿ **يَابَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾ [٣].

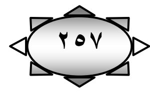
وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: { كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله ،فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه } [٤].

(١) الرعوجي ، مصدر سابق ص١٦٤.

(٢) أبو زهرة ، مصدر سابق ، ص٣٤٩.

(٣) سورة الأعراف ، آية: ٣١.

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ،(٢٢٥٤/٥). رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ،(٢٢٩١/٤).



ومن مكارم الأخلاق منع أهل الكتاب من إعلان الشرب للمحرمات وبيعها في أوساط المسلمين ولو كان المشتري من أهل الكتاب أيضاً .

٢- في المعاملات : الامتناع عن بيع النجاسات وفضل الماء والكلأ ونحوهما ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : { لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ }[(١)].

٣- في العادات : ضرورة الأخذ بآداب الأكل والشرب وتجنب الإسراف ، لقوله تعالى: ﴿**وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[(٢)].

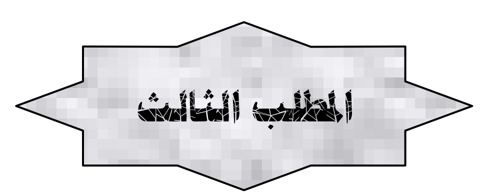
٤- في العقوبات : كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً }[(٣)].

---

(١) رواه البخاري ، كتاب المساقاة والمزارعة ،(٨٣٠/٢) ومسلم ،كتاب المساقاة ، (١١٩٨/٣).

(٢) سورة الأعراف ، آية: ٣١.

(٣) رواه مسلم ،كتاب الجهاد والسير ، (١٣٥٧/٣) .

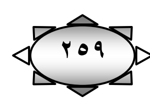


العقيدة وأثرها في الوقاية من الانحراف الفكري

العقيدة لغة: من عقد بمعنى عاهد وعزم ، وعقد الرأي : أي عزم الرأي [1] ، والعقيدة هي (الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شيء إيماناً لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة ، ومن طبيعتها تضافر النصوص الواضحة على تقريرها ، وإجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءها ، وهي أول ما دعا إليه الرسول ﷺ ، وطلب من الناس الإيمان به في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة).

كما أن العقيدة هي الأصل الذي تُبنى عليه الشريعة الإسلامية ، أي أن الشريعة أثر تستتبعه العقيدة ، لقول الفقهاء : (لا وجود للشريعة في

(١) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٤٤٥.



الإسلام إلا بوجود العقيدة ، ذلك أن الشريعة بدون العقيدة علو ليس له أساس ، فهي لا تستند إلى تلك القوة المعنوية التي توحي باحترام الشريعة ومراعاة قوانينها والعمل بموجبها دون الحاجة إلى معونة أي قوة من خارج النفس) [(١)].

وهي عقيدة واضحة وبسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض ، ومتسقة مع الفطرة غير متناقضة معها : ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [(٢)]، كما أنها لا تقبل الزيادة ولا النقصان ولا التبديل ولا التغيير لقوله ﷺ : { من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد } [(٣)] ، ولا تكتفي بالإلزام أو التكليف الصارم ، ولا تقول كما تقول العقائد الأخرى (اعتقد وأنت أعمى) بل يقرر الله فيها : ﴿ **قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [(٤)] ، وليس في العقيدة الإسلامية إفراط ولا تفريط ، فهي وسط في كل شيء ، ولذا صدر الأمر بنشر الدعوة لقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [(٥)]، وفي نفس الوقت لا ترض بإكراه أحد على اتّبعاها لقوله تعالى: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [(٦)]، ولا تقبل الغلو في الدين ولا الانحراف ولا التفريط فيه ، وقد بيّن لنا المصطفى ﷺ في رده على النفر الثلاثة الذين رأى فيهم غلواً في الدين وتفريطاً في أمور نبوية أخرى { أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني

(١) الشيخ شلتوت ، الإسلام و عقيدة و شريعة ط١٢ ، ص٩ .

(٢) سورة الروم ، آية: ٣٠.

(٣) سبق تخريجه ص (٥٤)

(٤) سورة البقرة ، آية: ١١١.

(٥) سورة فصلت ، آية: ٣٣.

(٦) سورة البقرة ، آية: ١٥٦.

لأخشاكم لله ، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني }[1] ، والله سبحانه وتعالى بيّن للمسلم أركان إيمانه ، فقال تعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ....** ﴾[2] ، وقال أيضاً : ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً** ﴾[3] ، وكذلك فإن الرسول ﷺ قد بيّن هذه الأفكار عندما جاءه جبريل عليه السلام فقال له: فأخبرني عن الإيمان، قال: { أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره }[4].

والإيمان لغة: هو التصديق والثقة [5] ، والإيمان مبناه أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له ، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له ، واحد في ألوهيته وعبادته لا ند له ، وللتوحيد أثر بالغ في الوقاية من الانحراف الفكري وهو ثلاثة أنواع :

١- توحيد الربوبية والملك وهو الاعتقاد الجازم بأنه سبحانه رب كل شيء ومليكه ورازقه وأنه المحيي والمميت والنافع والضار ، الذي له الأمر كله ، وبيده الخير كله ، وهو على كل شيء قدير ، وليس له في ذلك شريك [6].

٢- توحيد الأسماء والصفات ، فهو سبحانه واحد لا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من أسمائه أو صفاته.

---

(١) رواه مسلم : باب النكاح ، ص٥.

(٢) سورة البقرة ، آية: ٢٨٥.

(٣) سورة النساء ، آية: ١٣٦.

(٤) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ،(٣٧/١) .

(٥) الشيرازي ، القاموس المحيط ، ص٥١٨.

(٦) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ، تيسير العزيز الحميد ، ص١٧.

٣ـ توحيد الألوهية المبني على إخلاص التأليه لله سبحانه وتعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة ، وهذا التوحيد يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وإليه دعت جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم[١] .

والإيمان بالملائكة يقتضي أن نؤمن أنهم موكّلون بالسموات والأرض، فقد وكل الله بالجبال ملائكة وبالسحاب والمطر ملائكة ، وبالنطفة ملائكة ، وبالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه ، وبالموت ملائكة ، وبسؤال القبر ملائكة ...[٢] .

والإيمان بالرسل يقتضي أن نؤمن أن الله أرسل للناس رسلاً مبشرين ومنذرين يدعون الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد ، منهم من قصه الله علينا ومنهم من لم يقصصه ، فقال تعالى : ﴿ **رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾[٣] .

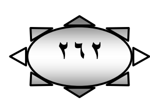
والمسلم إذا صدق في توحيده ، وكانت عقيدته صافية نقية كان لهذا الصدق ثمار من أبرزها :

أولاً : أن يسعى العبد إلى إرضاء ربه بتنفيذ الأوامر ، والابتعاد عن النواهي ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي**

(١) محمد بن عبد الوهاب ، المصدر السابق ، ص٢٠.

(٢) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص٢٠٩.

(٣) سورة النساء ، آية: ١٦٥.



مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [(١)].

وقال تعالى أيضاً: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [(٢)].

كذلك بين النبي صلى الله عليه وسلم أكبر الكبائر ، فقال: { ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور " أو قول الزور " وكان متكئاً فجلس ، فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت } [(٣)].

وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال: { اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يا رسول الله وما هن ، قال: الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات } [(٤)].

وهكذا تحقق العقيدة الإسلامية الصافية للمسلم السعادة في الدنيا والآخرة وبها يمتنع الصادق في إيمانه عن كل هذه الانحرافات والجرائم، بل يحاربها ويحارب كل أنواع الفساد والمنكرات في المجتمع، ويقول كلمة الحق لا يخاف في الله لومة لائم.

ثانياً: أن يتولد في قلبه الخوف من الله عز وجل ، وهذا الخوف يبعده عن الاقتراب من محارم الله ويجعل فكره مستقيماً على منهج الله لا ينحرف ولا يعوَّج ، والخوف من الله عز وجل يولد في قلب المسلم :

---

(١) سورة الأنعام ، الآيات: ١٥١- ١٥٣.

(٢) سورة الأعراف ، آية: ٣٣.

(٣) رواه البخاري ، كتاب الشهادات ،(٩٣٢/٢)- ومسلم ، كتاب الإيمان ،(٩١/١) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الوصايا ،(١٠١٧/٣)- ومسلم ، كتاب الإيمان ، (٩٢/١).

أ) التقوى: وقد أمر بها الله سبحانه في مواضع عديدة ، فقال سبحانه: ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١) وقال : ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً﴾(٢) ، وقال: ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣).

والتقوى لغة : الحذر (٤) ، وفي الاصطلاح جعل النفس في وقاية مما تخاف ، و يسمى الخوف تارة تقوى ، والتقوى خوفاً ، وصارت التقوى في عرف الشرع حفظ النفس عما يؤثّم وذلك بترك المحذور وبعض المباحات (٥).

وقد رغّب الله المؤمنين بلزوم التقوى بذكر ما أعده لهم من جزاء في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ (٦) ، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ (٧) ، وقال في أخلاقهم : ﴿وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(٨).

(١) سورة آل عمران ، آية: ١٠٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

(٣) سورة الحشر ، آية: ١٨.

(٤) الشيرازي ، القاموس المحيط ، ص١٧٣.

(٥) الراغب ، المفردات ، ص٥٣٨.

(٦) سورة الطلاق ، آية: ٢- ٣.

(٧) سورة الطلاق ، آية: ٤.

(٨) سورة البقرة ، آية: ١٧٧.

وهذه الأوصاف والأخلاق التي يمتاز بها المتقون لا تجعلهم يمتنعون عن أي شكل من أشكال الانحراف فحسب ، بل تجعلهم مشاعل نور لهداية المنحرفين .

ب) المراقبة : فالله سبحانه يعلم خائنة الأعين ويعلم ما تخفي الصدور ، وأنه سبحانه رقيب ، قال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً**﴾[2] ، وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى**﴾[3] . كما بين رسول الله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإحسان ، فقال ﷺ : { أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك }[4] .

والمراقبة لغة: من راقبه مراقبة ورقاباً، ورقبه : أي حرسه ولاحظه ، ويقال: راقب الله في ضميره ، وفي عمله أو أمره ، أي خافه وخشيه ، وفلان لا يراقب الله في أمره ، أي لا ينظر إلى عقابه ، فيركب رأسه في المعصية[5] .

فإذا علم العبد أن الله سبحانه رقيب عليه ، ناظر إليه ، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله في كل لحظة أثمر هذا العلم يقيناً بأن الله سبحانه مطلع على ظاهر الأمر وباطنه.

ج) المحاسبة : والمحاسبة لغة: من حَسَبَه حَسْباً وحسباناً وحساباً أي عده ، والمعدود هو المحسوب[6] ، ويقصد بها محاسبة المسلم نفسه على

---

(١) سورة البقرة ، آية: ٢٣٥.

(٢) سورة الأحزاب ،آية : ٥٢.

(٣) سورة العلق ، آية: ١٤.

(٤) رواه البخاري ،كتاب التفسير ،(١٧٩٣/٤) ـ ومسلم ، كتاب الإيمان ،(٣٧/١) .

(٥) المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص٣٦٤.

(٦) الشيرازي ، القاموس المحيط ن ص٩٤.

جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة حرصاً منهم على الدنيا ، فينظرون في الربح والخسارة ليتبين لهم الزيادة من النقصان في رؤوس أموالهم فيحاسب نفسه على رأسماله وهو الفرائض ، وعلى ربحه وهو النوافل والفضائل ، وعلى خسرانه وهو المعاصي(1) ، وقد دل على المحاسبة قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّـهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (2).

ومحاسبة النفس لها فوائد تعود بالنفع على الإنسان المسلم أهمها :

١- معرفة عيوب النفس ،وهل هذا الاعتقاد الذي تحمله وتنشره صحيح أم لا ؟ ثم بعد ذلك العمل على إصلاحها.

٢- أمن الطريق وتخفيف الحساب يوم القيامة ، فمن يحاسب نفسه في الدنيا على كل اعتقاد يعتقده أو فكر يسلكه فإنه بإذن اللّه يبتعد عن الشرك بأنواعه والبدع والضلالات والأفكار الدخيلة و الجرائم والمعاصي في الدنيا فيخفف عليه الحساب يوم القيامة.

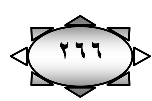
وأخيراً فإن الإيمان باللّه وبالملائكة وبالكتب وبالرسل له دور بالغ وفعّال في تكوين عقيدة وفكر الإنسان المسلم الذي يستشعر مكانة دور الملائكة وما يقومون به ، فيشعر بعظم المسئولية أمام اللّه فلا يقدم على انحراف مهما كان نوعه ولا على جريمة كبيرة كانت أو حتى معصية ، ولا يخاف لومة لائم في إيمانه برسالات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وما نزل عليهم فيقوى إيمانه برسالة خاتم المرسلين ﷺ وتزداد صلته بالمؤمنين الصادقين فيستقيم عمله وتصفو روحه.

كما إن اليقين بالآخرة له دور في صقل شخصية المسلم واستقامة عقيدته وفكره و سلوكه وتصحيح موازينه ، فإذا حصل اليقين عند العبد

---

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج٤ ، ص٣٩٢.

(٢) سورة الحشر ، آية : ١٨.



أحس بمراقبة الله له ، مما يجعله يحاسب نفسه دائماً لأنه يحس أن الله سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وأن أعماله تستنسخ ، وكل لفظ يقوله يُدون ، وهذا يولد الخشية في قلبه ، فلا يقدم على جريمة صغيرة كانت أم كبيرة.

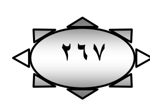
وكذا فإن الخاسر الحقيقي هو الذي يخسر نفسه وأهله يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ**﴾[1] ، حيث إن التقوى والإيمان هما الميزان الذي يتفاضل به الناس بقوله تعالى : ﴿**وَلاَ تَنْكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنْكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ**﴾[2] .

والإيمان بالقدر له آثاره على النفس البشرية ، ومن هذه الآثار سكينة القلب وطمأنينة النفس ، كما أن المؤمن بقدر الله شجاع لا يخاف أحداً إلا الله لأنه بيده رزقه وأجله فلا يقول إلا ما يرضي الله ولا يداهن ولا يجامل أي فكر أو تيار على غير منهج رسول الله ﷺ ، والمؤمن الراضي بما قسمه الله له مستريح البال لا يحسد ولا يبغض ولا يعترض .

---

(١) سورة الزمر ، آية: ١٥- ١٦.

(٢) سورة البقرة ، آية: ٢٢١.





العبادات وأثرها في الوقاية من الانحراف الفكري

أولاً: الصلاة:

الصلاة لغة : الدعاء ، وفي الشريعة أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة [(١)] . والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، ففي الحديث : { بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت } [(٢)] ، والصلاة هي من الله الرحمة [(٣)] ، وهي تحقيق الصلة بين العبد وربه فتخشع فيها النفس خمس مرات في اليوم والليلة حتى

---

(١) الجرجاني ، التعريفات ، ص١١٧.

(٢) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، (١/١٢) ـ ومسلم ، كتاب الإيمان ، (١/٤٥) .

(٣) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٣٦٨.

يبقى العبد على صلة دائمة بربه ممتثلاً لأمره ، نقياً من المعاصي والآثام [1] ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [2] .

فمن خلال هذا الاتصال الروحي تسمو النفس الإنسانية إلى كل ما يحبه الله ويرضاه ، وتبتعد عن كل النقائص والعيوب ، وهي فوق هذا تمحو الذنوب والخطايا ،قال ﷺ: { أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، فهل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا: لا ، قال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا } [3].

فالصلاة الحقيقية التي يريدها الإسلام هي التي تمد المؤمن بقوة روحية ونفسية تعينه على مواجهة أي شبهة عقدية كانت أو علمية أو سلوكية ، ولذا قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[4].

ولا شك أن الصلاة باعثة الطمأنينة في قلب المؤمن ، فهي ذكر وتسبيح وتلاوة قرآن ، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [5] ، وهي مخلّصة من الصفات الذميمة كالجزع والبخل : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [6].

---

(١) القطان، أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة ، ص١٤٤.

(٢) سورة العنكبوت ، آية: ٤٥.

(٣) رواه البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ،(١/١٩٧) ـ ومسلم ، كتاب المساجد ، (١/٤٦٢) .

(٤) سورة البقرة ، آية: ١٥٣.

(٥) سورة الرعد ، آية: ٢٨.

(٦) سورة المعارج ، آية: ١٩- ٢٣.

كما أن صلاة الجماعة تؤلف بين قلوب المؤمنين وتزيد من حب المسلمين بعضهم البعض وتقوّم الكثير من السلوك المنحرف والفكر المنحرف .

ثانياً: الزكاة :

الزكاة في اللغة : من الزكاء وهو النماء والزيادة ، والزكاة البركة والنماء والطهارة[(١)] ، وهي النماء والزيادة والتصدق والسمو كما يأتي بمعنى الطهارة والنظافة [(٢)] وأما في الاصطلاح الشرعي : فهي حق يجب في المال[(٣)] ، وهي ثالث الأركان وثبت وجوبها بالقرآن والسنة وإجماع الأمة لقوله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[(٤)] ، وقال: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[(٥)] ،وهي دعامة من دعامات المجتمع ، ومن دعامات التكافل الاجتماعي ، كما أنها الفريضة الثانية بعد الصلاة ، فرضها الله حقاً في المال وليس تفضلاً وإحساناً من إنسان لآخر لقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ [(٦)].

وهي طهارة للمجتمع ككل من عوامل الهدم والتفرقة والصراع والفتن والانحرافات لقوله تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾[(٧)].

---

(١) الشيرازي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص٣٩٨.

(٢) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٢٧٣.

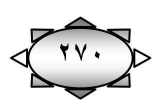
(٣) ابن قدامة ، المغني ، ج١ ، ص٣٩٨.

(٤) سورة النور ، آية: ٥٦.

(٥) سورة الحشر ، آية: ٩.

(٦) سورة المعارج ، آية:٣٤.

(٧) سورة التوبة ، آية: ١٠٣.



وعندما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال له: { أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم}[1] ، وعندما توفي ﷺ وولي الصديق رضي الله عنه وارتد من ارتد من ضعاف الإيمان ورفضوا دفع الزكاة قال: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ،والله لو منعوني عناقاً[2] كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها ، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)[3].

ومن أهم ما تمثله الزكاة من أهمية في حياة المجتمع المسلم ووقايته من الانحراف ما يلي:

١ـ تقليل الفقر والعوز وهما من أهم العوامل الدافعة إلى الانحراف الفكري، وبالتالي إلى ارتكاب الجرائم ، ولهذا أمر الله عز وجل بإعطاء الفقير والمسكين من زكاة الأموال ما يكفيهم في حياتهم ومعاشهم.

٢ـ القضاء على كل أشكال الشح والبخل، فالبخل والشح يدفعان صاحبهما إلى أفكار منحرفة قد تؤدي إلى سفك الدماء ، وقطع الأرحام ، قال ﷺ : { اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم }[4].

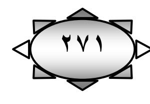
---

(١) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، (٥٠٢/٢) ـ ومسلم ، كتاب الإيمان ،(٥٠/١) .

(٢) العناق: الأنثى من أولاد المعز والغنم من حين الولادة إلى تمام الحول.

(٣) رواه البخاري ، كتاب استتابة المرتدين ،(٢٥٣٨/٦) ـ ومسلم ، كتاب الإيمان ، (٥١/١).

(٤) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، (١٩٩٦/٤) .



٣ـ تطهير النفس من دنس الاعتقادات الضالة والسلوكيات الفاسدة، لقوله تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾ (١)، قال الطبري رحمه الله : تطهرهم من دنس ذنوبهم ، وتنميهم ، وترفعهم من خسيس منازل أهل النفاق بها إلى منازل أهل الإخلاص (٢).

٤ـ تنقية الصدور من الحقد والغل والضغينة التي في النفوس ، وما يتولد عنها من أفكار واعتقادات ضالة منحرفة قد تترجم إلى أفعال إجرامية محرمة .

ثالثاً : الصيام:

يطلق لفظ الصيام لغة: على الإمساك ، وقد ورد في كتاب الله بمعنى الإمساك عن الكلام والإمساك عن الطعام (٣) وهو في الشرع بمعنى الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى الليل مع النية (٤) ، وهو فريضة لقول الله تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (٥).

وللصوم آثار عميقة على الأفراد والمجتمع ،وهذه الآثار إما أن تكون معدومة أو ضعيفة عند أصحاب الأفكار المنحرفة ، ومن أبرز هذه الآثار:

---

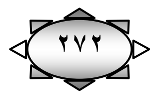
(١) سورة التوبة ، آية: ١٠٣.

(٢) الطبري ، جامع البيان ، ج١١ ، ص١٣.

(٣) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٣٧٤.

(٤) القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، ص٢٧١.

(٥) سورة البقرة ، آية: ١٨٣.



١- إيقاظ الروح ، وإصحاح البدن ، وتقوية الإرادة ، والتعود على الصبر ، وتربية مشاعر الرحمة ، والتدريب على كمال التسليم لله رب العالمين(١).

٢- تقليص الخصومات بين الناس ، حيث إن الصائم يستجيب لأمر رسول الله ﷺ : {فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذٍ ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم } (٢).

٣- التخفيف من حدة الشهوة الجنسية ، فقد قال ﷺ : {يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء } (٣).

٤- الكف عن الزور والكذب ، قال ﷺ : {من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه } (٤).

٥- غرس تقوى الله عز وجل في قلوب الناس ، قال ابن حجر في بيان الحكمة من تكليف الناس بالصيام : " ليكون سبباً لاتقاء المعاصي وحائلاً بينهم وبينها " (٥).

٦- العفو والتسامح والصفح وقتل ثورة الغضب وحب الانتقام في نفس الصائم وهي تربية سامية تعمل على نزع فتيل الشر وتقضي على دوافعه. هذا ما يؤكده قول النبي ﷺ {الصيام جنَّة، فإذا كان صوم

---

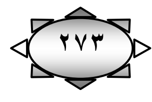
(١) القرضاوي ، مصدر سابق ، ص٢٧٩.

(٢) رواه البخاري ، كتاب الصوم ، (٦٧٣/٢) ـ ورواه مسلم ، كتاب الصيام ، (٨٠٧/٢).

(٣) رواه مسلم ، كتاب النكاح ٢ (٣٠٤/٤) .

(٤) رواه البخاري ،كتاب الأدب ، (٢٢٥١/٥) .

(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١١ ، ص١٠.



أحدكم ، فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم } [(١)].

٧- كما إن من آداب الصوم : الكف عن اللغو وبذاءة اللسان ، وبهذا يتعود المسلم على ذلك في صيامه وفطره .

رابعاً : الحج :

وهو الركن الخامس من أركان الإسلام ، ويعرف لغةً: بأنه القصد ، وفي العرف قصد مكة للنسك [(٢)] ، وشرعاً : هو قصد بيت الله الحرام لأداء أفعال مخصوصة في أوقات مخصوصة [(٣)] ، قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [(٤)] ، وأجمعت الأمة على وجوب الحج على المستطيع في العمر مرة [(٥)].

هذا وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أن للحج منافع ، فقال: ﴿ **لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ** ﴾ [(٦)] ،أي أمور دينية ودنيوية [(٧)] ، وتتجلى منافع الحج في الآتي :

١- الإحرام في حقيقته هو تجرد من شهوات النفس والهوى ، وحبسها عن كل ما سوى الله وأن يكون مصدر التلقي من الله ورسوله ﷺ .

٢- التلبية في الحج (لبيك اللهم لبيك) هي شهادة على النفس بهذا التجرد ، وبالتزام الطاعة والامتثال لأوامر الله ورسوله ﷺ وإن كان ما يدور في الفكر خلاف ذلك .

---

(١)

(٢) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٣٧٤.

(٣) ابن عابدين ، رد المختار ، ج٢، ص١٨٩.

(٤) سورة آل عمران ، آية: ٩٧.

(٥) ابن قدامة ، المغني ، ج٥ ، ص٥.

(٦) سورة الحج ، آية: ٢٨.

(٧) الطبري ، جامع البيان ، ج١٧ ، ص١٠٨.

٣- أما الطواف و السعي فهو تضرع بقلب تملؤه الخشية من الله والرجاء فيما عنده.

٤- وأما الذبح فهو تطهير من الرذيلة و سعياً في طلب الفضيلة[(١)].

٥- الاستقامة على الأخلاق الفاضلة وذلك لالتزام الحاج بآداب الحج المأمور باتباعها ، وإلا فسد حجه : ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [(٢)] ،

و الالتزام بطاعة الله تعالى وعدم الفسوق ، وترك الأحاديث الساقطة وكثرة الجدال والمراء أثناء فترة الحج ينتج عنه تقويم سلوك الفرد المسلم ، كما أن قيامه قبل سفره للمناسك برد المظالم ، وأداء الديون ، وتصفية ماله من الحرام لكي يحج بالحلال منه ، كل ذلك يطهر قلبه من غلبة الشهوات ، وتنمحي من نفسه كل شوائب الانحراف.

٦ ـ التطهر من الذنوب ، حيث وعد الرسول ﷺ الحاج ببشارة عظيمة حيث قال ﷺ :{ من حج إلى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه }[(٣)]. وإحساس الحاج بهذا التطهير وسيلة إلى عدم العود إلى أي مسلك من مسالك الانحراف .

٧ـ إن القضاء على صيحات القبلية والعصبية الإقليمية بين المسلمين من أهم فوائد الحج ، حيث تنمو بدلاً منها روابط العقيدة والأخوَّة في الدين ، فاجتماع المسلمين في هذا المكان المبارك ، ومنهم الأبيض والأسود ، والغني والفقير ، والكبير والصغير ،والحاكم والمحكوم؛ يحقق مبدأ المساواة ، ويوثّق علاقات الأخوَّة الإسلامية إلى جانب التشاور فيما بين حكام المسلمين

---

(١) القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، ص٢٨٥.

(٢) سورة البقرة ، آية: ١٩٧.

(٣) رواه البخاري ، كتاب الحج ، (٦٤٥/٢) .

وولاة أمرهم ممن يحضرون الحج ، والذي يحقق فوائد عظيمة ويرأب صدوعاً حادثة في جسد الأمة.

و في ختام هذين المطلبين الخاصين بالعقيدة والعبادات وأثرهما في الوقاية من الانحراف الفكري يقال :

أ) إن العقيدة الإسلامية هي غذاء لروح وجسد الإنسان المسلم ، حيث يستطيع من خلالها وما تتضمنه من عبادات الاستقامة على طريق الله ، طريق الحق، ومعرفة الخير من الشر والصواب من الخطأ والفكر المستقيم من الفكر الآثم .

ب) العبادات تحرر النفس من قيود الشبهة والشهوة والانحراف وتردها عن غيها وضلالها ، والعبادات تمرّن النفس وتدربها على كيفية محاربة الهوى والميل والشبهة والشهوة وجميع أنواع المغيرات التي تجعله يحيد عن الفكر القويم والطريق المستقيم.

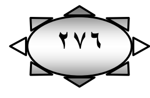
ج) العقيدة الإسلامية وما تتضمنه من عبادات تحقق للفرد المسلم الخير العميم وتزيح عنه شراً كثيراً ، وهذا لا يتحقق إلا بإخلاص العبودية لله وحده لا شريك له ، فالإيمان الذي لا يرقى إليه شك في قدرة الله وعظمته كفيل باستقامة المسلم وضمان لخيري الدنيا والآخرة.

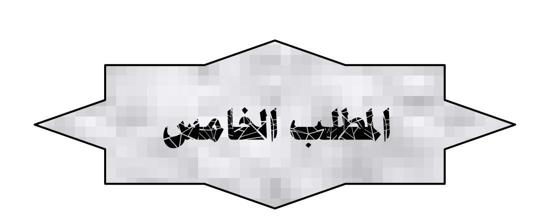
د) الإنسان هو المحتاج لله سبحانه وتعالى ، فالله غني عن العالمين ، ولا تنفعه طاعة طائع ، ولا تضره معصية مسيء ، لقوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [1] ، وقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [2] ،

---

(١) سورة لقمان ، آية: ١٢.

(٢) سورة آل عمران ، آية: ٩٧.



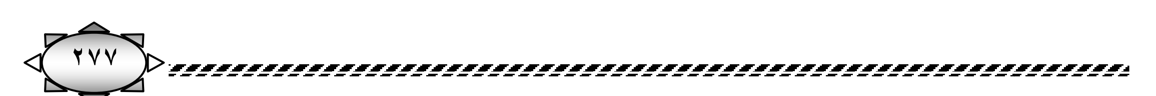


الأخلاق وأثرها في الوقاية من الانحراف الفكري

لقد مدح اللّه سبحانه رسوله ﷺ بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [1]

وبين الرسول ﷺ أن الهدف من الإسلام هو تقويم الأخلاق وإتمام مكارمها ،

(١) سورة القلم ، آية: ٤.

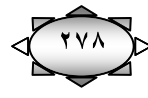


حيث قال: { إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق }[1] ، وكان ﷺ على الرغم من اكتمال أخلاقه يدعو : {واهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت }[2] والأخلاق السيئة هي من أسباب دخول النار ، وقد قيل لرسول الله ﷺ : { إن فلانة تصوم النهار ، وتقوم الليل ، تؤذي جيرانها بلسانها ، قال: لا خير فيها ، هي في النار }[3].

والخلق لغةً: السَّجية والطبع والمروءة والدِّين[4] ، والخلق هو حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من غير حاجة إلى فكر أو رويّة[5] ، والجمع أخلاق ، وقد عرَّفه الجرجاني[6] بأنه هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر أو رويّة ، فإن كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة ، سميت الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كانت الأفعال الصادرة منها قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً.

والخُلق الذي يربي عليه الإسلام أبناءه مرتبط أشدالارتباط بالإيمان ، ففي الحديث الشريف : { لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له}[7] .

(١) رواه الإمام أحمد ، (٣٨١/٢) ـ ومالك ، كتاب حسن الخلق ، (٩٠٤/٢) .
(٢) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، (٥٣٤/١) .
(٣) رواه الإمام أحمد ، (٤٤٠/٢) ـ والحاكم في المستدرك ، كتاب البر والصلة ، (١٤٨/٤).
(٤) الشيرازي ، القاموس المحيط ، ص١١٣٧.
(٥) المصدر السابق ، ص٢٥٢.
(٦) الجرجاني ، التعريفات ، ص٩٠.
(٧) رواه الإمام أحمد ، (٢٥١/٣)، والبيهقي في السنن الكبرى ، كتاب الوديعة ،(٢٨٨/٦) .



والأخلاق الحسنة درع واق من الانحراف ، كما أن الأخلاق السيئة تؤدي إليه ، وسأتناول الحديث عن أهم الأخلاق المؤثرة في سلوك المسلم وأثرها في الوقاية من الانحراف الفكري ، وما يتمخض عنه من سلوكيات إفساد أو إجرام وهي كالتالي :

أولاً: الإخلاص:

الإخلاص لغة: من أخلَصَ، وأخلص الشيء أصفاه ونقّاه من، شوائبه[1] فالإخلاص: التنقية والتصفية من الشوائب ، والمخلَصون (بفتح اللام) هم الذين صفاهم الله من الشرك ، والمخلِصون (بكسر اللام) هم الذين أخلصوا العبادة لله ، قال الجرجاني : " الإخلاص لغة : ترك الرياء في الطاعات ، وفي الاصطلاح : تخليص القلب من شائبة الشرك المكدر لصفائه [2].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلم بالإخلاص ، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينِ * أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [3].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾[4]. وقد يؤدي العبد الصلاة وهو غافل عن حضور قلبه فلا تؤدي ثمرتها وهي الابتعاد عن الفحشاء والمنكر من الاعتقاد والقول والفعل ، وهنا دور الإخلاص وهو إرادة الله تعالى بالطاعة ، والصدق وهو إرادة الله بالعبادة مع حضور القلب إليه ، فكل صادق مخلص ، وليس كل مخلص صادق [5].

---

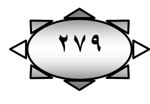
(١) المعجم الوسيط ، ج١ ، ص٢٤٩.

(٢) الجرجاني ، التعريفات ، ص٨.

(٣) سورة الزمر ، آية:٢- ٣.

(٤) سورة البينة ، آية: ٥.

(٥) محمد رشيد رضا ، مجموعة الحديث النجدية ص٦.



وقال تعالى محدداً شروط قبول العمل : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا ﴾ (١) ، فالعمل له شرطان لقبوله: أولهما : أن يكون خالصاً لوجهه تعالى ، والثاني: أن يكون صواباً ، كما قال ابن القيم – رحمه الله – :" إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السُنَّة (٢).

وللإخلاص آثار في نفس المسلم تمنعه من الانحراف وأهمها ما يلي :

١- يُزيل الوساوس من نفس المسلم ، ويبعده عن الرياء ، فالوساوس التي تدور عند الإنسان إن لم تؤطَّر بالمنهج الشرعي وإلا انقلبت إلى اعتقاد جازم وفكر منحرف وسلوك إجرامي ظالم .

٢- يُبعد الغل عن نفس المسلم وعن قلبه ، والغل بكسر الغين : العداوة ، وغلَّ يغلُّ : إذا صار ذا ذل أي ضغن ، قال ﷺ : { ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبداً : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم الجماعة ،فإن دعوتهم تحيط من ورائهم } (٣) ، أي لا يبقى في قلب المسلم غل مع وجود هذه الثلاثة فإن القلب يغل على الشرك ، وعلى الغش ، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة ، والدواء تجريد الإخلاص والنصح ومتابعة السُنَّة (٤).

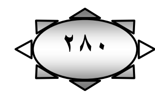
---

(١) سورة الكهف ، آية: ١١٠.

(٢) ابن القيم ، تهذيب مدارج السالكين ط ، ص٥١٣.

(٣) رواه الإمام أحمد ، (١٨٣/٥) . والترمذي في سننه ،كتاب العلم ، (٣٤/٥) .

(٤) مهدية شحادة ، مصدر سابق ، ص١١٩.



٣- الإخلاص يبعد المسلم عن طلب التزين في قلوب الخلق ، وعن طلب مدحهم ، أو طلب تعظيمهم ، كما يبعده عن طلب أموالهم أو خدمتهم أو محبتهم أو قضائهم حوائجه [(١)].

٤- يورث المسلم العفاف ، قال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [(٢)].

ثانياً: الصدق:

الصّدق لغة: ضد الكذب [(٣)] ، والصدق مطابقة الحكم للواقع ، ومنه التصديق وهو الذي لم يدع شيئاً مما أظهره اللسان إلا حققه بقلبه وعمله [(٤)] ، والصِّدّيق من كثر منه الصدق أو من لا يكذب قط . [(٥)]. قال تعالى: ﴿ **يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [(٦)]. وقال أيضاً: ﴿ **مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً** ﴾ [(٧)].

وقد قسم الله سبحانه وتعالى الناس إلى (صادق ومنافق) فقال عز وجل : ﴿ **لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ** ﴾[(٨)].

---

(١) ابن القيم ، مصدر سابق ، ط ص٥١٣ .

(٢) سورة يوسف ، آية: ٢٤.

(٣) الشيرازي ، القاموس المحيط ، ص١١٦١.

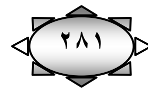
(٤) الجرجاني : التعريفات ، ص١١٦.

(٥) الراغب : المفردات ، ص٢٨٥.

(٦) سورة التوبة ، آية: ١١٩.

(٧) سورة الأحزاب ، آية: ٢٣.

(٨) سورة الأحزاب ، آية: ٢٤.



وقال ﷺ : { عليكم بالصّدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً ،وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور [(١)] وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً } [(٢)].

ويقول تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[(٣)].

والصدق يؤدي إلى راحة وطمأنينة النفس ، فقد قال ﷺ : { الصدق طمأنينة والكذب ريبة }[(٤)]. بل إن الصدق يجعل الإنسان يعتقد ما هو حق ويسلك ما هو صحيح ، ولذلك تجد أصحاب الأفكار المنحرفة بعيدين كل البعد عن الصدق ، فهو يعلم أن هذا الأمر الذي سلكه فيه ريبة وفيه اعوجاج ولكنه لا يقر بذلك ولا يعترف به جحوداً منه واستكباراً .

ولا يخفى أن الصدق يبعد الإنسان المسلم عن الرياء والنفاق والكذب ، فقد قال ﷺ : { آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان }[(٥)].

---

(١) الفجور: الانبعاث في المعاصي والزنا ، الشيرازي ، ٥٨٤.

(٢) رواه البخاري،كتاب الأدب ، (٢٢٦١/٥) ـ ومسلم ، كتاب البر والصلة والآداب،(٢٠١٣/٤) .

(٣) سورة البقرة ، آية: ١٣٣.

(٤) رواه الإمام أحمد ، (٢٠٠/١) ، والترمذي ، كتاب صفة القيامة ، (٦٦٨/٤) .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ،(٢١/١) ـ ومسلم كتاب الإيمان(٧٨/١) .

كما وإن الصدق يبعد الإنسان المسلم عن الخيانة والتي تؤدي والعياذ بالله إلى الفوضى والفساد ، وأكل حقوق الناس بالباطل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾[1].

ثالثاً: الأمانة:

الأمانة لغة : ضد الخيانة ،وإنا عرضنا الأمانة أي الفرائض المفروضة أو النية التي يعتقدها فيما يظهره باللسان من الإيمان ، ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر لأن الله أئتمنه عليها ، ولم يظهرها لأحد من خلقه ، فمن أضمر من التوحيد مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة [2] ، وقيل ا لأمانة كلمة التوحيد[3] .

والأمانة خُلقٌ هام يجب توفره عند من يتولى المسؤولية لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[4] ، كما أمر سبحانه وتعالى بأداء الأمانة ، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[5] ، كما بيّن سبحانه عظم وأهمية الأمانة حيث قال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[6] وقال ﷺ { لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لاعهد له } [7] .

وكل فرد في المجتمع يحمل أمانة في عنقه يحاسبه الله عليها ، قال ﷺ : { ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على

(١) سورة النساء ، آية: ١٠٧.

(٢) الشيرازي ، القاموس المحيط ، ص١٥١٨.

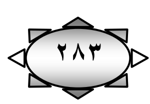
(٣) الراغب ، المفردات ، ص٢٧.

(٤) سورة القصص ، آية: ٢٦.

(٥) سورة النساء ، آية: ٥٨.

(٦) سورة الأحزاب ، آية: ٧٢.

(٧) سبق تخريجه ص (   )



الناس راع وهو مسؤول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده،وهو مسؤول عنه،ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته }[1] .

وللأمانة أهمية قصوى في الوقاية من الانحراف الفكري ، ويتمثل ذلك فيما يلي:

١- عندما يعلم الإنسان أنه مؤتمن على كل ما يعتقده ويقوله ويفعله فإن هذا باعث إلى التمحيص والتدقيق في كل ما يعتقده وكل ما يرد إليه من أفكار أو آراء .

٢- الأمين لا يهتم بما فاته من نعيم دنيوي زائل ، فهو يعتقد كل ما يرضي الله ويرد كل ما يغضب الله ولو أدى ذلك إلى فوات شيء من الدنيا ،

ولذا قال ﷺ : { أربع من كن فيه فلا عليه ما فاته من الدنيا : صدق الحديث ، وحفظ الأمانة ، وحسن الخلق ، وعفة المطعم } [2] .

رابعاً: الحياء

الحياء لغة: التوبة والحشمة وهو الاستحياء [3]، وقيل هو انقباض النفس من شيء ، وتركه حذراً عن اللوم فيه ، وهو نوعان : نفساني ، وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها ، وإيماني ، وهو الذي يمنع المؤمن من اعتقاد و فعل ما يغضب الله خوفاً من الله تعالى .[4]وقيل هو انقباض النفس عن القبائح وتركها [5]، وقد بيّن الرسول ﷺ أنه شعبة من شعب

---

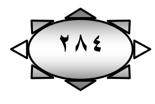
(١) رواه البخاري ، كتاب العتق ، (٢/٩٠١) . ومسلم ، كتاب الإمارة ،(٣/١٤٥٩) .

(٢) سبق تخريجه ص (   )

(٣) صالح الصالح ، المعجم الصافي ، ص١٣٩.

(٤) الجرجاني ، التعريفات ، ص٨٤.

(٥) الراغب ، المفردات ن ص١٤٠.



الإيمان ، فقال: {الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله ألا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان }[1] ، كما بين أن الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام حثوا أقوامهم على الحياء ، فقال: { إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، إذا لم تستح فاصنع ما شئت }[2] ، وكذلك بين الرسول ﷺ ثمرة الحياء ، فقال :{ الحياء لا يأتي إلا بخير }[3].

والحياء يبعث على ترك كل ما هو مستقبح من اعتقاد أو قول أو عمل ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق ، وقلة الحياء من علامات الشقاء[4] كما أن قلة الحياء تؤدي إلى نشر الشر والفساد والزيغ والضلال ،لأن من صفات قليلي الحياء عدم المبالاة في ما يعتقدون وما يعملون وعدم النظر في عواقب الأمور.

سادساً: كظم الغيظ:

والكظم لغة: السكوت ، والكاظم هو الممسك على ما في نفسه من الغضب[5] ، والغيظ هو تغير يلحق الإنسان من مكروه يصيبه[6] ، فكظم الغيظ هو إمساك النفس عند الغضب ،و كظم الغيظ من أخلاق المتقين ، وقد حث الله المؤمنين عليه وأمرهم به فقال: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ،(١٢/١) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، (٦٣/١) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، (٢٢٦٨/٥) .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، (٢٢٦٧/٥) . ومسلم ، كتاب الإيمان ، (٦٤/١) .

(٤) ابن القيم ، تهذيب مدا رج السالكين ، ج١ ، ص٦٢١.

(٥) المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص٧٩٥.

(٦) المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص٦٧٥.

مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السراء والضراء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [1].

وقد أبان النبي ﷺ أن القوة في كظم الغيظ، ففي الحديث الشريف: { ليس الشديد بالصُّرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب }[2] وقال ﷺ : { من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء } [3].

والغضب من الشيطان ، وقد يدفعه إلى اعتقاد ماهو باطل عالماً بذلك وهذا على وجه العناد والإصرار ، أو جاهلاً نتيجة عدم إعمال فكره وذلك لما هو فيه من حالة الغضب ،بل قد يدفعه الغضب إلى الكفر وهذا قمة الانحراف في التفكير ، وكل هذا نتيجة الغضب ، إلى جانب الكثير من جرائم العنف التي تقع ويكون نتيجتها عدم كظم الغيظ.

وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له : (يا رسول الله : أوصني ، قال: لا تغضب ، فردد مراراً ، قال : لا تغضب) [4].

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣- ١٣٤.

(٢) رواه البخاري،كتاب الأدب،(٢٢٦٧/٥) ـ ومسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، (٢٠١٤/٤) .

(٣) رواه أبو داوود ، كتاب الأدب ، (٢٤٨/٤) ـ وابن ماجه ،كتاب الزهد ، (١٤٠٠/٢) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، (٢٢٦٧/٥) .

المبحث الثاني

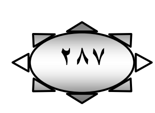
دور مؤسسات المجتمع في الوقاية من الانحراف الفكري

ويشتمل على سبعة مطالب:

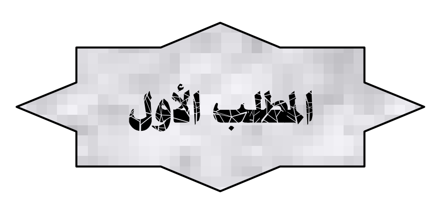
المطلب الأول : التربية الإسلامية هي الوقاية وهي العلاج.

المطلب الثاني : دور الأسرة.

المطلب الثالث : دور المؤسسات التربوية والتعليمية.



المطلب الرابـــــع :دور المسجد والمؤسسات الدينية.
المطلب الخامس : دور المؤسسات الاقتصادية.
المطلب السادس : دور أجهزة الإعلام.
المطلب السابع : دور المؤسسات الأمنية.



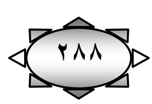
التربية الإسلامية هي الوقاية وهي العلاج

يقال ربا الشيء أي زاد وعلا ونما ، وربَّاه تربية أي غذَّاه ورعاه حتى نما [1] . وبالتالي فمعنى التربية في المعاجم اللغوية يرجع في أصله إلى الفعل (ربا يربو) أي نما وزاد ، ومنه قول الله سبحانه : ﴿ **وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فإذا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الماء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ** ....**الآيـــة** ﴾ [2] ... وعلى هذا فهناك عدة معان للتربية تتفرع كلها من عملية النمو ، حيث تصبح بالمعنى الواسع متضمنة كل عملية تساعد على تشكيل عقل الفرد وفكره وخُلقه وجسمه باستثناء ما قد يدخل في هذا التشكيل من عمليات تكوينية أو وراثية [3] .

(١) الرازي ، مختار الصحاح ، ص٢٣١.

(٢) سورة الحج ، آية: ٥.

(٣) محمد منير مرسي ، أصول التربية الثقافية ، ص١٣.



والشريعة تنظر إلى التربية نظرة أكثر شمولاً ، حيث تعني تنشئة الفرد المسلم في جوانب حياته الجسمية ، والعقلية والنفسية والسلوكية ، على هدي الإسلام ومبادئ وتعاليم الشريعة ، ونظرته إلى الكون والإنسان والحياة [(١)].

وتعرَّف التربية بأنها : إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا وللآخرة في ضوء المبادئ والقيم وأساليب وطرق التربية التي جاء بها الإسلام [(٢)].

وقيل هي تنشئة الطفل وتكوينه إنساناً متكاملاً من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الجسمية والعقلية والروحية والأخلاقية في ضوء المبادئ التي جاء الإسلام بها وطرق التربية التي تبيّنها [(٣)]

وجاء في القرآن الكريم التعبير عن ذلك بالتزكية والتطهير والتعليم والتقوى [(٤)] كقوله تعالى: ﴿ **كما أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [(٥)] ، وقال تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [(٦)].

ولا شك أن للتربية الإسلامية أهدافاً كثيرة نذكر منها على سبيل التمثيل:

---

(١) مناع القطان ، التربية الإسلامية والوقاية من انحراف الأحداث ، ص٢.

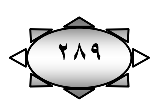
(٢) مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص٥٤.

(٣) مقداد يا لجن ، موسوعة التربية الإسلامية ، ج١ ، ص٣٦.

(٤) القطان ، مصدر سابق ، ص١٠٠.

(٥) سورة البقرة ، آية:١٥١.

(٦) سورة الشمس ، آية :٧- ١٠.



١- تقويم النفوس وتهذيب الأخلاق و التنشئة على الفضيلة حتى يستقيم فكر الإنسان وعقله وسلوكه على طريق الحق [١] ، وقد سئل ﷺ : {من أحب عباد الله إلى الله ؟ قال أحسنهم خلقاً} [٢] .

٢- تحقيق التوازن المطلوب بين السعي إلى حاجات الدنيا والسعي إلى حاجات الآخرة ، قال تعالى : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَآ آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ... ﴾ [٣] ، وهذا التوازن أو التوازي المطلوب هو الذي يميز التربية الإسلامية عن غيرها ، فهي تربية ليست صوفية انعزالية ، كما أنها ليست مادية تجنح إلى غايات فردية فقط أو جماعية فقط ، كما هو الحال في النظم الوضعية ، وإنما هي مزيج من هذا وذاك [٤] .

٣- تقوية الروابط بين المسلمين ودعم تضامنهم وخدمة قضاياهم ، ويتم ذلك من خلال ما تقوم به التربية الإسلامية من توحيد للأفكار والاتجاهات والقيم بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وتوجيه هذه الأفكار إلى المنهج القويم ومبادئ الشريعة الراسخة الثابتة التي فيها الخير في الدنيا والآخرة . ولهذا تكون التربية الإسلامية عاملاً فاعلاً في تماسكهم ووحدتهم ، وجعلهم على قلب رجل واحد [٥] .

---

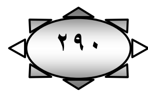
(١) دريد عبد القادر ، التربية الإسلامية وأثرها على النفس في الوقاية من الجريمة ، المجلة العربية للدفاع الاجتماعي ، العدوان (١٩- ٢٠) الرياض ، ١٩٨٥م ، ص٥١٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الطب، (٤٤٣/٤) . والطبراني في المعجم الكبير، (١٨١/١).

(٣) سورة القصص ، آية: ٧٧.

(٤) محمد منير مرسي ، مرجع سابق ، ص٤٤.

(٥) المرجع السابق ، ص٤٢.



إضافة لما سبق فإن هناك مجموعة من الأهداف للتربية الإسلامية تحقق الهدف الأسمى لبناء خير أمة أخرجت للناس من حيث العقيدة والفكر والسلوك والتقدم والحضارة وهي كما يلي :

١- تكوين روح العقيدة الإسلامية القوية الدافعة إلى السلوك بموجبها.
٢- تكوين روح الأخلاق السامية الخيرة.
٣- تكوين روح الأخوة الإسلامية .
٤- تكوين الوعي بوحدة حياة الأمة وبوحدة مصالحها العامة .
٥- تكوين روح الخضوع للنظام الإسلامي.
٦- تكوين روح التعلق بالأمة الإسلامية.
٧- تكوين روح العدالة الاجتماعية الإسلامية.
٨- تكوين روح التعاطف والتراحم والمحبة والمودة الإسلامية.
٩- تكوين روح التعاون والتناصح والتواصي بالحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
١٠- تكوين روح الجهاد والكفاح من أجل حماية الأمة في دينها وشعبها وممتلكاتها .
١١- تكوين روح التقدم العلمي والحضاري حتى تكون الأمة الإسلامية أعلى من غيرها [(١)].

لقد كان من أهم سمات التربية الإسلامية ابتعادها عن القسوة ، وكان من أسمى أهدافها هو إنماء شخصية المسلم بما يعزز ثقته بنفسه ، وعند ذلك يكون احترام المسلم لأخيه المسلم ، فيؤمن بالحريات الأساسية للجميع عن طريق إظهار التعاون والمحبة لكل المسلمين ، وهذا بدوره يساهم

(١) مقداد يالجن ، منابع مشكلات الأمة الإسلامية والعالم المعاصر ودور التربية الإسلامية وقيمها في معالجتها ، ص٦٢.

في تحقيق الوقاية من الانحراف ومن الجريمة لأن الجميع يشعرون برابطة العقيدة والدين بينهم [(١)].

وبناءً على ما سبق من استعراض لماهية التربية الإسلامية ،وأهم أهدافها تنحو الدراسة إلى التركيز على أهم مؤسسات المجتمع وبيان دور كل منها في تحقيق الأمن بالوقاية من الانحراف الفكري مع التركيز على دور كل منها في تحقيق التربية الإسلامية ومبادئها وأهدافها وقاية كانت للنشء أم علاجاً.



المطلب الثاني

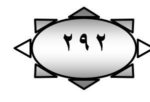
دور الأسرة

الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني ، كما إن الإنسان عند ولادته لا يدرك شيئاً من أمور دنياه ، وليست لديه القدرة على التمييز بين الخير والشر ، أو الصواب والخطأ . وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [(٢)].

---

(١) دريد عبدالقادر ، مصدر سابق ، ص٥١٥.

(٢) سورة النحل ، آية:٧٨.



وفي ذلك دلالة واضحة على أن الإنسان يتعلم كل شيء فيما بعد ولادته ، وعندها يستطيع بما أوتي من ملكة العقل ، ونفاذ البصيرة أن يميز بين النافع والضار ،والاعتقاد والفكر السليم والاعتقاد والفكر غير السليم والسلوك السوي وغير السوي ، والأفعال المقبولة اجتماعياً وغير المقبولة [(١)].

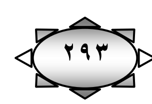
ولا يزال الكثيرون في مجتمعاتنا العربية والإسلامية يعتقدون أن وظيفة الأسرة الأساسية تجاه الأطفال تنحصر في إنجاب الأطفال ، وإطعامهم ، وإسكانهم ، وتلبية حاجاتهم المادية ، لكن واقع الأمر مخالف لذلك تماماً لأن وظيفة الأسرة في يومنا هذا تتعدى ذلك بكثير ، حيث إن الوظيفة الأهم هي التربية الاجتماعية ، أو " الوظيفة الوقائية " ، أو وظيفة التطبيع الاجتماعي ، والتي أساسها الدين الإسلامي وذلك من ناحية التربية، والتعليم ، والتوجيه ، والتهذيب الأخلاقي ، ومساعدة الأطفال على النجاح، وحمايتهم من الوقوع في براثن الجريمة والجنوح والانحراف ، أي الحرص كل الحرص على إعدادهم للحياة المستقبلية إعداداً نموذجياً وحمايتهم ووقايتهم من كل أشكال الانحراف [(٢)].

ولذلك تعتبر مرحلة الطفولة أهم مرحلة في حياة الإنسان من حيث إنه في هذه الحالة يتلقى تجاربه الأولى في الحياة ،يقول (الغزالي) رحمه الله : الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش عليه ، ومائل إلى كل ما يُمال إليه ، فإن عُوِّد الخير وعلمه نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه ، وكل معلم له وكل مؤدب ، وإن عُوِّد الشر أو أُهْمِل ، شقي وهلك ،

---

(١) على سلطان الكواري ، الوقاية من الجريمة في الشريعة الإسلامية ، ص٨١.

(٢) أحسن طالب ، الأمن الفكري ، ص١٠٥.



وكـان الـوزر في رقبـة القـيّم عليـه ، ورقبـة مـن أهملـه ، ويتحـتم أن يُـصان الصبي عن الآثام ، وأن يُعلَّم محاسن الأخلاق ويُحْفظ من قرناء السوء [1].

و الأسـرة إذا أسـاءت التربيـة والتنـشئة الـصحيحة، فإنهـا بـذلك لا تسيء إلى نفسها فحسب ، بل إن الأمر يتعدى إلى الإساءة للمجتمع ككل، وتكـون بـذلك أيضاً قـد زرعـت بـذور مـا يمكـن أن يزعـزع المجتمـع ، ويُخـل بطمأنينته وأمنه [2].

ولا مُنازع في أن الأسرة لها وظيفة وقائية ، ولا جِدال في أنها تقوم بهذه الوظيفـة مـن خـلال مـا تـوفره لأطفالهـا مـن تربيـة وتنـشئة صـالحة، ورعايـة شـاملة، وتوجيـه صـحيح للأطفـال ، وكـشف مبكـر عـن الخلـل الـذي قـد يـصيب أحـد أطفالهـا ، والعمـل علـى مـساعدتهم في تقـويم أو عـلاج ذلـك الخلل[3] .

والدور الرئيس في عملية التربيـة والتنشئة الاجتماعية تتولاه الأسـرة ، حيث تقوم على شئون الأبنـاء منذ ولادتهـم ، بتهيئة المنـاخ الأسـري الإسـلامي الصحيح ، والذي يحقق للفرد فيما بعد الخير والفلاح ، وتنمية الوازع الديني والرقابـة الذاتيـة في نفـوس الـصغار ، وكـل ذلـك يجنـبهم التـورط في الـشُبه والاعتقادات الفاسدة و الجرائم والانحرافات السلوكية ، فمن يمتثل لأوامـر ربه ويجاهد نفسه وهواه فلا يمكـن أن يعتقـد مـا يغضب ربـه أو يتعـدى علـى أحد من خلقه بأي شكل كـان [4] ، قـال تعـالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنــوا قــو أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾ [5]

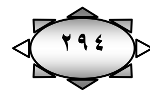
(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ص

(٢) أحسن طالب ، الأمن الفكري ، ص١٠٦.

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(٤)علي سلطان الكواري ، مصدر سابق ، ص٨٢.

(٥) سورة التحريم آية (٦) .



وعليه فالأسرة هي التي تقوم بالدور الوقائي للحيلولة دون وقوع الطفل في أخطار الانحراف (ومنه الانحراف الفكري) ، وهي التي تقدم الشروط والظروف المواتية لصيانة الطفل من السلوكيات الانحرافية ، وذلك بالسهر على تنشئته تنشئة صحيحة وسليمة ، ورعايته بطريقة وأسلوب لائقين بظروف الحياة ومتطلباتها ومستجداتها ومواكبة للعصر ، وذلك كله في إطار تهيئة الطفل للحياة المستقبلية وللدور الذي يجب أن يقوم به في المستقبل وهذا كله مرهون بالأسرة ، هل هي في الأساس قوية ومتماسكة ؟ ، وهل يسودها الوئام والمحبة والسلام [(١)].

وللأسرة بلا شك دور فاعل في تحقيق الوقاية من الانحراف الفكري ومن ثم من الانحرافات السلوكية المتولدة عنه ، وأهم ما يجب أن يقال ما يلي:

١- ضرورة التنشئة الإسلامية القويمة وتنمية الوازع الديني ، والرقابة الذاتية في نفوس الصغار لتجنيبهم التورط في الجريمة أو الانحراف فيما بعد.

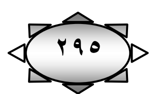
٢- إيجاد المناخ الأسري الذي تسوده الألفة والمحبة والمتمثل في الوالدين القدوة الحسنة ، والاهتمام بتنظيم حياة الأبناء ، وتوجيههم الوجهة الإسلامية الصحيحة.

٣- تزويد الصغار بما يتناسب مع أعمارهم وقدراتهم من المعلومات الأمنية وتشجيعهم على حب النظام ، ومراعاة الآداب العامة والأنظمة والالتزام بها.

٤- تعويد الأبناء على تحمل المسؤولية منذ الصغر.

---

(١) أحسن طالب ، المصدر السابق ، ص١١٩.



٥- عدم إهمال تربية الأبناء ، وعدم إيكال ذلك إلى المربيات ليقمن على شئونهم ، لما لذلك من آثار سلبية وسيئة على الأطفال والعائلات ، من حيث اكتسابهم لاعتقادات ولعادات وسلوكيات غير حميدة [(١)] .

٦ – تعويد الأبناء على التمحيص وعدم تلقي كل ما يُقال ويُسمع تحسباً لأفكار منحرفة وسلوكيات مشينة .

ويذكر أحد الكتاب مجموعة كبيرة من التوجيهات الإسلامية الهامة نذكر منها:

١- سوف نخسر كثيراً إذا اتخذنا من التربية أداة لتوريث الأبناء كل ما ورثناه عن أسلافنا دون تمحيص أو تدقيق أو اختيار.

٢- ضرورة أن يشعر الأبناء أن وظيفة الأب ليست فقط جباية الأموال ، ولا وظيفة الأم مجرد القيام بأعمال المنزل ، بل يتعدى ذلك كثيراً من بسط نفوذهما على الأولاد بالتربية الصالحة والقدوة الحسنة وتبيين المنهج والطريق الصحيح المستقيم.

٣- إن أول ما ينبغي للأبوين – ولا سيما الأم – تلقينه للطفل هو التعرف على الله سبحانه وتعالى ، وضرورة الإخلاص له في السر والعلن.

٤- ضرورة غرس أصول الاعتقاد الصحيح في ذهن الطفل ليشب سوياً عقدياً وسلوكياً وإيمانياً .

٥- وجوب تدريب النشء على التقيد بالسُنَّة النبوية وآدابها من أقوال وأفعال أو تقارير لأن هذا من شأنه أن يُبطل الكثير من محاولات الغزو الفكري النفَّاذ على عقل ووجدان النشء بقيم بديلة وفاسدة.

٦- يجب أن تولي الأسرة اهتماماً كبيراً بالمراهق ، حيث إن هذه الفترة من عمر الابن تشكل منعطفاً خطيراً ، وقد يتعلق بأفكار منحرفة

---

(١) علي سلطان الكواري ، مصدر سابق ، ص٨٣- ٨٤.



ويعتنقها وترسخ فيه دون شعور من الأسرة ، وهنا يأتي دور الرقابة الفعالة على الأبناء وبالذات في هذه الفترة.

٧- ضرورة اهتمام الأمهات بتربية بناتهن وتنشئتهن إسلامياً بشكل صحيح حتى نضمن عدم نفاذ المؤثرات الخارجية إلى ذهنية البنت (١).

ولعل أهم مسئوليات الأسرة ما سنذكره في النقاط التالية:

١- بمقدار دقة كلا الزوجين في حسن اختيار الطرف الآخر وحرصه على أن يكون من سلالة طاهرة ، ومنبت صالح ، وعلى أن يكون صاحب خلق ودين وخالياً من العيوب الوراثية الجسمية والعقلية والخلقية بمقدار هذه الدقة وهذا الحرص يتحقق في النسل الآثار التربوية الصالحة للوراثة ، ويُعصم من آثارها السيئة.

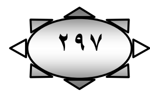
٢- العمل على تطبيق التربية الإسلامية في البيت قولاً واعتقاداً وسلوكاً ، مع اتفاق الوالدين على مبدأ واحد وخطة واحدة في تربية أولادهما حتى لو اختلفا في الرأي تفادياً لتعدد السلطات ، وبالتالي تشتت وتذبذب الأولاد ، ومن ثم انتزاع الثقة وقبول كل فكر أو رأي أياً كان مصدره وأياً كان قائله .

٣- وظيفة الأسرة في رعاية النمو تبقى ممتدة لمراحل النمو التالية لأن علاقة الولد بأسرته المسلمة لا تنقطع ، وتكون وظيفة الأسرة أهم وأكبر عندما ينتقل الابن إلى المؤسسات التعليمة والاجتماعية التي يؤثر فيها ويتأثر بها وبمن فيها من أطياف وأفكار مختلفة وملاحظة ما يكتسبه من أنماط سلوكية في تلك المؤسسات (٢).

ولذلك فقد نبه القرآن الكريم إلى بعض ما يجب على الوالدين تجاه أولادهم في شأن تربيتهم التربية الصالحة في أسلوب رائع من خلال وصايا

(١) عبدالكريم بكار ، دليل التربية الأسرية ص١٩.

(٢) مبارك الرشود ، مقومات الوقاية من جرائم الحرابة في التشريع الإسلامي ، ص١٠٦.



لقمان الحكيم ومواعظه لابنه ، فيقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يبُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1]. ﴿ يبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [2].

والقرآن يدعو إلى الترابط الأسري ، ومن ذلك مودة الأصول والفروع من الأرحام ، والإحسان إلى الوالدين وخفض الجناح لهما ، فقال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى .... ﴾ [3] ، وقال سبحانه: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ [4].

كما يجب على الوالدين التدرج في لمس الناحية الجنسية عند الولد بحسب مراحل عمره حتى الزواج ، فينتقل من المجاز إلى التلميح ثم التصريح بعد البلوغ ، مع الحرص على آداب الاستئذان في البيت وغيره ، مع غض البصر والتحذير من المخاطر والأخطار والمثيرات الجنسية ، وصرف الولد إلى شغل وقت فراغه بالمفيد من الأعمال كالعلم والرياضة والسباحة ؛ لأن في هذا استقرار في التفكير وقدرة على معرفة الخير من الشر، فالابن بحاجة إلى كل ما يعينه على معرفة الحق من الباطل ، وعند توافر القدرة

---

(١) سورة لقمان ، آية: ١٣.

(٢) سورة لقمان ، آية: ١٦- ١٩.

(٣) سورة النساء ، آية : ٣٦.

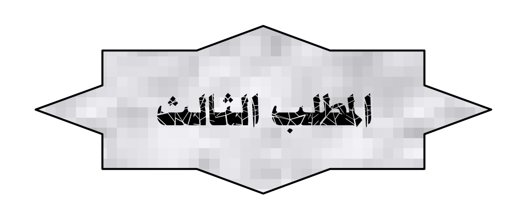
(٤) سورة الإسراء ، آية: ٢٣- ٢٤.

المالية يعتبر التبكير بالزواج استقرار في التفكير و عصمة من الانحراف ، وتحصين للجنسين ، وتحقيق للعفة والصون [1] ،

وفي الختام يمكن أن نجمل أثر التفكك الأسري على انحراف النشء فكرياً ، وبالتالي التأثير على سلوكياتهم ، في أن الوسط الأسري غير اللائق ، يكون بطريقة أو بأخرى مرجعاً للطفل في مجال تعلم الفكر المنحرف أو ترسيخه أو ترسبه وكذلك تعلم السلوك الانحرافي أو الإجرامي، أو تعلم بعض الأنماط السلوكية غير السوية ، أو تعلم التصرفات غير المقبولة أخلاقياً واجتماعياً ، ولا شك أن الصراعات الداخلية ، والخلافات بين الأبوين تنعكس بالضرورة على الأطفال ، ورغم أن الكثير من الآباء لا يولون لهذا الموضوع الأهمية الخاصة ، رغم أن النهاية السلوكية للطفل هي الأساس وهي الانعكاس للطريقة التربوية التي كانت تتبعها الأسرة في تنشئتها لأطفالها[2] .

(١) النحلاوي ، مصدر سابق ، ص٦٠ وما بعدها.

(٢) أحسن طالب ، مصدر سابق ص١٢٠.



دور المؤسسات التربوية والتعليمية

المقصود بالمؤسسات التربوية والتعليمية تلك الأجهزة المعنية بتأدية غاية معينة حددها المجتمع ، وهي تلبية أهداف التربية الإسلامية ، وتلبية حاجات الأفراد والجماعات في المجتمع الإسلامي ، وتقديم المساعدات والخدمات في كافة الجوانب التربوية والتعليمية [1].

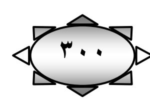
والمدرسة هي قبل كل شيء مؤسسة اجتماعية هادفة ، وظيفتها القيام بالعملية التعليمية التي أعدها المجتمع لهذا الغرض ، وإلى جانب قيام المدرسة بدورها التعليمي أصبحت تقوم الآن بتعليم السلوك المقبول اجتماعياً ، والأخلاق السوية ، ولولا ذلك ما أصبحت المدرسة إجبارية لدى غالبية شعوب الأرض ، بل ربما مجرد الحضور إلى المدرسة مفيد جداً للطفل والناشئة ، نظراً لما يتعلمانه من علوم ومعارف مفيدة ، وضرورية لعملية التوافق الاجتماعي ، وللوقاية من الجنوح بشتى صوره وأنواعه [2].

ولا شك أن المدرسة هي بمثابة همزة الوصل بين البيت والمجتمع ككل ، حيث إن بيئة المدرسة تختلف تماماً عن بيئة البيت ، ففي البيت نجد الأسرة وهي الجماعة الأولية التي تحيط الطفل بالرعاية والاهتمام ، وتلبية حاجاته في سهولة ويسر ، ويعتمد الطفل فيها على الوالدين إلى حد كبير ، وتتميز هذه العلاقة الأسرية بالعمق والاستمرارية ، أما المدرسة فهي جماعة ثانوية ، والعلاقات فيها ليست على نفس الدرجة الموجودة في المنزل.

---

(١) أحمد فوزي الصاوي ، المؤسسات الاجتماعية العاملة في مجال رعاية الأحداث والفكر الإسلامي ص (٤٥) .

(٢) أحسن طالب ، مصدر سابق ، ص١٢٠.



ولذلك فإن هناك عدداً من الآراء ترى وتؤكد أن المدارس تقف خلف أسباب الجنوح والانحراف ، لأنها لا تقوم بدورها كما يجب ، وهناك بعض الرؤى المتشددة تشير إلى أن المدارس هي أخطر أجهزة المجتمع إيجاباً أو سلباً ، حيث من المفترض أن تشيع الفضيلة من المدرسة ، ومنها أيضاً يفترض أن تشيع الرذيلة ، وفيها يمكن إعداد الفكر السليم أو ضده ، ومنها أيضاً يتخرج المواطن الصالح أو غير الصالح ، وهناك قول شهير مفاده أن الطبيب قد يقتل مريضاً واحداً بينما يستطيع المعلم أن يقتل شعباً كاملاً ، والجاهل قد يكون ضرره محدوداً مقارنةً بمعلم جهول [(١)].

بل إن مجرد الدخول إلى الصف المدرسي في أوقات معينة ، والانصراف في أوقات معينة يعلم الطفل معنى الوقت ، وقيمته ، وأهميته ، ويعلمه النظام ، وأهمية احترامه ، بل ويعلمه الاستقامة والتوازن والانضباط بمفهومه الواسع ، وكل هذا كفيل بتعليمه احترام الضوابط والأنظمة أياً كانت ، وبذلك يحوز على قدر كبير من الوقاية [(٢)].

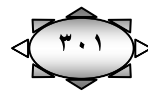
وتشير الإحصاءات إلى أن الطفل يقضي ما بين ستة أشهر إلى سبعة أشهر سنوياً في المدرسة ، وذلك بمعدل خمسة أيام أسبوعياً ، وبمعدل قد يتراوح بين خمس إلى ست ساعات يومياً ، وهذا الوقت يعني أن تأثير المدرسة على الطفل لا يعادله أي تأثير آخر ، فالمدرسة كمؤسسة اجتماعية تؤثر على التلميذ ، والمعلم (كمعلم أولاً وكشخصية ثانياً) يؤثر على فكر وسلوك الطفل التلميذ ،كما أن المناهج والبرامج التعليمية (بكل ما تحمله) تؤثر هي الأخرى على فكر وسلوك الطفل التلميذ ، بالإضافة إلى زملاء الدراسة والنظام المدرسي السائد [(٣)].

---

(١) محمد بن شحات الخطيب ، الانحراف الفكري ، ص١٢٥.

(٢) أحسن طالب ، مصدر سابق ، ص١٢١.

(٣) المصدر السابق ، ص١٢٢.



ويجب التأكيد على أن التربية الإسلامية بكل تفاصيلها وأهدافها سيكون لها مردود تربوي مؤثر جداً في تنمية وتنشئة الأجيال وهم في حالة استقرار فكري وسلوكي يحول بينهم وبين أي انحراف من أي شكل أو لون.

ولابد أن نؤكد أيضاً على أن المدرسة هي خط الدفاع الأول عن قيم ومقدرات المجتمع بما تحتويه من عقيدة ، ومن شريعة ، ومن سلوكيات إسلامية ، و أنه لا مجال لصقلها وتنميتها إلا من خلال مؤسسات التعليم المختلفة.

كما أن المدرسة باعتبارها (الحقل التجريبي الأول) [(١)] لشخصية التلميذ واستعداداته الجسمية والنفسية والإدراكية وميوله ، فإنها هي المكان الرئيس الذي نستطيع من خلاله اكتشاف النوازع والميول والبواعث الانحرافية ، وتقويمها في سن مبكرة ، مما يساعد على الحيلولة دون بلوغ هذه الميول والنوازع حدود الأفعال الانحرافية أو الإجرامية ، أو الوصول بصاحبها إلى حافة السلوك الجانح ، أو الإجرامي ، وذلك عن طريق التقويم والمساعدة الاحترافية من قبل المختصين داخل المدرسة وخارجها.

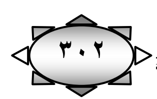
وعلى ضوء ما سبق يمكن سرد بعض الوظائف التي يجب أن تؤديها المدرسة في خدمة الدعوة إلى الاعتدال الفكري والسلوك السوي :

١- اختيار المنهج الدراسي المؤسس على الأصول الإسلامية ، والدعوة إلى الإسلام ، والتحذير مما يخالفه أو يسئ إلى عقيدته ومبادئه السامية.

٢- أهمية اعتناء المدرسة بالطالب ، باعتباره الهدف من العملية التعليمية كلها ، مع وجوب أن يراعى في تربيته أصول العقيدة الإسلامية والتي تصوغ الطالب صياغة ربانية صحيحة ، وتصبغه بالصبغة الإسلامية الحقة.

---

(١) المصدر السابق ، ص١٢٣.



٣- اختيار المعلم الصالح لأنه حجر الزاوية في العملية التربوية [1] .

وهذا المعلم لا بد أن تتوفر فيه صفات كثيرة ومنها :

أ) أن يكون مقتدياً بمعلم البشرية ﷺ الذي قال فيه رب العزة : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [2] .

ب) أن يكون مخلصاً في القول والعمل ، قال تعالى : ﴿**وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [3]

ت) وأن يكون المعلم تقياً ورعاً مستقيماً فكراً وسلوكاً ، وقدوة لطلابه ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ** ﴾[4].

ث) أن يكون ليناً في طبعه ، ولا يعنفهم أو يوبخهم ، فعن عائشة رضي اللّه عنها عن النبي ﷺ قال: { إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه } [5].

ج) أن يكون حكيماً في تعليمه ودعوته : ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [6]

هذا أمر ، والأمر الأكثر أهمية هو الإدارة المدرسية التي يجب أن تكون على بينة من حساسية الدور المُلقى على عاتقها ، هو دور من الأهمية بمكان ، بحيث إنه من الممكن أن يفسد جهوداً كثيرة إذا

(١) حمود الرحيلي ، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري ، ص٧٣.

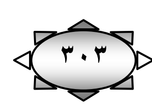
(٢) سورة آل عمران ، آية: ١٦٤.

(٣) سورة البينة ، آية: ٥.

(٤) سورة الشورى ، آية: ١٥.

(٥) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب،(٢٠٠٤/٤) .

(٦) سورة النحل ، آية: ١٢٥.

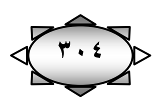


لم يؤد على الوجه المطلوب ، ويمكن تلخيص دور إدارة المدرسة في تحقيق الأمن الفكري ومقاومة الانحراف داخل المدرسة كالتالي:

١- قيادة فريق التوجيه والإرشاد في المدرسة من أهم مهام مدير المدرسة لضمان أداء العمل بمنتهى الجدية والانضباط .
٢- تهيئة الظروف المواتية لعمل المرشد الطلابي ومساعدته في تجاوز العقبات ، وحل المشكلات التي قد تعترض عمله ، وعدم تكليفه بأعمال إدارية جانبية.
٣- تيسير الإمكانات المادية لتطبيق برامج التوجيه والإرشاد.
٤- الاهتمام بجماعات النشاط ذات العلاقة كالإذاعة المدرسية والصحافة والمسرح المدرسي.
٥- مراقبة ومتابعة كل أشكال الخلافات والصراعات التي تقع بين الطلاب ودراستها وحلها بالشكل الملائم .
٦- عقد الندوات واستضافة العلماء والمختصين ذوي العلاقة بمجالات الانحراف الفكري.
٧- عقد المسابقات الثقافية والمعلوماتية بين الطلاب لشغلهم بالمفيد والهادف [(١)].
٨- متابعة أي سلوكيات غير سوية ، أو أي أفكار وميول غير معتادة .
٩- توجيه الطلاب دوماً إلى التربية الإسلامية الصحيحة ، وتوجيههم كذلك التوجيه الإسلامي المثمر والبناء ، وتقويم الطالب إذا بدر منه خلل.

---

(١) عبدالرحمن الدهان ، مدى فاعلية مديري المدارس في مجال التوجيه والإرشاد الطلابي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود ، ص١٧- ١٨.



١٠- التأكيد على منسوبي المدرسة باتباع الأخلاق الإسلامية النبيلة ، وإشاعة الفضيلة فيما بين منسوبي المدرسة ، والنظر إلى أن يكونوا أسرة واحدة تسهم في خدمة المجتمع [١] .



دور المسجد والمؤسسات الدينية

يعتبر المسجد أول وأقدم وأهم مؤسسة إسلامية كانت وما تزال وسيبقى لها الفضل الأكبر والأثر الأعظم في توجيه وتقويم عقيدة وفكر و سلوك الأفراد ، وحثهم على الاستقامة والتوازن والاعتدال والطاعة .

ويُعد المسجد ضرورة من ضرورات الدين الإسلامي، وقد عرف الرسول ﷺ ضرورة المسجد في الحياة الإسلامية، فكان أول مشروع فكر فيه في مدة إقامته القليلة في بني سالم بن عوف وهو في طريقه إلى المدينة ، أن بنى مسجد قُباء، وهو الذي نزل فيه قول الله تبارك وتعالى : ﴿**لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أحق أن تقوم فيه** ﴾ [٢] .

كما أن أول مؤسسة أنشأها بعد استقراره بالمدينة مسجده ﷺ وكان يعمل فيه بيده ويحمل الأحجار بنفسه . فكان هذا المسجد النبوي مدرسة الدعوة الإسلامية الأولى ، ودار الدولة الإسلامية الكبرى [٣] .

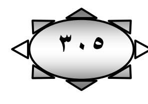
وإذا كانت الدراسة تتحدث عن المسجد فليس إلا لكونه رمزاً (للشعائر الدينية) ومكان اجتماع المسلمين خمس مرات في اليوم ، ولعل من أهم مهام المسجد والمؤسسات الدينية ما يلي :

---

(١) حمود الرحيلي ، مصدر سابق ن ص٧٢.

(٢) سورة التوبة ، آية: ١٠٨.

(٣) الرشود ، مصدر سابق ، ص١١١.



١/ تأصيل القيم الاجتماعية النابعة من الشريعة الإسلامية ، وإبراز أهمية التكامل الاجتماعي الذي يفرضه الإسلام لضمان أمن الفرد والمجتمع فكرياً وسلوكياً.

٢/ تقوية الأدوار الإيجابية للتنشئة الدينية خاصة في مجال ضبط الوسائل الشخصية الذاتية المؤدية للانحراف أو ارتكاب الجريمة.

٣/ تقوية الجانب الديني في نفوس الناس بما يتلقونه من وعظ وإرشاد وتوجيه يعصمهم من انحراف العقيدة والفكر و من الوقوع في المعاصي ، ويجعلهم من عناصر الخير في المجتمع.

٤/ تزويد المصلين بشعور التضامن والأخوَّة في اجتماعهم للصلاة ، والرغبة في معاونة بعضهم بعضاً ، ونزع الرغبة في الاعتداء والتعدي على حقوق الغير من خلال اجتماعهم خمس مرات يومياً للصلاة.

٥/ الإرشاد والتوجيه إلى الفضائل الإسلامية ، وبيان محاسن السلوك الإسلامي الصحيح بين الفرد وأخيه ، وبين الفرد وسائر قطاعات المجتمع وجماعاته.

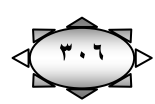
٦/ نشر الوعي الديني بين أفراد المجتمع . الأمر الذي يُقرب الناس من دينهم، ويُحبب إليهم الالتزام بأحكامه عن فهم وإيمان فيقيهم ذلك شر الانحراف [١] .

٧/ تذكير الناس بيوم القيامة يجعلهم يراقبون الله في السر والعلن ، فيبتعدون عن كل عقيدة فاسدة أو فكر منحرف أو مسلك آثم .

٨/ توجيه الناس إلى الالتزام بأوامر الدين واجتناب نواهيه ، وكلها تبعد المرء عن الانحراف والجرائم .

---

(١) عبدالله عبدالعزيز اليوسف ، المؤسسات المجتمعية والأمنية ، رؤى مستقبلية ، ورقة مقدمة إلى ندوة المجتمع والأمن بكلية الملك فهد الأمنية ن ١٤٢٥هـ ، ص٩.



٩/ ترشيد أعمال الخير والبر بتوجيه الجمعيات الدينية بإنشاء المعاهد الشرعية للذكور والإناث لإيجاد فرص عمل مناسبة.

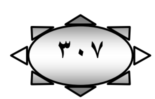
١٠/ تقديم الخدمات إلى أفراد المجتمع المعوزين، والتوجيه والتربية الدينية التي تقوم على الاعتدال والوسطية و تنمية الأخلاق الحميدة، والتصدي للفساد والرذيلة وسيادة أحكام الشريعة ، والعمل على منع الانحراف والجريمة عن طريق تهذيب النفوس، وتكوين رأي عام فاضل مضاد للانحراف بشتى صوره وأشكاله، وذلك من خلال المحاضرات والندوات والنشرات والمجلات التي تصدرها المؤسسات الدينية .

١١/ العمل على توجيه الخدمات نحو الفئات الخاصة كالأحداث والمعوقين الذين هم بأمس الحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويبين لهم الطريق المستقيم(١) .

و هذه الجهود التي تقوم بأدائها المساجد والمؤسسات الدينية في تقديم العون والمساعدة لفئات المجتمع المعوزة كالأيتام والأرامل والمحتاجين والعاطلين عن العمل ، يُقلل إلى حد كبير من احتمالات وقوع هذه الفئات فريسة للجريمة والانحراف نتيجة العوز والفقر والحاجة. بالإضافة إلى تقليل الفارق بين الغني والفقير مادياً بسد حاجة هؤلاء من مال الأغنياء ، ومعنوياً بإحساس الفقير أن الغني في خدمته وأنه شريك في ماله من خلال الزكاة والصدقات والمنح الخيّرة .

ولا شك أن المسؤولية الكبرى في إحياء رسالة المسجد تقع على عاتق رجال الدعوة من المفكرين والعلماء والخطباء وقادة الفكر الإسلامي، وأصبح من الضروري الارتقاء بالمستوى العلمي والمادي لأئمة المساجد ، حتى يصبحوا قادة فكر وتوجيه ، وحتى يظفروا بثقة واحترام الشباب بشكل خاص وحتى يمكن أن يتفرغوا للعمل في المسجد إمامةً وخطابة وتدريساً

(١) اليوسف ، المصدر السابق ، ص٩.



وتعليماً ووعظاً وإرشاداً ، وحتى يستطيعوا القيام بدورهم المنوط بهم في توجيه عقول الناس ومنع كل عوامل الانحراف والجنوح.

والدارس لسيرة النبيﷺ وسير الخلفاء الراشدين والتابعين لهم بإحسان، يجد أن النبي الكريم كان يدعو المسلمين إلى المسجد عند كل حدث مهم يخبرهم به ، أو واجب يدعوهم إليه حين يوجه الحملات للجهاد[، فيدعو إلى البذل والنفقة ، كما يدعو إلى المشاركة في الجهاد.

وتجئ صلاة الجمعة ليكون اللقاء الأكبر ، والاتصال الأعم بعد الصلوات الخمس ، تجمع المسلمين قبلة واحدة ، وإمام واحد ، وآمال واحدة . وفي هذا الاجتماع تظهر وحدة الأمة الإسلامية في أهدافها وغاياتها وعقائدها ، وهذا جدير بأن يرفع معنويات المسلمين لأداء دورهم الكبير ، ورسالتهم العظيمة في الحياة .

إن خطبة الجمعة لها أهميتها في دعوة المسلمين إلى أداء الواجب، وتحذيرهم من تركه ، وتنبه الناس إلى مزالق الانحرافات والمخاطر المترتبة عليها ، فتكوِن رأياً عاماً في كل بيت مسلم ، وبهذا تلعب خطبة الجمعة دوراً إعلامياً وتوجيهياً في منتهى الأهمية . [1]

---

(١) عبدالوهاب عبدالواسع ، الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة ، ص٢١٠ وما بعدها.





المطلب الخامس

دور وسائل الإعلام

الإعلام هو نشر الكلمة أو الخبر ، أو الرأي أو الفكر ، أو الصورة على عامة الناس بإحدى الوسائل الآتية:

أ) الكتابة سواء أكانت في كتاب أو صحيفة يومية ، أو مجلة أسبوعية ، أو نشرة عامة.

ب) الإذاعة المرئية (التلفاز).

ت) الإذاعة المسموعة (الراديو) [(١)].

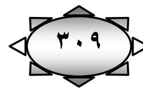
ومن هنا تبدو أهمية الإعلام في السيطرة على الناس وتوجيه مشاعرهم الوجهة التي يراها الموجّه إن كانت خيراً فخير ، وإن كانت غير ذلك فهي لما وجهت إليه [(٢)].

وقد كثرت وسائل الإعلام في عصرنا الحاضر ، وتنوعت أساليبها ، واستغلها أعداء الإسلام في ترويج إفساد العقول وتدنيس الأفكار،

---

(١) حمود الرحيلي ، تحصين المجتمع المسلم ، ص٨٤.

(٢) عبدالله الأنصاري ، رسالة الإعلام في بلاد الإسلام وعلاقتها بالدعوة الإسلامية ، ضمن بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة المنعقد في بالجامعة الإسلامية ، ١٣٩٧هـ ص١.



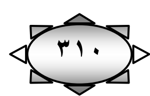
والتشويش على الدعوة ، وأصبح لزاماً على المسلمين أن يدافعوا عن دينهم ، وأن يبينوا حقائقه للناس جميعاً[1] .

ومن هنا فإن الإسلام أصبح يواجه غزواً رهيباً محملاً بوسائل الفساد للمسلمين من وسائل الإعلام ، من فضائيات ، وصحف ، ومجلات ، وكتب، ومسرحيات ، وإذاعات ، وأفلام ، ومسلسلات ، وغيرها ، ولعل خطورة هذا الغزو أنه يدخل إلى عقول الشباب وقلوبهم دون أن يلتفت الكثير منهم إلى ما دخل عليه من أفكار مسمومة ، ولذلك فإن وسائل الإعلام هي عدو خفيّ يحارب المسلمين بالكلمة والصورة والفكر ، وهي أسلحة أشد خطورة من الجيوش الزاحفة بأسلحتها المادية.

ومن الملاحظ أن وسائل الإعلام صارت أشد ضراوة عما كانت عليه من قبل ، وذلك من عدة وجوه أهمها :

- المقدرة على ربط الفكرة المطروحة ببُعدي الزمان والمكان.
- المقدرة على ترسيخ استيعاب الفكرة المطروحة.
- المقدرة على توسيع دائرة الفكرة المطروحة من زوايا وأبعاد أخرى.
- المقدرة على الاحتفاظ بمضمون الفكرة المطروحة على مدى زمني ممتد.
- إن الرسالة الإعلامية تساعد على اكتساب المهارة أو تكوين الاتجاه حول فكرة ما بشكل أسرع،من خلال الغزو الفكري الذي لم يجد باباً أوسع من وسائل الإعلام للنفاذ منه ، إذ المدخل الإعلامي هو المدخل الذي يصعب بل يستحيل سد أبوابه بشكل محكم ؛ لأنه إحدى سمات العصر التي تميزه عن كل عصر سابق ، ومن الواضح أن

(١) الرحيلي ، مصدر سابق ، ص٨٥.



مستويات المؤسسات الإعلامية تتمايز من ثقافة إلى أخرى ، ومن مجتمع إلى آخر وفقاً لآليات التميز المتوفرة عن طرف دون آخر [(١)] .

إن المؤسسات الإعلامية يمكنها أن تقوم بدورين مختلفين هما الدفاع والهجوم ، لكنها لا تستطيع أن تتقن أداء هذين الدورين إلا في ظل مقومات وإمكانات بشرية وفنية وفكرية عالية جداً ، وعادة ما تكون المجتمعات الأقل نمواً عرضة لاستقبال المؤثرات الإعلامية الخارجية أكثر من غيرها ، وكثير من هذه المجتمعات ليس أمامها سوى أن تستقبل ما يوجه لها شاءت أم لم تشأ [(٢)] .

إلا أن هناك من يرى أن الإعلام الإسلامي عموماً ، والإعلام الأمني خصوصاً لا يستطيع أن يقوم بدور حيوي ومؤثر في مواجهة الانحراف الفكري ، إلا إذا توافرت له عدة عوامل أساسية ومساندة وهي:

١- بيئة تسمح بحركة الإعلام دون عوائق ، وضمن رؤية واضحة الأهداف والآليات مستمدة من الدين الإسلامي القويم.
٢- توافر الكوادر المؤهلة تأهيلاً عالياً والتي تجيد لغة الحوار، والبحث عن القواسم المشتركة بين الشعوب والدولة.
٣- قناة فضائية أو قنوات تخاطب الآخر بمضامين إنسانية من مفهوم الدين الإسلامي [(٣)] .

كما أن هناك عوامل متعددة قد تكون ذات تأثير سلبي على مواجهتنا للانحراف الفكري مثل :

---

(١) الخطيب ، مصدر سابق ص١٢١.

(٢) الخطيب ، مصدر سابق ، ص١٢٢.

(٣) سلطان الثقفي ، دور الإعلام والإعلان في مكافحة ظاهرة الإرهاب ، جامعة نايف العربية ص١٥.،

١- الاعتماد على مبدأ التعتيم الإعلامي لخدمة أغراض محدودة على حساب أمور جوهرية.

٢- الشروع في نقل وسائل إعلامية خاطئة عن الحدث أو الفكرة المطروحة.

٣- استخدام الأساليب الكاذبة أو المضللة في نقل وسائل إعلامية للجمهور.

٤- التآمر على إدخال مؤثرات إعلامية خارجية غير محمودة إلى البيئة الثقافية المحلية.

٥- المبالغات الإعلامية في ذكر أحداث معينة على حساب أحداث أخرى أكثر أهمية [(١)] .

ومن المعلوم أن نجاح الأجهزة الأمنية في مكافحة الإرهاب يعتمد على سرعة وكفاءة الاتصال ووصول المعلومة المطلوبة ، وأن دور الإعلام والاتصالات في مجال مكافحة الإرهاب يمكن إجماله في التالي:

١- وسائل الاتصال تتضمن وصول المعلومة بشكل رأسي وأفقي داخل الأجهزة المعنية بالمكافحة.

٢- أن الاتصالات هي حلقة التواصل المهمة بين الأجهزة المعنية بالمكافحة وبين مزودي الأجهزة بالمعلومات.

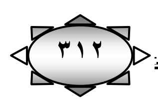
٣- عملية الاتصال تضمن التنسيق بين الأجهزة المعنية بالمكافحة.

٤- استراتيجية التعاون الدولي تعد الاتصالات أحد عناصرها الرئيسة.

٥- التصنت يعد أحد الوسائل للاتصال على الشبكات والخلايا الإرهابية. [(١)]

---

(١) الخطيب ، مصدر سابق ، ص١٢٢.



ولعل من أبرز الآثار الإيجابية التي حققها الإعلام الأمني في الوقاية من الانحراف ما يلي:

١- تقليص الرواج للعمليات الإرهابية والقائمين بها والحد من التأثير الإعلامي الذي يسعى إليه الإرهابيون ومن يتعاطفون معهم.

٢- تحسن مستوى أداء الإعلام الأمني على المستوى العربي ، وزاد التعاون في هذا المجال من حيث صياغة العديد من الاتفاقيات والاستراتيجيات مثل ميثاق الشرق الإعلامي الأمني العربي والإستراتيجية الإعلامية العربية للتوعية الأمنية والوقاية من الجريمة.

٣- عقد العديد من المؤتمرات بهذا الخصوص عن طريق مجلس وزراء الداخلية العرب.

٤- إقامة العديد من الندوات والحلقات العلمية وورش العمل.

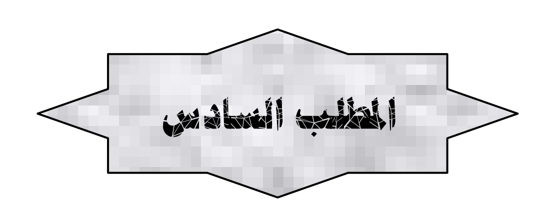
٥- إنتاج الكثير من الدراسات في مجال الإعلام الأمني من قبل جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، وتعميمها للتجارب العربية في هذا الخصوص.

٦- زيادة الاتصال والتعاون الاستخباراتي والمعلوماتي بين الدول العربية بعضها البعض ومع العديد من دول العالم.

وإن لم تكن هناك دراسات محددة لرصد مدى تأثير الإعلانات على الناس بعامة ، إلا أن المتتبع لذلك من خلال أحاديث الناس في مجالسهم ، والصحافة ، وبقية وسائل الإعلام يدرك حجم التأثير الإيجابي على اقتناعات الناس بشأن الأفعال الإجرامية الإرهابية ، وإدانة مرتكبيها ، وخروجهم

(١) محمد أنور البصول ، الاتصال وإسهامه في عملات الإرهاب ، ص٢٧١- ٢٩٢ في (الإرهاب والعولمة) جامعة نايف العربية ، نقلاً عن سلطان الثقفي ، دور الإعلام والإعلان في مكافحة ظاهرة الإرهاب ، جامعة نايف العربية ، ص١٦.

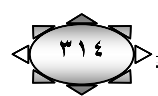
على الإسلام نصاً وروحاً ، بل تعدى ذلك إلى الإساءة التي ألحقها الإرهابيون بالإسلام والمسلمين [(١)] .



دور المؤسسات الاقتصادية

لعل من أهم الأسباب المؤدية للانحراف الفكري هي الظروف الاقتصادية ، فتفاقم المشكلات الاقتصادية في مجتمع ما من فقر ، وبطالة، وديون ، وارتفاع الأسعار مقابل قلة في الدخل ن يؤدي إلى إصابة

(١) الثقفي ، مصدر سابق ، ص١٨.



بعض أفراده بحالات من الإحباط واليأس ، وإحساس بالعداء تجاه المهيمنين على اقتصاد البلد [1].

ومما لا شك فيه أن العنف كثيراً ما يمارس من قبل أشخاص يعانون أوضاعاً اقتصادية سيئة ، ويشعرون بالفوارق الطبقية في المجتمع الذي يعيشون فيه ، وسوء توزيع الثروة الوطنية ، والاستيلاء على الأموال العامة بدون وجه حق ، مما يدفعهم إلى الرغبة في الانتقام ، واستعمال العنف في الاحتجاج على تلك الأوضاع الاقتصادية ، وإغرائهم بالأموال ،أو تضليلهم باسم الدين للقضاء على مسببات الفساد الاقتصادي ، وبالتالي سهولة إقناعهم بالأفكار المنحرفة وما يتبعها من عمليات إجرامية حيث يمثل الانتماء إلى هذه الجماعات المنحرفة مخرجاً مغرياً من تلك المشكلات الاقتصادية الصعبة [2].

وهناك الكثير من الدراسات التي أشارت إلى أن الغالبية العظمى من المنتمين إلى الجماعات المتطرفة ينتمون إلى فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين (١٨- ٣٧ سنة) [3].

ولعل المتغيرات الاجتماعية السريعة وغير المتوازنة التي تشهدها معظم المجتمعات الإسلامية هي أحد أهم أسباب الانحراف الفكري ، حيث يسيطر على العصر سمة التطور السريع والمتلاحق ، وحدوث فجوات بين الدول المتقدمة والدول النامية ، وعلى مستوى المجتمع الواحد توجد فجوات واسعة بين الطبقات في المال ، والشهرة ، وهذه التغيرات السريعة لا مكان فيها لمتخاذل ، وهنا يقع العبء على كاهل البناء النفسي للفرد الذي يشعر بالقلق على يومه وغده ، ولذلك نجد ظواهر متعددة يشعر الناس من خلالها

(١) محمد العميري ، موقف الإسلام من الإرهاب ، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(٣) العموش ، أسباب ظاهرة الإرهاب ، ص١٠٣.

علـى انخفـاض الـشعور بـالأمن ، فيـسعى الـبعض إلى امـتلاك أكـبر ثـروة بـصرف النظـر عـن المـصدر ، وكـل ذلـك يـسحب مـن رصيد الـشعور بـالأمن والسكينة ، وتؤدي إلى فقدان الإحساس بالسعادة والرضا .

ولعل من أهم العوامل المؤدية إلى الانحراف كذلك انتشار البطالة بين أفراد الأمة وخصوصاً بين أوساط الشباب، ومن المعروف أن الشباب طاقة جبارة يجب أن نحسن استغلالها ، وإلا فسوف يتم تفريغ هذه الشحنة من الطاقة في أعمال تتنافى مع قيم ومقدرات المجتمع المسلم ، كما أن ضعف الـدخل سـيؤدي إلى نفـس النتيجـة ، حيـث لـن يـستطيع رب الأسـرة ملاحقـة المتطلبات الأساسية لأفراد أسرته ، مما يؤدي إلى التشرد والضياع ، وينزلق الأبناء إلى الانحراف والإجرام ، وقد تدفع الظروف الصعبة التي تعيشها العديد من الأسر تحت خط الفقر على محاولة الحصول على المال بأي وسيلة غير شرعية [(١)] .

وهنـا يـأتي دور الـشريعة الإسـلامية ، حيـث إن تطبيقهـا بـشكل عـام ، وفي الجوانب الاقتصادية بشكل خاص يجعل المجتمع يسلم من تلك المظاهر والأسـباب المؤديـة إلى الانحـراف ، وبالتـالي إلى الجريمـة بكـل أشـكالها وأنواعها [(٢)] .

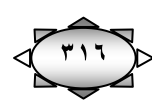
ولتحقيـق تـراحم المجتمـع وتكافلـه وخلـق بيئـة متوازنـة يـسودها الحـب والإخاء والبعد عن الحقد والأنانية اتخذت الشريعة عدة إجراءات ووسائل أهمها :

أ) الزكاة : وقد أمر بها الشارع وحدد مصارفها في قوله سبحانه : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ للفقراء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ**

---

(١) إبراهيم الشافعي ، المسؤولية الأمنية ودور المؤسسات التعليمية ، ورقة عمل ، ص٦ ـ ١٢ .

(٢) اللويحق ، مشكلة الغلو في الدين ، ج٣ ، ص١٠١٠.



وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [1]. وبالتالي فهو يضمن تحقيق حد الكفاية لطائفة من المجتمع ، وهي الطبقة التي لا تجد كفايتها ، مع الحض على العمل لهؤلاء تحقيقاً لقوله ﷺ: { اليد العليا خير من اليد السفلى } [2].

وقد جاء النهي عن دفع الزكاة للأغنياء والقادرين حتى لا يكون ذلك سبباً في اتكالهم وعدم التزامهم بدفع حق الله فيما آتاهم من رزق [3].

ب) ضمان الدولة للعاجزين : والدولة المسلمة ملزمة شرعاً بسد حاجات أفرادها العاجزين عن تدبير ما يكفيهم ، وهذا داخل تحت مسئوليتها العامة، فالرسول ﷺ قال: {ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته ... } [4]، وفي الحديث الصحيح{من ترك مالاً فلورثته،ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه} [5]، وللضمان وسائل متعددة يمكن أن تجعل له الدولة مؤسسة خاصة كما هو معمول به في المملكة العربية السعودية [6].

ج) تهيئة فرص العمل : ولو كانت بسيطة ولكنها تسد الرمق وتمنع تكفف الناس وسؤالهم ، فقد جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فسأله ، فقال: أما في بيتك شيء ؟ قال: حلس نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء ، فقال: ائتني بهما ، فأتاه بهما فأخذهما بيده ﷺ ، وقال من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله ﷺ : من

---

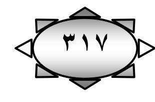
(١) سورة التوبة ، آية: ٦٠.

(٢) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، (٥١٩/٢) ـ ومسلم ، كتاب الزكاة ، (٧١٧/٣) .

(٣) اللويحق ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١٠١١.

(٤) سبق تخريجه ص (٢٨٢) .

(٦) اللويحق ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١٠١٢.



يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثاً ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري ، وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فائتني به ، فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ، ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوماً ، فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء ، وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً ، وببعضها طعاماً ، فقال له رسول الله ﷺ : هذا خير لك من أن تجئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة } [(١)].

ومن فوائد الحديث ما يلي:

١- أن العاطلين إن كانوا يرون أن لهم حقوقاً على الدولة فليذهبوا إلى ولي أمر المسلمين .

٢- أن الدولة المسلمة تقر هذه الحقوق وتعترف للعاطلين بها ، بدليل استماع الرسول ﷺ لشكاية الرجل ولم يزجره.

٣- أن الدولة لا تكتفي بالاعتراف بالحقوق ، بل واجبها أن تدبر أمرهم.

٤- متابعة العامل في الدولة الإسلامية بعد تهيئة العمل له واجب ومطلوب.

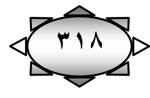
٥- يجب على ولي الأمر أن يُلزم المسلم بالعمل بدلاً من أن يسال الناس [(٢)].

د) تحريم الربا : لأنه من أكبر أسباب اختلال نظام توزيع الثروة وظهور التفاوت المبني على الظلم في المجتمع ، وبالتالي ينتج عن هذا اختلال في التفكير الذي يترتب عليه ظهور السلوكيات الإجرامية في المجتمع .

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، (٢/١٢٠) . وابن ماجه ، كتاب التجارات، (٢/٧٤٠) .

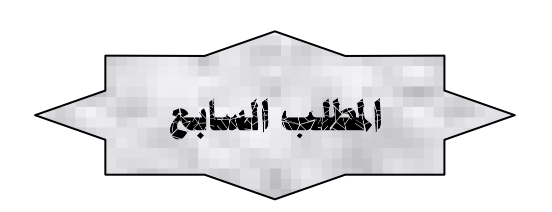
(٢) اللويحق ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص١٠١٥.



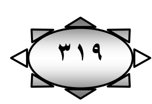
هـ) نظام الميراث: وهو نظام يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعاً عادلاً ويحول دون تضخمها في أيد قليلة ، ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات، حيث يوسّع دائرة انتفاع أقارب الميت بما خلفه من أموال .

و) تحريم الاحتكار : وهو حبس السلعة أو جمعها من الأسواق حتى تشتد حاجة الناس إليها ثم يبيعها التاجر بأضعاف سعرها ، وقد نهى الإسلام عن الاحتكار ، فقد قال ﷺ : { لا يحتكر إلا خاطئ } [(١)].

وبناءً على ما سبق فإن الظروف الاقتصادية لها أثر كبير في ظهور انحرافات فكرية منبعها الحاجة أو الأطماع الدنيوية أوالحقد والحسد والغيرة والإحساس بالأثرة والتفرقة العنصرية والطبقية المقيتة، فجاء الإسلام وقضى على هذا كله.



(١) رواه مسلم ،كتاب المساقاة ، (١٢٢٨/٣) .



دور المؤسسات الأمنية

إن الهدف الأساسي من المؤسسة الأمنية أياً كانت ، هو تحقيق الأمن في المجتمع المحلي والدولي ، وهذا الأمن لن يتحقق من خلال المؤسسة الأمنية وحدها ، وإنما تلعب مؤسسات المجتمع الأخرى دوراً هاماً وبالغ الخطورة في إنجاح برامج المؤسسة الأمنية في تعزيز الأمن (١) .

ومن هنا جاء التعاون العربي والإسلامي في مجال مكافحة الانحراف الفكري بشكل جماعي ، حيث إن المواجهة الفردية لن تكون ذات أثر فعال في هذا المجال ، فمع ازدياد ظاهرة الانحراف الفكري وما تمخض عنه من تنظيمات آثمة وسّعت نشاطها الإجرامي في العديد من الدولة العربية والإسلامية ، جاء دور هذه الدول المرتبطة معاً بروابط اللغة والدين والجغرافيا والتاريخ في تعميق سياسة التكامل الأمني فيما بينها ، لما لذلك التكامل من أهمية في الحفاظ على الأمن والاستقرار ، وحماية مكتسبات تلك الدول (٢) .

إن التكامل الأمني العربي والإسلامي أصبح أمراً حتمياً ، حيث إنه هو السبيل الوحيد للتغلب على العقبات والمعوقات التي تواجه الدول عند التصدي لهذه الجرائم منفردة ، وكانت جهود جامعة الدول العربية كمنظمة إقليمية قد تركزت في القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والثقافية ، وغيرها من خلال مجالس وزارية ترتبط بها (٣) .

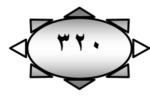
وقد أولى مجلس جامعة الدول العربية القضايا الأمنية اهتماماً خاصاً واهتم بمكافحة الجرائم بشكل عام ، والانحراف الفكري بشكل خاص ، وتمثل هذا في مجموعة القرارات والتنسيقات التي يقوم بها المجلس مع

---

(١) الخطيب ، مصدر سابق ، ص١٢٩.

(٢) محمد بن عبدالله العميري ، مصدر سابق ، جامعة نايف العربية ، ص٥٢٢.

(٣) العميري ، مصدر السابق ، ص٥٢٤.



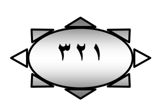
المنظمات الإقليمية المماثلة أو مع هيئة الأمم المتحدة لعقد مؤتمر دولي لمكافحة الإرهاب ، والعمل على التقليل من أخطاره وآثاره السلبية على الدول وعلى المجتمعات .

وجاءت مؤتمرات القمة العربية لحسم العديد من الخلافات التي قد تقع بين ممثلي الدول العربية في مجلس الجامعة ، فتطرقت معظم قرارات القمة العربية إلى قرارات وإجراءات واضحة وعملية لمقاومة كل أشكال الانحراف والإرهاب ، إلى أن جاء مؤتمر بيروت في عام ٢٠٠٢م لتجديد رفض العرب القاطع للإرهاب في كل أشكاله وصوره وتأييد الجهود الأمنية إلى عقد مؤتمر دولي للإرهاب في إطار الأمم المتحدة . إلى جانب التأكيد على أهمية التنسيق العربي المشترك لتفعيل أحكام الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بعد دخولها حيز التنفيذ في مايو ١٩٩٩م ، إلى جانب رفض محاولة إلصاق تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين والتأكيد على ما يدعو إليه الإسلام من مبادئ سمحة واستنكار المضايقات التي يتعرض لها الرعايا العرب والمسلمين في بعض الدول بالمخالفة لقواعد القانون الدولي وحقوق الإنسان (١) .

وجاءت فكرة إنشاء مجلس وزراء الداخلية العرب خلال مؤتمره الأول المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٧٧م ، وتقرر فعلياً سنة ١٩٨٠م إنشاء هذا المجلس واعتباره أحد المجالس العاملة في نظام الجامعة ، ويهدف المجلس إلى تنمية وتوثيق التعاون وتنسيق الجهود بين الدول العربية في مجلس الأمن الداخلي ومكافحة الجريمة من خلال رسم السياسات العامة التي من شأنها تطوير العمل الأمني العربي المشترك ، وإقرار الخطط الأمنية التي تمكّن المجلس من تحقيق أهدافه ، ويعمل من خلال المجلس مجموعة أجهزة تنفيذية وهي:
أولاً : الأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب ومقرها تونس ، ويعمل في نطاقها خمسة مكاتب هي:

---

(١) المصدر السابق ، ص٥٣٢ وما بعدها ، وانظر أيضاً: الجحني ، الإرهاب الفهم المفروض، ص٣٤٣ وما بعدها.



١- المكتب العربي لمكافحة الجريمة ومقره بغداد.

٢- المكتب العربي للشرطة الجنائية ومقره دمشق.

٣- المكتب العربي لشؤون المخدرات ومقره عمان.

٤- المكتب العربي للحماية المدنية والإنقاذ ومقره الدار البيضاء.

٥- المكتب العربي للإعلام الأمني ومقره القاهرة.

ثانياً: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ومقرها الرياض ، والتي تطورت عبر عدة مراحل حتى عام ٢٠٠٤م ، حيث صدر قرار مجلس وزراء الداخلية العرب بالتسمية المشار إليها وتهدف الجامعة إلى العمل على تحقيق:

١- إتاحة الفرصة للدراسات العليا المتخصصة والمتعمقة في ميادين الأمن بمفهومه الشامل وإعداد كفاءات علمية قادرة على مواجهة متغيرات العصر.

٢- التعريف بأحكام التشريع الجنائي الإسلامي وما تضمنه من مبادئ ونظم متكاملة.

٣- النهوض بمستوى التدريب في كافة المجالات الأمنية على المستوى العربي.

٤- إثراء البحث في مجال الدراسات المتخصصة بمكافحة الانحراف و الجريمة والوقاية منها.

٥- توثيق الروابط والتعاون العلمي مع الجامعات والمؤسسات العلمية الأمنية والعدلية والاجتماعية والمؤسسات العلمية والجنائية على المستوى العربي والدولي وتبادل الخبرة والمعلومات (١).

وإن من أولويات هذه الأجهزة والمنظمات وغيرها تحديد مفهوم الأمن الفكري ومفهوم الانحراف الفكري بشكل يكفل إيجاد صيغ فهم مناسبة وآلية تعامل معينة مع أولئك الساعين إلى تخريب العقول وإيذاء

(١) العميري ، المصدر السابق ن ص٥٤٠ وما بعدها.

البشر، ويجب أن تسعى هذه المنظمات إلى تكميل دورها المنوط بها، فليس دور المؤسسات الأمنية تنفيذية كانت كالأجهزة الشرطية، أو عاملة في مجال البحث العلمي هو: ملاحقة المنحرف وعقابه، وتحقيق السبق في الصراع التقليدي بين الجريمة والمجرم من جهة، وأجهزة الضبط من جهة أخرى، بل صار الدور الأكثر أهمية هو الوقاية من الانحراف الفكري، ومنع وقوعه أو حدوثه، وسد المنافذ المؤدية إليه، ثم علاج – وهذا هو الأهم – المنحرفين، وإعادة تأهيلهم وتسهيل اندماجهم في المجتمع مرة أخرى، مع العلم والاعتراف بأن هذه المهمة ليست وظيفة الأمن فقط بقدر ما هي علاقة تكاملية بين جميع مؤسسات المجتمع حكومية كانت أم أهلية.

وهذه مجموعة من المقترحات التي أوردها أحد الباحثين لتحقيق الأمن الفكري وهي كما يلي:

١- توفير المنهجية التي تكفل نجاح المؤسسات الأمنية في الحد من أخطار الانحراف الفكري، أو القضاء عليها، أو الوقاية منها، مع مراعاة وضع الأنظمة القانونية والجزاءات التي تعزز هذه المنهجية.

٢- القيام بحملات التوعية في المجتمع وخاصة في أماكن تجمع الشباب من شأنها توضيح أهمية التلاحم الاجتماعي في الوقوف تجاه كل فكر يُضر أو يُخل بالأمن الفكري.

٣- الاستفادة من تجارب الآخرين في مجال مواجهة الانحراف الفكري، على أن يتم إخضاع كل تجربة للبحث والمناقشة في ضوء ثوابت الدين و معايير المجتمع وعاداته وثقافته.

٤- اعتبار الأمن الفكري جزءاً من الأمن العام، بل جوهر الأمن العام كله، لأن كل الجرائم ناتجة أصلاً عن انحراف.

٥- التكامل مع أجهزة المجتمع الأخرى في اتخاذ إجراءات مواجهة الانحراف الفكري والقضاء عليه ، أو الوقاية منه.[(١)]

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وبعد ، ،

(١) الخطيب ، مصدر سابق ، ص١٣٩.

فبعد توفيق الله تم الانتهاء من كتابة البحث الذي أحسب أني بذلت فيه الكثير من الوقت والجهد أسأل الله ألا يحرمني الأجر على ذلك وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم آمين .

ولعلي أذكر أهم ما توصلت إليه من نتائج وهي كالتالي:

١- تعتبر الشريعة الإسلامية هي أدق ميزان يقيس السلوك البشري.

٢- الخالق سبحانه هو الأعلم بما يصلح حال الإنسان ، ومهما حاول البشر وضع قوانين فستبدو قاصرة وعاجزة عن علاج القصور في النفس البشرية ، وعلاج الانحراف.

٣- تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، فطريق الهداية والفلاح واضح بين، وطريق الغواية والانحراف واضح كذلك وبين .

٤- إقصاء التشريع الإلهي عن الإعمال في المجتمعات الإسلامية هو الانحراف الأكبر والجريمة الكبرى.

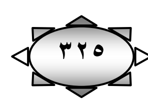
٥- كل أمر أو نهي في الكتاب والسنة إذا تقيد به الفرد المسلم كان من أهم التدابير الواقية من الانحراف الفكري.

٦- أسباب الانحرافات الفكرية كثيرة ومتعددة ولابد أن يكون العلاج مقابلاً للأسباب.

٧- العقيدة الإسلامية والعبادات والأخلاق والتشريعات المالية والاجتماعية عوامل واقية من الانحرافات الفكرية.

٨- سيظل الجهد البشري قاصراً أمام عظمة التشريع الإلهي الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وبقي على هذا الجهد البشري أن يبحث وأن يخلص في البحث لخدمة البشرية جمعاء.

٩- مهما حاولت القوانين الوضعية فالتشريع الإسلامي سبقها لعشرات القرون ، ولا تملك إلا الإذعان والأخذ بما جاء به التشريع السماوي.



١٠- الانحرافات الفكرية الناتجة من الداخل أو الوافدة من الخارج هي من أخطر ما يواجه الأمة ، ويجب البحث عن آليات هذه المواجهة.

١١- التآمر على الإسلام بدأ منذ فجر الدعوة وإلى الآن لم تهدأ ضراوة هذا التآمر ، مما يدعو إلى اليقظة والحذر من العبث بعقول الأجيال الجديدة.

١٢- هناك علاجات متعددة وبجرعات متفاوتة يجب أن تنتبه لها المجتمعات الإسلامية وتأخذ بها لضبط العقل المسلم وتحصينه ضد الانحراف.

١٣- التركيز على ثوابت الأمة من أهم ما يجب الحرص عليه في العملية التربوية والتعليمية.

وختاماً أوصي نفسي .. وأوصي كل مسلم أن يلتزم بأوامر الله ونواهيه، ويحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ .

والله أسأل أن يحفظنا من كل سوء ومكروه آمين .

ومن أهم التوصيات التي أرى إبرازها ما يلي:-

١- التشديد في مكافحة كل أوجه الانحراف المؤدية إلى الجريمة أياً كانت درجتها أو نوعها.

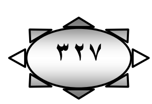
٢- ضرورة فرز كل العناصر التي يبدو أن سلوكها تعبير عن انحراف فكري ما ، والتعامل مع هذه العناصر بكل أشكال وأساليب الاحتواء والتقويم والإرشاد والتوجيه.

٣- ضرورة مراعاة التعاون بين كل أفراد المجتمع وبين رجال الأمن ، والإبلاغ عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى جريمة ، ومراقبة المشبوهين ، وذوي السلوك المنحرف ، والإدلاء بالمعلومات عنهم ، والمبادرة بتقديم الشهادة عند طلبها ، ولا يكتمونها حتى لا يكونوا من آثمي القلوب.

٤- تبسيط إجراءات التبليغ والإدلاء بالشهادة ، والشد على أيدي المتعاونين وتشجيعهم مادياً ومعنوياً لما في تعاونهم من تضييق الخناق على الانحراف والمنحرفين ، خصوصاً الانحراف الفكري الذي يبدو خفياً في حالات كثيرة .

٥- لا أحد ينكر أهمية التوعية بأشكال وأنماط الانحرافات الفكرية ، وأهم التيارات الفكرية المنحرفة التي من مصلحتها زعزعة الأمن الفكري في المجتمع الإسلامي ، ولذا يجب التركيز على حملات الإرشاد والتوجيه من خلال المؤسسات المعنية كهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجمعيات الخيرية والمساجد.

٦- واستكمالاً للتوصية السابقة يجب أن تقوم وزارتا التربية والتعليم و التعليم العالي بدور أكثر فعالية في تنشيط التوعية والإرشاد والتوجيه وفرز العناصر المنحرفة بين شباب الطلاب خصوصاً في المرحلة الجامعية



المستهدفة من جهات عديدة لزرع الخلل والبلبلة والانحراف في المجتمع المسلم .

٧- على المجتمعات الإسلامية العمل على تطبيق شرع الله تطبيقاً كاملاً في جميع مجالات الحياة بما فيها التجريم والعقاب ، ولا يكفي الأخذ بجانب من التشريع الإسلامي وإهمال البعض الآخر ، لأن التشريع جزء لا يتجزأ ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذلِكَ مِنكُمْ إلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] .

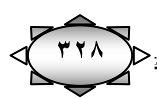
٨- إن نظرة الشريعة الإسلامية للتدابير الواقية من الانحراف الفكري كفيلة بأن تحقق للمجتمع المسلم الأمن ليس فكرياً فحسب ، بل في كل مجالات الأمن بمفهومه الشامل.

٩- إن تغليظ العقوبة وسرعة تنفيذها في حق المنحرفين فكرياً يحققان عامل الردع لكل من تسول له نفسه الانحراف عن الطريق القويم.

١٠- يجب على الجهات المعنية تهيئة فرص العمل ، وتمكين العاطلين من العمل المناسب اتقاءً لشرور اجتماعية وفكرية المجتمع المسلم في غنى عنها.

١١- على وسائل الإعلام دور فعال وحساس وعليها يقع عبء محاولة جذب المشاهد والمستمع والقارئ إليها ، وإبعاده بطريقة ذكية عن وسائل الإعلام الموجهة بالأساس لزعزعة عقيدته وأمنه الفكري ، وتصور له الانحرافات الفكرية المهلكة على أنها نوع من (الديمقراطية) أو حرية التفكير وحرية التعبير.

(١) سورة البقرة ، آية: ٨٥.



١٢- على الجهات المعنية بالشباب تهيئة الأندية والمخيمات والملتقيات الشبابية والتي يقضي فيها الشباب أوقاتهم في المفيد وتحت إشراف نخبة من المربين والموجهين .

وختاماً ...

أحمد الله على توفيقه وامتنانه ، وأدعو الله أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، رغم ما فيه من قصور ، وحسبي أني اجتهدت ما وسعني الاجتهاد ، واضعاً نصب عيني قوله تعالى: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ❖ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى** ﴾.

هذا .. وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد B وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم ......

قائمة المراجع

١. ا بن أبي شيبة أبو بكر عبدالله بن محمد الكوفي مصنف ابن أبي شيبة، دار النشر/ مكتبة الرشد ، مدينة النشر / الرياض ، سنة ١٤٠٩هـ ، الطبعة الأولى ، المحقق / كمال يوسف الحوت.

٢. إبراهيم ، أحمد عبدالرحمن ، (١٤٠١): التدابير الزجرية والوقائية في التشريع الإسلامي ، مجلة أضواء الشريعة ، عدد (١٢).

٣. ابن أبي العز ، علي بن علي ، (١٤١٨): شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق أحمد شاكر ، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

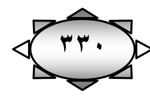
٤. ابن الحجاج ،مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم عدد الأجزاء (٥) ، دار إحياء التراث العربي ، مدينة النشر / بيروت ، المحقق / محمد فؤاد عبدالباقي.

٥. ابن القيم ، شمس الدين بن عبدالله ، (١٣٥٧): إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان ، تحقيق/ محمد حامد الفقي ، القاهرة ، مطبعة الحلبي.

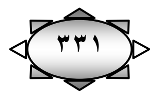
٦. ابن القيم ، شمس الدين بن عبدالله ، (١٣٥٨): مفتاح دار السعادة ، تحقيق / محمد حسن ربيع ، القاهرة ، مكتبة الأزهر.

٧. ابن القيم ، شمس الدين بن عبدالله ، (١٤٠٥): كتاب الصلاة وحكم تاركها ، تحقيق/ تيسير زعتر ، بيروت ، المكتب الإسلامي.

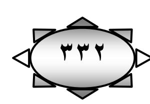
٨. ابن القيم ، شمس الدين بن عبدالله ، (١٩٧٧): أعلام الموقعين عن رب العالمين ، بيروت: دار الفكر.



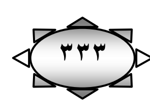
٩. ابن القيم ، شمس الدين بن عبدالله ، (د.ت): الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، جده: دار المدني للطباعة.
١٠. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، (١٩٧٣): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ط٢ ، تحقيق/ محمد حامد الفقي ، بيروت: دار الكتاب العربي.
١١. ابن باز ، عبدالعزيز ، (١٤١١): مجموع فتاوى ومقالات ، ط٢ ، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
١٢. ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، (١٤٠٣): الحسبة في الإسلام ، الكويت: مكتبة دار الأرقم للطباعة.
١٣. ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، (١٤٠٤): اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ط١ ، (د.ن).
١٤. ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، (١٤٠٦): منهاج السنة ، تحقيق/ محمد رشاد سالم ، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
١٥. ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ، (د.ت) : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، الرياض: مكتبة المعارف.
١٦. ابن حبان ، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان ، عدد الأجزاء (١٨) ، دار النشر / مؤسسة الرسالة ، مدينة النشر / بيروت ، سنة النشر ١٤١٤- ١٩٩٣ ، الطبعة الثانية ، المحقق/ شعيب الأرنؤوط.
١٧. ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، (د.ت): فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ترقيم/ محمد فؤاد عبدالباقي ، تحقيق/ عبدالعزيز بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر.
١٨. ابن حزم ، (١٣٤٧): الفصل في الملل والنحل ، القاهرة: مطبعة صبيح بمصر.



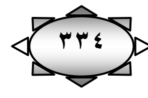
١٩. ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، الأحكام ، بيروت ، لجنة إحياء التراث العربي.
٢٠. ابن حنبل أحمد ، أبو عبدالله الشيباني ، مسند أحمد بن حنبل عدد الأجزاء (٦) ، دار النشر / مؤسسة قرطبة ، مدينة النشر ، مصر.
٢١. ابن درع ، عبود بن علي ، (١٤١٩): ظاهرة الغلو في الدين ، الرياض: دار الصميعي.
٢٢. ابن عابدين ، محمد أمين ، (١٩٧٩): حاشية رد المختار شرح تنوير الأبصار ، بيروت: دار الفكر.
٢٣. ابن فرحون ، إبراهيم (١٣٠١) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، بيروت ، دار الكتب العلمية.
٢٤. ابن قدامة ، محمد بن عبدالله ، (د.ت): المغني ، القاهرة: مكتبة الجمهورية.
٢٥. ابن كثير ، إسماعيل ، (١٩٩٨): تفسير القرآن العظيم ، ط١ ، بيروت ، المطبعة العصرية.
٢٦. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين ، (د.ت): لسان العرب ، بيروت: دار صادر.
٢٧. ابن همام أبو بكر عبدالرزاق الصنعاني ، مصنف عبدالرزاق ، دار النشر/ المكتب الإسلامي ، مدينة النشر/ بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ ، الطبعة الثانية ، المحقق / حبيب الرحمن الأعظمي.
٢٨. ابن وضاح ، محمد (١٤٠٢): البدع والنهي عنها ، تصحيح محمد دهمان ، بيروت ، دار الرائد العربي.
٢٩. أبو زهرة ، محمد ، (د.ت) العقوبة ، القاهرة: دار الفكر العربي.
٣٠. أبو يعلى ، محمد بن الحسين ، (١٣٨٦): الأحكام السلطانية ، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي.



٣١. إسماعيل ، شعبان محمد ، (١٤٠٨): سد الذرائع بين الإلغاء والاعتبار ، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد (٦)، الدوحة: جامعة قطر.
٣٢. الآجري ، أبو بكر محمد (١٤٠٣) الشريعة ، تحقيق / محمد حامد الفقي ، بيروت ، دار الكتب العلمية.
٣٣. الالكائي ، هبة الله بن الحسن بن منصور ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق / أحمد سعد حمدان ، الرياض ، دار طيبة.
٣٤. الأنصاري ، عبدالله ، (١٣٩٧): رسالة الإعلام في بلاد الإسلام وعلاقتها بالدعوة الإسلامية – ضمن بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ، المدينة المنورة.
٣٥. البخاري ، محمد بن إسماعيل ، (١٣٩٨): الجامع الصحيح ، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣٦. البعلي ، عبدالحميد ، (١٤٠٩): أصول الإجراءات القضائية في الإسلام ن الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية.
٣٧. البغدادي (١٩٧٣): الفرق بين الفرق ، ط١ ، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.
٣٨. الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، سنن الترمذي، دار النشر / دار إحياء التراث العربي ، مدينة النشر/ بيروت ، المحقق / أحمد محمد شاكر وآخرون.
٣٩. الثقفي ، سلطان بن أحمد ، (١٤٢٦): دور الإعلام والإعلان في مكافحة الإرهاب ، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
٤٠. الجحني ، علي فايز ، (١٤٢١): الفهم المفروض للإرهاب المرفوض ، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
٤١. الجرجاني ، علي بن محمد ، (١٩٣٨): التعريفات معجم بشرح الألفاظ المصطلح عليها ، مصر: مطبعة الحلبي.



٤٢. الحقيل ، سليمان بن عبدالرحمن (١٤٢٢): الإسلام ينهي عن الغلو ، الرياض : مطابع الحميضي.
٤٣. الحمد ، محمد إبراهيم (١٤١٤): التقصير في تربية أولادنا ، القويعية: المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد.
٤٤. الخطيب ، محمد شحات ، (١٤٢٦): الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي ، الرياض.
٤٥. الدخيل ، فواز ، (١٩٩٧): مجلة الأمن والحياة ، عدد ١٧٨، أغسطس ١٩٩٧ ، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
٤٦. الدهان ، عبدالرحمن ، (١٤٢٠): مدى فاعلية مديري المدارس في مجال التوجيه والإرشاد الطلابي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الرياض: جامعة الملك سعود.
٤٧. الدوسري ، فهد مبارك ، (١٤٢٦): الغلو في الدين ووسطية الإسلام ، الرياض: مدار الوطن للنشر.
٤٨. الرازي ، محمد بن أبي بكر ، (د.ت): مختار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، القاهرة: هيئة الكتاب.
٤٩. الراغب ، الأصفهاني ، (د.ت): معجم مقاييس اللغة ، تحقيق/ عبدالسلام هارون ، إيران: دار الكتب العلمية.
٥٠. الرحيلي ، إبراهيم بن عامر (١٤١٥) : الصراع على الإسلام ، القاهرة، مكتبة الشروق.
٥١. الرحيلي ، إبراهيم عامر ، (١٤١٥) ، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ، المدينة المنورة ، مكتبة الغرباء الأثرية.
٥٢. الرحيلي ، حمود بن أحمد ، (١٤٢٤): تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري ، الرياض ، مكتبة العلوم والحكم.



٥٣. الرشود ، مبارك ، (١٤١٢): مقومات الوقاية من جرائم الحرابة في التشريع الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية.

٥٤. الرعوجي ، إبراهيم صالح ، (١٤٢٤): التدابير الواقية من جريمة الرشوة في الشريعة الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

٥٥. الزبيدي ، المرتضى محمد ، (١٣٩٠): تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت: دار مكتبة الحياة.

٥٦. السجستاني ، سليمان بن الأشعث أبو داود ، سنن أبي داود دار النشر / دار الفكر ، المحقق/ محمد بن محيي الدين عبدالحميد.

٥٧. الشاطبي ، أبو اسحاق إبراهيم (١٤٠٥) ، الاعتصام ، تحقيق/ مشهور آل سلمان ، بيروت ، دار المعرفة.

٥٨. الشافعي ، إبراهيم ، (١٤٢٥): المسؤولية الأمنية ودور المؤسسات التعليمية، ندوة المجتمع والأمن ، الرياض: كلية الملك فهد الأمنية.

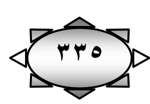
٥٩. الشقحاء ، فهد بن محمد ، (١٤٢٥): الأمن الوطني- تصوير شامل ، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

٦٠. الشنتوت ، خالد أحمد ، (١٩٩٤) : كيف نحمي أولادنا من رفاق السوء، المدينة المنورة: مطابع الرشيد.

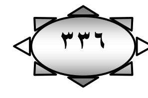
٦١. الشيرازي ، مجد الدين الفيروز أبادي ، (د.ت): القاموس المحيط ، القاهرة: مؤسسة الحلبي.

٦٢. الشيرازي ، مجد الدين الفيروز أبادي ، (د.ت): القاموس المحيط ، القاهرة: مؤسسة الحلبي.

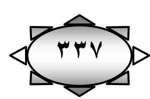
٦٣. الصالح ، صالح ، (١٤٠١): المعجم الصافي ، الرياض: (د.ن).



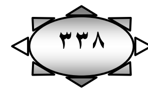
٦٤. الصاوي ، أحمد فوزي ، (١٩٨٤): المؤسسات الاجتماعية العاملة في مجال رعاية الأحداث والفكر الإسلامي – بحث مقدم لندوة معالجة الشريعة لمشاكل الانحراف ، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية.
٦٥. الطبراني ،سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، المعجم الكبير ، دار النشر / مكتبة الزهراء ، مدينة النشر/ الموصل ، سنة النشر / ١٤٠٤- ١٩٨٣ ، الطبعة الثانية ، المحقق/ حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
٦٦. الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد ، المعجم الأوسط، دار النشر ، دار الحرمين ، مدينة النشر ، القاهرة ، مدينة النشر ، ١٤١٥ ، المحقق/ طارق بن عوض الله بن محمد ، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني.
٦٧. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (١٣٧٣): جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، القاهرة: مكتبة الحلبي.
٦٨. العجم ، رفيق ، (د.ت): موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، ط١.
٦٩. العك ، خالد عبدالرحمن ، (١٤١٨): عوامل التطرف والغلو والإرهاب ، دمشق: دار المكتبي.
٧٠. العموش ، أحمد فلاح ، (١٩٩٩): أعمال ندوة مكافحة الإرهاب ، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
٧١. العميري ، محمد ، (١٤٢٥): موقف الإسلام من الإرهاب ، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
٧٢. العواجي ، إبراهيم ، (١٩٨٧): بحث ألقاه في مؤتمر عالمي لمكافحة المخدرات ، فيينا: نقلاً عن خالد الشنتوت: كيف نحمي أولادنا من رفاق السوء والمخدرات ، ص٦٣.
٧٣. الغزالي ، أبو حامد ، (١٣٢٤): المستصفى من علم الأصول ، القاهر، المطبعة الأميرية.



٧٤. الغزالي ، أبو حامد ، (١٩٦٤): إحياء علوم الدين ، بيروت: دار المعرفة.
٧٥. الفنجري ، أحمد شوقي (١٩٩٣): التطرف والإرهاب ، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
٧٦. الفيومي ، محمد علي المقرن ، (د.ت): المصباح المنير ، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٧٧. القرضاوي ، يوسف ، (١٩٨٥): العبادة في الإسلام ، القاهرة: مكتبة وهبة.
٧٨. القزويني محمد بن يزيد أبو عبدالله، سنن ابن ماجه، دار النشر / دار الفكر ، المحقق / محمد فؤاد عبدالباقي .
٧٩. القطان ، مناع ، (١٣٩٦): أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية.
٨٠. القطان ، مناع محمد، (١٤٠٤): التربية الإسلامية والوقاية من الانحراف، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية.
٨١. الكبرى ، البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ، سنن البيهقي، دار النشر / مكتبة دار الباز ، مدينة النشر / مكة المكرمة، سنة ١٤١٤- ١٩٩٤ ، المحقق / محمد عبدالقادر عطا.
٨٢. الكواري ، علي سلطان ، (١٤٠٩): الوقاية من الجريمة في الشريعة الإسلامية ، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية.
٨٣. اللويحق ، عبدالرحمن بن معلا (١٤١٩): مشكلة الغلو في الدين، (د.ت).
٨٤. اللويحق ، عبدالرحمن بن معلا ، (١٤٢٠): الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٨٥. الماوردي ، علي بن محمد ، (د.ت): الأحكام السلطانية ، بيروت ، دار الفكر.



٨٦. المهدوي ، إسماعيل (١٩٩١): العقلانية الشاملة ، القاهرة ، (الناشر المؤلف).
٨٧. الميداني ، عبدالرحمن حبنكة ، (١٣٩٨): مكائد يهودية عبر التاريخ، دمشق: دار القلم.
٨٨. الميداني ، عبدالرحمن حبنكة ، (١٤٢١) ،الوسطية في الإسلام ، بيروت ، مؤسسة الريان.
٨٩. الناصر ، محمد حامد ، (١٩٩٥): بدع الاعتقاد ، جده: مكتبة السوادي.
٩٠. النحلاوي ، عبدالرحمن ، (١٩٩٦): أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة ، دمشق : دار الفكر.
٩١. النعيمي ، عبدالعزيز ، (١٤١١): المراهقون ، الرياض : دار طيبة.
٩٢. النيسابوري محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين عدد الأجزاء (٤) ، دار النشر/ دار الكتب العلمية ، مدينة النشر / بيروت ، سنة النشر ١٤١١- ١٩٩٠ ، الطبعة الأولى ، المحقق/ مصطفى عبدالقادر عطا.
٩٣. اليوسف ، عبدالله عبدالعزيز ، (١٤٢٥): المؤسسات المجتمعية والأمنية ، رؤى مستقبلية ، ورقة مقدمة لندوة المجتمع والأمن بكلية الملك فهد الأمنية ، الرياض. ابن حنبل ، عبدالله بن أحمد ، (١٤٠٦) ، السنة: تحقيق محمد بن سعيد القحطاني ، الدمام ، دار ابن القيم .
٩٤. أنيس ، إبراهيم وآخرون ، (١٣٩٢): المعجم الوسيط ، بيروت: دار الفكر.
٩٥. باكريم ، محمد (١٤١٥): وسطية أهل السنة بين الفرق ، الرياض: دار العاصمة.
٩٦. بكار ، عبدالكريم ، (١٤٢٣): دليل التربية الأسرية ، عمان: دار الأعلام.



٩٧. بهنام ، رمسيس (د.ت) : علم الإجرام ، ط٣ ، الإسكندرية : منشأة المعارف.

٩٨. بوساق ، محمد المدني (١٤٢٥): الإرهاب وأخطاره والعوامل المؤدية إليه وأساليب مكافحته ، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

٩٩. بيومي ، محمد أحمد ، (١٩٩٢): ظاهرة التطرف ، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

١٠٠. ثروت ، جلال (١٩٨٢): الظاهرة الإجرامية ، الإسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية.

١٠١. جابر ، سامية (١٩٨٠): الانحراف الاجتماعي ين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي ، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

١٠٢. جاد الحق ، علي جاد الحق (١٩٩٩٣): المثقفون والإرهاب ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٠٣. حافظ ، أسامة إبراهيم ، (١٤٢٢): مبادرة وقف العنف – رؤية واقعية ونظرية شرعية ، سلسلة تصحيح المفاهيم ، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي.

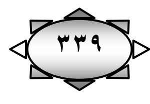
١٠٤. حريز ، محمد الحبيب ، (١٤٢٦): الأمن الفكري ، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

١٠٥. حلمي ، نبيل ، (١٩٩٨): الإرهاب الدولي ، القاهرة ، دار النهضة العربية.

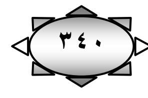
١٠٦. خلاف ، عبدالوهاب ، (١٤٠٤) ، السياسة الشرعية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة.

١٠٧. رشوان ، حسين عبدالحميد ، (٢٠٠٢): الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع ، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

١٠٨. رضا ، محمد رشيد ، (١٣٨٣): مجموعة الحديث النجدية ، قطر: دار العروبة ، ط٣.



١٠٩. رضا ، محمد رشيد ، (د.ت): تفسير القرآن الكريم (المنار) ، بيروت: دار المعرفة ، ط٢.
١١٠. سالم ، عبدالعال (١٩٩٩): علم نفس النمو ، القاهرة: دار الشروق.
١١١. سعيد ، هشام بن عبدالمحسن ، (د.ت) : أساليب حماية النشء من الانحراف في المنهج الإسلامي ، رسالة ماجستير مخطوطة ، المركز العربي للدراسات الأمنية ، الرياض: المعهد العالي للعلوم الأمنية.
١١٢. سليم ، سلوى علي ، (١٩٨٩): الإسلام والمخدرات – دراسة سوسيولوجية لأثر التغير الاجتماعي على تعاطي المخدرات ، القاهرة: مكتبة وهبة.
١١٣. شحاتة ، مهدية (١٩٩٧): منهج الإسلام في مكافحة الجريمة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، عمان: الجامعة الأردنية.
١١٤. شلتوت ، محمود ، (١٤١٤): الإسلام عقيدة وشريعة ، القاهرة: دار الشروق.
١١٥. طالب ، أحسن (١٤٢٦): الأمن الفكري ، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
١١٦. طعيمة ، صابر ، (١٤٢٥): أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، بيروت: عالم الكتب.
١١٧. عبدالقادر ، دريد ، (١٤٠٥) ، التربية الإسلامية وأثرها في الوقاية من الجريمة ، المجلة العربية للدفاع الاجتماعي ، العددان ٢٠/١٩، الرباط.
١١٨. عبدالقادر ، دريد ،مكتبة الحلبي ، القاهرة (١٣٧٣):
١١٩. عبدالمحسن ، ماهر (١٩٩٨): الأساس النظري للتفكير الإرهابي ، القاهرة ، بحوث المؤتمر الدولي للعلوم الاجتماعية ودورها في مكافحة التطرف والعنف.
١٢٠. عبدالواحد ، مصطفى ، (١٣٩١): الإسلام والمشكلة الجنسية ، ط٣ ، القاهرة: دار الاعتصام.



١٢١. عبدالواسع ، عبدالوهاب ، (١٤١٤) ، الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة ، الرياض ، دار الطاير للنشر والتوزيع.

١٢٢. عبدالوهاب ، محمد ، (١٤١٩) ، مجموعة التوحيد ، الرياض ن دارة الملك عبدالعزيز.

١٢٣. عبدالوهاب ، محمد ، (د.ت): تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

١٢٤. عسيري ، علي عبدالله ، (١٤٢٥): الآثار الأمنية لاستخدام الشباب للانترنت ، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

١٢٥. علوان ، سليمان ، (١٤١٧) التبيان شرح نواقض الإسلام ، الرياض ، دار المسلم للنشر.

١٢٦. علوان ، عبدالله ناصح ، (١٩٨٦): تربية الأولاد في الإسلام ، القاهرة: دار السلام للطباعة ، ط١.

١٢٧. عمارة ، محمد وآخرون ، (١٩٩١): إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر ، سلسلة الفكر الإسلامي المعاصر ، (د.ن).

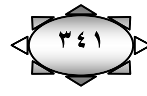
١٢٨. عوده ، عبدالقادر ، (١٤١٩): التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة.

١٢٩. عوده ، محمد ، وآخر ، (١٤٠٤): الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام ، ط١ ، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع.

١٣٠. عياض ، القاضي ، (د . ت) ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق / محمد على البجاوي ، بيروت ، دار الطباعة.

١٣١. عيد ، محمد فتحي ، (١٤٢٠): مكافحة الإرهاب ، الرياض: مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية.

١٣٢. عيد ، محمد فتحي ، (١٩٨١): جريمة تعاطي المخدرات في القانون المصري والقانون المقارن ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، القاهرة.



١٣٣. غبارى ، محمد سلامة ، (١٩٨٦) : مدخل خلاص جديد لانحراف الأحداث ، ط١ ، القاهرة : المكتب الجامعي الحديث.
١٣٤. غبارى ، محمد سلامة ، (١٩٩٩): الإدمان- أسبابه ونتائجه وعلاجه ، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
١٣٥. فرج ، عبداللطيفي ، (١٤٢٥): مهمة مدير المدرسة تجاه السلوك المنحرف، ندوة الأمن والمجتمع ، الرياض: كلية الملك فهد الأمنية ، ط٦.
١٣٦. فوزي ، شريف محمد ،(د . ت)، مبادئ التشريع الجنائي الإسلامي، جده ، دار العلم للطباعة.
١٣٧. قطب ، محمد ، (١٤٠٨): واقعنا المعاصر ، ط٢ ، جده: مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر.
١٣٨. كاشان ، جورج (١٩٩٦): لماذا تنشأ الحروب ، ط١، ترجمة أحمد حمدي منصور ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب.
١٣٩. مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي موطأ مالك ، ، دار النشر/ دار إحياء التراث العربي ، مدينة النشر / مصر ، المحقق/ محمد فؤاد عبدالباقي.
١٤٠. محمود ، علي عبدالحليم ، (١٣٦٥): الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام – بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض.
١٤١. مرسي ، كمال إبراهيم ، (١٤٠٩): المدخل إلى الصحة النفسية ، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع.
١٤٢. مرسي ، محمد منير ، (١٩٧٩): أصول التربية الثقافية ، القاهرة: دار عالم الكتاب.
١٤٣. منصور ، سيد أحمد (١٤١٠) السلوك الإجرامي والتفسير الإسلامي ، ط١ ، الرياض ، مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية.

١٤٤. موريس ، إريك ، آلان هو: (د.ت) الإرهاب ، ترجمة أحمد حمدي منصور، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
١٤٥. نور، عبدالمنعم ، (١٩٦٧): المدخل إلى الخدمة الاجتماعية ، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.
١٤٦. هونكة ، زيجريد ، (د. ت): شمس العرب تسطع على الغرب ،القاهرة ، مكتبةالخانجي .
١٤٧. يالجن ، مقداد ، (د.ت) : منابع مشكلات الأمة الإسلامية والعالم المعاصر ودور التربية الإسلامية. القاهرة ، مكتبةالخانجي
١٤٨. يالجن ، مقداد ، (١٣٩٧): التربية الأخلاقية الإسلامية ، القاهرة: مكتبة الخانجي.
١٤٩. يالجن ، مقداد ، (د.ت) : موسوعة التربية الإسلامية ، القاهرة: مكتبة الخانجي.

فهرس الموضوعات